ليونارد وولي



آلالاخ

مملكة منسيّة

ترجمة : فهمي الدالاتي

دراسات ونصوص قديمة
٥

ليونارد وولي

آلالاخ

مملكة منسيّة

ترجمة : فهمي الدالاتي

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ١٩٩٣

العنوان الأصلي للكتاب :

LEONARD WOOLLEY

UN ROYAUME

OUBLIÉ

Traduit de l'anglais

par

FRANÇOIS FOSCA

آلالاخ مملكة منسية = Un royaume oublié / ليونارد
وولي ؛ ترجمة فهمي الدالاتي . ــ دمشق : وزارة الثقافة ،
١٩٩٢ . ــ ٢٣٦ ص : مص ؛ ٢٤ سم . ــ (دراسات ونصوص
قديمة ؛ ٥) .

١ ــ ٩٣٣٫٤ و و ل آ ٢ ــ العنوان ٣ ــ العنوان
الموازي ٤ ــ وولي ٥ ــ الدالاتي ٦ ــ السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ــ ١٩٩١/١٢/١٣٢٠

تنويه وشكر

كان لاهتمام ورعاية السيدة الدكتورة نجاح العطار وزيرة الثقافة بهذا العمل التراثي والأثري الكبير الذي خرج من المطبعة ليسد فراغاً في المكتبة العربيـــة أثره العميق في نفسي • فكتاب العـالم البريطاني الأثري الكبير (ادوارد وولي) عن مملكة منسية اسمها (آلالاخ) بحث ونقب عنها في سهل العمق خلال النصف الأول من هـــذا القرن ، والذي قمت بترجمته الى العربية لأول مرة • يعد عملاً بالغ الأهمية نظراً لما تميز به هذا الكتاب من كسب أثري وتاريخي !!••••

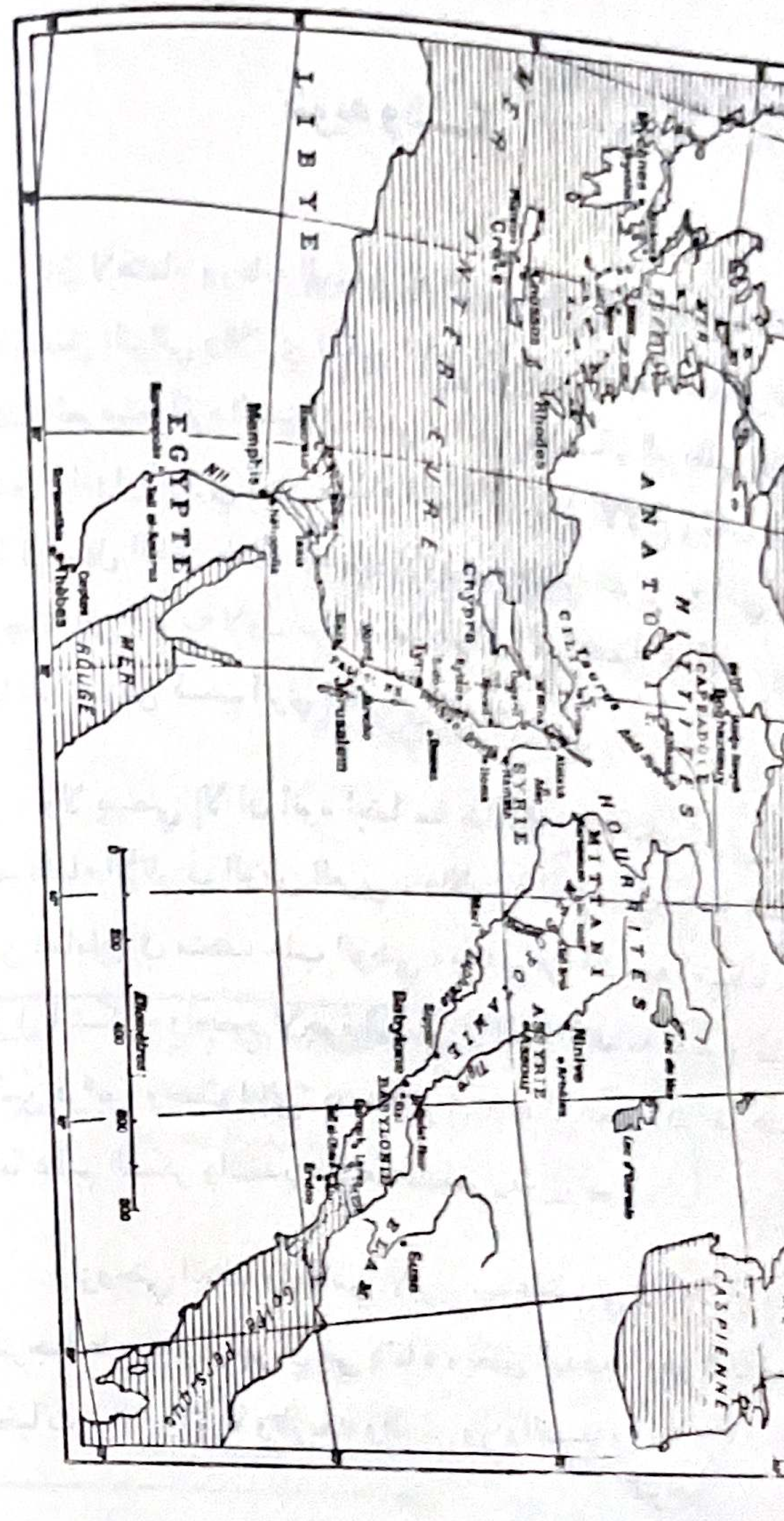
ولا يسعني إلا أن أنوه أيضاً بما بذله الأخ الدكتور شوقي شعث أحد علماء الآثار في الوطن العربي ، والاستاذ المحاضر في جامعة حلب • ومن العاملين في متحف حلب الوطني ، والذي قرأ الترجمة وضبطها ، فله جزيل الشكر ، ولجميع الأخوة العاملين في المديرية العامة للآثار والمتاحف الذين قرّبوا وحببّوا إليّ علم الآثار إبّان عملي معهم أكثر من عشرين عاماً عظيم الشكر والتقدير منوهاً بفضلهم ومؤازرتهم •

ولزوجتي الغالية وأولادي الأبرار مساعدتهم لي في انجـاز هـــذه الترجمة على نحو أرجو أن يفي بالغاية ويحقق الهدف • وهو الكشف عن مخبآت تراثنا وآثارنا وتاريخنا والله من وراء القصد •

المترجم

فهمي الدالاتي

دمشق



الشكل (١) خريطة الشرق الأوسط

المقدمة

خلال سبعة مواسم تنقيب بدات من ربيع عام ١٩٣٦ ، وانتهت في خريف عام ١٩٤٩ ، جرى التنقيب في موقعين اثرين ، قرية العطشانة على نهر العاصي بالقرب من بلدة جسر الحديد من سهل العمق ، وقرية الميناء حيث يصب العاصي غربا على ساحل البحر الابيض المتوسط الى الشمال من جبل الاقرع ، وان نشر نتائج التنقيب هذه على الجمهور هو بالتاكيد واجب ومفيد ، ولكنني عندما كنت اعد هذا الكتاب الذي تضمن النتائج المذكورة جال في ذهني امر آخر غير هذا الواجب ، هو اننا كنا قبل ان نبدا العمل نجهل كل شيء عن الموقعين المذكورين ، ونجهل اية رابطة يمكن ان تربطهما بمكان او حادث تاريخي هام من تاريخ العالم القديم ، وعندما تقدمت اعمال التنقيب اضحى لزاما ان نبرهن ان موقع الميناء على البحر المتوسط هو المرفا الذي ذكره المؤرخون الكلاسيكيون باسم بوزيديوم Posidéium ، ولكن ليس بالدقة الكافية ، اذ بدا ان موقع / البوزيديوم / هذا كان موضع تخمين ، وعندما عثرنا على وثائق كتابية تاكد لنا ان تل العطشانة كان في القديم هو مدينة / آلالاخ / ، ولكن اسمها لم يرد إلا مرة واحدة في هذه الوثائق ، وهو امر غير مشجع ، جعل المرء يفكر مليا حتى ولو عثر على آثار بين انقاض مدينة متواضعة ، انها آثار ثانوية لا تضيف جديدا الى المعارف الخاصة بالتقدم الحضاري ، وان الأجدى هو صرف الاموال وبذل الجهود في مواقع اخرى اثرية كبيرة ترعرعت فيها الحضارة وتطورت وتقدمت ، واذا كان هدف المرء هو الكشف عن فنون بلد ما ، والوقوف على حولياته الوطنية ، فان من البديهي ان يفتش عن عاصمة هذا البلد ، أو عن إحدى مدنه الرئيسية التي كان فيها اصحاب الفنون موضع تقدير واحترام ، وكانت

فيها الوثائق الادارية او الخاصة بالمعابد محفوظة بشكل جيد ، وقد عمل الاثريون كثيرا في مثل هذه المواقع الاثرية ، حتى اصبحت معلوماتنا غزيرة عن معظم دول الشرق الاوسط القديمة ، ولكن هذه المعلومات تبقى معلومات مستقلة لا رابطة بينها وبين غيرها ، وقد آن الأوان ان نبدا بجمعها حتى يتيسر لحضارة كل بلد ان تصبح محددة قليلا او كثيرا في مختلف مراحلها التاريخية ، ان ما نرمي اليه هو معرفة تاريخ الحضارة بشكل عام ، لذلك بات لزاما دراسة العلاقات الدولية التي كانت سائدة بين مختلف الدول، ومن المؤكد ان دراسة فنون بلد ما ستقودنا غالبا الى الشك في قدرة وقوة فنون بلد آخر ولكن تاريخ الحضارات يحتاج الى قاعدة اقوى من شك بسيط حتى ولو بدت نتائج العلاقات الدولية واضحة مرضية ، فاننا والحال هذه غير قادرين على التاكيد ان الدَين الظاهر بين الحضارات المختلفة هو دَين حقيقي ، واذا كان حقيقيا كيف تسنى له ان يُبرم ، ويقوم ، ولماذا ؟ .

لقد بات معروفا ان الحضارات المختلفة تلاحمت فيما بينها بشكل غير مباشر ، وهذا ما يجعل مهمة الكشف عن ذلك من الامور الملحة الملقاة على عاتق العلماء الاثريين الذين يجب عليهم ان ينقبوا كثيرا : ليس في نهاية الطريق وانما في قلب هذا الطريق ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟ ومن اين يبدا المرء خاصة والأمر يتعلق بالنواحي الجغرافية ، وما نعرفه من التاريخ ويرتبط كاملا باحتمالات معقولة عن عمل مجهول ، ان عملنا في سهل العمق يهدف الى الكشف عن الروابط التي كانت قائمة بين بلدان الشرق الاوسط ، وبلاد ما بين النهرين ، والاناضول ، وبحيرة / وان / ، وبحر ايجه ، وطرق المواصلات البرية الآتية من الشرق باتجاه سورية الشمالية ، وطرق الملاحة البحرية التي تحتاج الى مرفا يعززه مضيق سهل قائم عبر الجبال يقود الى داخل البلاد وصولاً الى مدينة ميرا Mirra — ولم يكن مثل ذلك متوفرا على ساحل البحر الابيض المتوسط لذلك فقد بات لزاما ان يكون مثل هذا المرفا ، ومثل هذا المضيق واقعين تحت سلطة مدينة واقعة في قلب البلاد ، وهذا ما يقودنا الى سهل العمق البعيد عن النفوذ المصري ، والبعيد قبل القرن الرابع عشر

قبل الميلاد عن سيطرة الحثيين الذين اتخذوا من قلب الاناضول مركزا لامبراطوريتهم ، والى القول ان مملكة مستقلة قامت في هذا السهل بدور / الصادّ — المصدّ — للغزوات / ويقودنا ايضا الى الكشف عن مدى انتشار نفوذ الحكام الاقوياء من جيران مملكة آلالاخ في البلد الآخر .

بغية الوصول الى افضل نتائج التنقيب كان السؤال الملح هو وجوب الدقة في اختيار موقع اثري يكون المكان الذي قامت عليه مملكة / آلالاخ / من بين التلال الكثيرة المنتشرة في سهل العمق .

لقد وقع اختيارنا في التنقيب عن مكان مجهول في التاريخ ، ولكننا كشفنا فيه عن تاريخ دقيق مستمر خاص بمدينة اسمها / آلالاخ / ، واعتقد ان نتائج هذا الاكتشاف لا تقتصر على الفائدة الاقليمية بل تتعداه الى مناطق اخرى ، اذ تضمنت النتائج المذكورة معلومات غزيرة عن امبراطوريات قديمة كبيرة كانت قائمة مثل سومر ، وبابل ، ومصر ، والامبراطورية الحثية الرابضة في / بوغازكوي / من الاناضول وعن نفوذها الواسع ، والحوريتيّين Les Horrites وعن مملكة الميتانيين Mitanni ، وعن التطور الكبير للفن الكريتي الذي تجلى رائعا في قصر مينوس في مدينة كنوسوس ، وعن مساهمة مملكة آلالاخ الفعالة في ثقافة جزيرة قبرص في عصر البرونز ، وعن اتساع تجارة الجزر اليونانية مع الشرق في عصور ما قبل التاريخ ، كما والقت ضوءاً جديداً على مظاهر امبراطورية اثينا الاقتصادية ، وكشفت اخيراً عن مساهمة سوريّة قوية في النهضة الايطالية ، تلك كانت حصيلة تنقيبات سبعة مواسم اجريناها في سهل العمق كما ذكرنا .

ان هذا الكتاب الذي اعددته هو برهان ساطع اردت من ورائه رغم تكاليف التنقيب الباهظة في البلاد الاخرى ، وان عدداً كثيراً من المواقع الاثرية الهامة قد جرى التنقيب فيها حتى بلغ مداه ، وان هناك الكثير من الناس الذين صمّوا آذانهم امام طلبات الأثريين الملحة لتمويل اعمال التنقيب عن

الآثار ، اردت ان اقول انه ما زال هناك العديد من التلال والمواقع الاثرية لم يجر التنقيب فيها ، تشد الاخصائيين للعمل فيها فتتفتح امامهم آفاق جديدة يصلون من خلالها الى تاريخ الانسانية المشترك .

واما ما قمنا به من تنقيب واسع في ارض آلالاخ ، فقد جاء مفصلا دقيقا في كتاب صدر بعنوان / آلالاخ / تولت نشره جمعية الأثريين في لندن ، وقد تضمن الكتاب الأسس الاثرية للنتائج التي ساشير اليها وتتلخص فيما يلي :

وجوب رجوع كل طالب الى الكتاب المذكور اذا اراد ان يتاكد من نتائج التنقيب في آلالاخ ، وقد عملت جاهدا ان استبعد من الكتاب كل ما هو صعب وعميق يبقى من اختصاص المدققين الباحثين ، وان اجعل الكتاب مفيدا للجميع .

صحيح ان التاريخ يجب ان يوجه الدعوة الى جميع الناس ، ولكن المرء لا يستطيع ان يامل من الجميع تلبية الدعوة ، واستيعاب الوقائع الأثرية الجافة اذ يبقى ذلك من الامور الشخصية الذاتية .

وبالمناسبة لا بد من القول ان التقدم في معرفة تاريخ البشرية القديم يتطلب عملا دؤوبا من العالم الاثري في كل المواقع الاثرية ، وفي متابعة كل ما يستجد من علم خاص بتاريخ الانسانية جمعاء .

* * *

الفصل الأول

موقع مملكة آلالاخ

يقع سهل العمق من لواء الاسكندرونة السليب ، في اقصى الشمال الغربي من سورية وتبلغ مساحة هذا السهل : ٤٥ × ٤٥ = ٢٠٢٥ كم٢ ، وتفصله سلسلة جبلية قليلة الارتفاع عن هضبة حلب الكبيرة الممتدة حتى نهر الفرات ، ويحده من الجنوب خليط غريب من الجبال ، ومن الغرب سلسلة جبال الامانوس التي تنتهي في البحر الابيض المتوسط بانحدار شديد ، ومن الشمال جبال طوروس بقممها الشامخة المغطاة بالثلوج الدائمة ، ويلتقي في هذا السهل نهرا عفرين و /قره صوى/ الصغيران الوافدان الاول من الشرق والثاني من الشمال، ويملآن وسط السهل المكون من بحيرة ومستنقعات جففت مؤخرا ، واما نهر العاصي الوافد من الجنوب من بعلبك في لبنان فيجري متعرجا في مضيق نحو الغرب حتى يصل بلدة جسر الحديد ثم يخترق الوادي الذي شاد فيه خلفاء الاسكندر الكبير المقدوني ، مدينة انطاكية العظيمة ، ثم يتابع سيره في جوار الامانوس ، لكنه قبل ذلك يتيه في سهل العمق الذي ساد سورية الشمالية في احدى مراحل التاريخ القديمة قبل أن يمتلىء اليوم بالطمي ، ثم ينتهي عند مصبه غربا على ساحل البحر الابيض المتوسط .

في العصر الحديث لم يكن سهل العمق الخصيب مكتظا بالسكان ،وقد يكون مرد ذلك ناتجا عن المستنقعات الكثيرة المنتشرة التي تسبب الامراض وخاصة الملاريا ، وقد قيل يوما ان بعوض هذه المستنقعات كانت تحجب السماء عند غروب الشمس ، واما اليوم وبعد ان انتهت اعمال التجفيف فيه فقد تغير الحال تماما ، واضحى المرء قادرا ان يتبين من خلال مياه ، بحيرة العمق بقايا

مساكن وكنائس قامت عندما كانت مدينة انطاكية مزدهرة ، ومن اكبر مراكز المسيحية في العالم الروماني .

واما الهزات الارضية التي اجتاحت انطاكية ودمرتها خلال القرن السادس الميلادي وما قذفته من الجبال المجاورة من كتل صخرية ضخمة استقرت في مجرى نهر العاصي بين مدينة انطاكية ومصبه على البحر ، فقد ادت الى اغلاق مجرى الانهر الثلاث (العاصي ، وعفرين ، وقره صوي) التي تلتقي في سهل العمق الذي تحول الى بحيرة راكدة امتلأ قاعها بالطمي الذي حملته هذه الانهار التي استطاعت فيما بعد ان تتغلب على العوائق التي حالت دون متابعة جريانها، وتمكن نهر العاصي عبر مجرى جديد شقته في قلب اكمات الاوحال المتراكمة ان يصل ثانية الى البحر .

واما ابنية انطاكية الرومانية التي كانت قائمة على طرفي هذا النهر فقد غابت في اوحال كثيفة بلغ ارتفاعها تسعة امتار الامر الذي جعل امر تصريف المياه ناقصا ، واما نهرا عفرين وقره صوي فاخفقا وانتهيا في سهل العمق ليصبحا بحيرة ومستنقعا كبيرا واسعا .

في القديم ، لم تكن هناك بحيرة في سهل العمق الذي كان خصيبا ترويه المياه ولا تغمره وكان مناخه معتدلا وحرارته الصيفية طبيعية بفعل الرياح التي تهب عليه من الشمال الغربي من قمم طوروس الثلجية ، وكان السهل جذابا لاسباب كثيرة ، اذ كانت الغابات الكثيفة من اشجار الارز والصنوبر وغيرها من الاشجار ذات الاخشاب القوية وذات الاثمان المرتفعة تملأ جبال طوروس ، وكانت هناك ساقية خيّرة جارية تلتقي بنهر العاصي في اسفل انطاكية تحمل معها الحصىَ الفنية بالذهب الخام ، وكان هناك النحاس الخام في الناحية الجنوبية من الجبال المطلة على مصب نهر العاصي في البحر ، وهذا ما جعل من سهل العمق المغلق المركز التجاري الذي يسهل عملية استخراج المعادن المذكورة واستثمارها ، والمكان الذي تلتقي فيه الدول الكبيرة ، واذا اجتاز المرء وادي نهر / قره صوي / شمالا بلغ مدينة / ماناش Manas / وبلاد الحثيين ، واذا

اتجه شرقا وبعد / ٦٠ / كيلو مترا وصل حلب التي تقود الى مدينة بابل عبر نهر الفرات ، او اذا ما عبر المرء هذا النهر عند مدينة / كركميش / جرابلس اليوم وصل الى نينوى / (Ninive) / ، ثم الى اشور / (Assour) / ثم الى بابل ، واما اذا اتخذ المسار الشمال الشرقي بلغ بحيرة / وان / وبلاد صانعي الحديد الاولين ، في حين اذا انطلق المرء من جنوب سهل العمق وصل دمشق مرورا بمدينتي حماة وحمص ، واذا استمر بلغ مصر عبورا بفلسطين .

لم تكن طرق المواصلات البرّية هذه الهامة هي القائمة فقط بل قامت الى جانبها الطرق البحرية ، إذ كان هناك خط نهري صالح للملاحة المعروفة عبر وادي العاصي والجبال المحيطة به يقود الى ساحل البحر المتوسط حيث يصب نهر العاصي المتعرج الذي يشكل مرفا نادرا في هذه المنطقة الصخرية القاسية ، ومع ذلك فقد كان كافيا لاستقبال المراكب الصغيرة المعروفة في العالم القديم ، واما في شمال سهل العمق فكان هناك الممر الضيق الشهير القائم في جبل بيلان الصعب المرتقى الذي يقود الى مرفا واسع تحيط به اراضي مدينة الاسكندرونة التي حوت مرسىً تلجا اليه البواخر ، وكان هناك طريق آخر يوازي البحر شمالا ويصل الى سهل كيليكيا الخصيب .

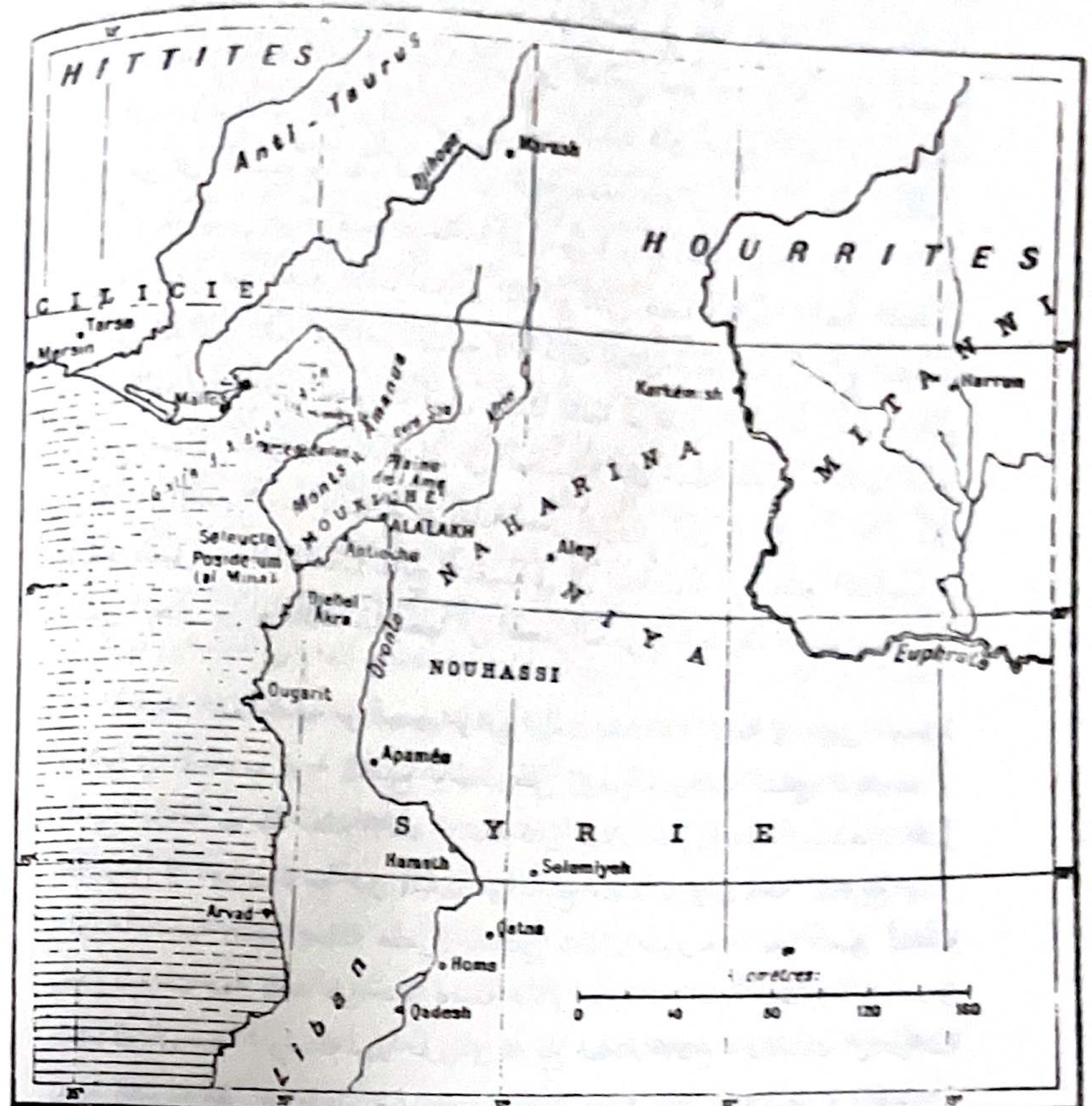
هذا وليس غريبا على سهل العمق الخصيب ان يجذب الناس اليه للعيش فيه منذ القديم ، وليس غريبا ان نكتشف فيه اكثر من مئتي تل ، كان بعضها بمثابة المدن والقرى ، وبعضها الآخر عبارة عن قلاع تراوح تاريخها وتاريخ المدن والقرى المذكورة من حيث القدم ، ولكنها جميعا قديمة يعود تاريخ اكثرها كما تؤكد اللقى المكتشفة الى عصور ما قبل التاريخ ، وبعضها الى العصر الحجري ، وبذلك يمكن القول ان السهل المذكور كان كثيف السكان منذ القدم.

واما التنقيب في التلال المذكورة المنتشرة في سهل العمق فكان امرا محيّراً لمن اراد التنقيب فيها خاصة اذا كان الهدف من وراء ذلك هو تصوير تاريخ العمق ، وتبيان العلاقات التجارية الدولية السائدة . لم يكن هدفنا من التنقيب هو الكشف عن فترات تاريخية متلاحقة وقريبة من المفروض أن تكون

معروفة منذ امد بعيد ، وتلك المبادلات الثقافية المؤثرة في التطور الحضاري الخاص بمنطقة الشرق الاوسط ان كان ثمة تأثير ، كذلك ولا الكشف عن احداث وقعت بعد عام / ١٢٠٠ / قبل الميلاد ، ولا الحديث عن العصور الرومانية ، والاسلامية المعروفة ، او التلال التي توحي انها كانت قلعة او سكناً ، اذ كنا نرمي من وراء التنقيب الى الوقوف على الشواهد الحضارية التي انتشرت قديما . كل هذه العوامل دفعت بنا الى اختيار مكان صعب واسع للتنقيب في سهل العمق هو تل العطشانة ، ولكنه مرض بشكله وابعاده ، وهو يقع على الطريق الذي يربط مدينة حلب بحوض البحر الابيض المتوسط غربا ، وتلتقي عنده الطرق المؤدية شمالا الى بلاد الحثيين ، وجنوبا الى داخل سورية ، والاهم من كل ذلك هو قربه من مدخل وادي مدينة انطاكية ، وسيطرته على طريق البحر الذي يقوم على ساحله مرفأ لاستقبال المراكب التجارية المعروفة ،ويصب فيه نهر العاصي ، ويضاف الى ذلك ان موقع التل المذكور من الطريق الذي يربط الشرق بالغرب ، وقربه من سلسلة جبال الأمانوس يجعله قادرا على مراقبة تجارة اخشاب الارز المقطوعة من هذه الجبال ، ومن الواضح في هذه الحقبة من الزمن ان مصر كانت تستورد ما تحتاج اليه من اخشاب قوية من ارز لبنان تحمله اليها القوارب من المرافىء الفينيقية الجنوبية على البحر الابيض المتوسط ، وان بلاد مابين النهرين الفقيرة بالغابات مثل مصر / كما تؤكد الوثائق التاريخية / ، تحتاج ايضا الى الاخشاب من غابات الامانوس شمالا لتنتقل بسهولة عبر سهل العمق القريب القادر الى اقرب مكان على نهر الفرات الذي ينقلها الى المكان المقرر ، لهذا كان منطقيا لمن اراد ان يتحكم في مثل هذا النوع من التجارة الهامة ان يختارله مكانا مناسبا في سهل العمق هو موقع / تل العطشانة / ، ومهما تجاهل المرء تاريخ سهل العمق الهام ، فانه يبقى من المعقول القول ان هذا السهل كان يؤلف مملكة واسعة ، وان مركزها الرئيسي هو تل العطشانة القادر على رفدنا بمعلومات تاريخية هامة ، لذلك فانني لم اقبل بالعرض اللطيف الذي عرضه علي صديقي السيد بروست Prost مفتش الآثار الفرنسي ان انقب في تل مجاور لتل طعينات في سهل العمق الذي نقبت فيه بعثة أمريكية حيث تم العثور على منحوتات سورية ـ حثية ـ ترقى بتاريخها

الى القرن الثامن قبل الميلاد ، اذ طلبت ترخيصا بالتنقيب في تل العطشانة ، ومرفأ تل الشيخ يوسف الواقع عند مصب نهر العاصي على ساحل البحر الابيض المتوسط ، وسأتحدث فيما بعد عن العمل في هذا المرفأ المسمى بالميناء الذي ضاعت معالمه الاثرية عندما غير نهر العاصي مجراه ، هذا وفي جميع الاحوال ، وبدءا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد فان جميع الآثار التي حصلنا عليها من تل الشيخ يوسف تعود الى تاريخ مابعد عام / ١٢٠٠ / قبل الميلاد ، وهو تاريخ ليس هو موضع اهتمامنا الرئيسي ، ومع ذلك ، وحتى لو بدا الامر محرجا يبقى من المفيد الاعتراف ان النتائج التي حصلنا عليها نتيجة التنقيب في التل المذكور كانت من اهم النتائج ، وكذلك الحال فيما يخص نتائج التنقيب في تل العطشانة التي تجاوزت آمال بعثتنا لكنها لم تصل الى اقدم عصر خاص بتاريخ سهل العمق بل اكدت ان تل العطشانة كان مملكة قديمة لكنها غير موغلة في القدم قامت بالتأكيد في بداية عصر البرونز قبل عام / ٣٠٠٠ / قبل الميلاد بقليل ، واذا اضفنا نتائج التنقيب في تل العطشانة الى نتائج التنقيب في التلين المجاورين له قادتنا بتاريخها الى العصر الحجري الحديث /النيوليتيكي/.

نقبنا خلال سبعة مواسم في مواقع اربعة مختلفة ، ثلاثة في سهل العمق، ورابع في الميناء ـ قرية الشيخ يوسف على البحر ، ودلت نتائج التنقيب ان تاريخ المنطقة ـ منذ مطلع الالف الرابعة قبل الميلاد حتى عصر الاسكندر الكبير المقدوني في القرن الرابع قبل الميلاد هو تاريخ مشترك وان هذا التاريخ ليس تاريخا محليا خاصا بمملكة صغيرة قامت في شمال سورية ، بل يتعلق بمملكة حدودية متاخمة كانت على صلة دقيقة بامبراطوريات كبيرة مجاورة قامت في الشرق الاوسط ، ولعبت دورا بارزا في تاريخ مملكة آلالاخ ، ولاشك ان دراسة هذا التاريخ تلقي ضوءا على سياسة واقتصاد دول شرق المتوسط في القديم ، وتؤكد ان الصفة الدولية القديمة التي اكتسبها سهل العمق من موقعه الجغرافي الهام ، عادت الآن وبرزت من جديد في مأساة لواء الاسكندرونة السليب . وأما العمال الذين ساعدونا في مهمتنا ابان مواسم التنقيب المذكورة فكانوا من السكان المحليين واستحقوا منا الشكر والامتنان .



الشكل (٢)

خريطة مملكة آلالاخ وجيرانها

الفصل الثاني

عصور ما قبل الالاخ

في عام ١٩٤٧ م وخلال موسم التنقيب السابع جاءني احد العمال العاملين معنا القاطن على بعد اربعة كيلو مترات في غرب قرية العطشانة حيث نعمل ، جاءني باسما مستبشرا بمكافأة مالية اجزيها له لقاء عثوره على مجموعة من الكسر الفخارية الملونة القديمة ، قد لا تجود منطقة العطشانة باحسن منها ، عثر عليها وهو في طريق عودته بعد العمل الى بيته ، وقبل ان يقدمها لي عرضها على اخيه الذي عمل مع البعثة الامريكية التي نقبت سابقا في تل طعينات من سهل العمق ، فادرك بما اكتسبه من خبرة انها من اقدم الفخار المكتشف حتى الآن في سهل العمق ، واوصاه بحملها الي" ، فاخذتها وكافأته ، وبدانا التنقيب في تل الشيخ الذي يقع على بعد ثلاثة كيلو مترات الى الغرب من تل العطشانة على الضفة الثانية من نهر العاصي الذي كان تلاً صغيراً ومن الصعب تمييزه ومن المرجح انه كان تلة هامة غاب معظمها على عمق خمسة عشر مترا في جوف اكمات الطمي التي حملها نهر العاصي الى هذا المكان بعد ان سدت الهزات الأرضية مجراه الى البحر ، وقد عملت سكة الحراثة والأمطار والرياح على بعثرة وتشتيت وضياع كل ما بقي على قمة هذه التلة حتى اصبحت شبه عارية لا يرتفع مستواها عن سهل العمق اكثر من قامة الرجل العادي ، إنها تلة مغرية تشد المرء الى التنقيب فيها خاصة وان اللقى ، وكسر الفخار الملتقطة من فوق سطحها دلت على ان الانسان لم يسكن هذه التلة في العصور التاريخية القريبة المعروفة ، وهذا ما يقودنا بسهولة الى العثور على آثار قد تكون واحدة تعود الى عصور ما قبل التاريخ .

بدانا العمل في تل الشيخ بفتح سبر الى الجنوب الشرقي منه ، وكان غرضنا من ذلك العثور على اكبر قدر من المكتشفات الاثرية الجديدة في اقصر

وقت ممكن ، والاعتياد على المكان الجديد وتكوين فكرة عن مختلف انواع الفخار الذي يمكن ان يحويه هذا التل ، كما زودتنا بيوت تل الشيخ بشيء اساسي هام يتعلق بالسويات السكنية المتعاقبة ، ولكن ذلك لم يكن كافيا خاصة اذا عرفنا ان هذه البيوت قد تخرّبت إلا القليل منها مما يساعد على فهم طبيعة هذا التسلسل ، لذلك كان التفتيش عن امكنة الردميات في قرية الشيخ هو احسن مكان للعثور على كسر الفخار بغزارة ، ولما كانت الرياح السائدة في المنطقة هي الرياح الشمالية الغربية ، فمن الطبيعي ان تكون تلك الردميات موجودة في الناحية الجنوبية الشرقية من البيوت المذكورة .

بدانا التنقيب في قلب هذه الردميات ، وعملنا جاهدين ان نحدد تاريخ كسر الفخار المكتشفة حسب تسلسل موقعها في الردميات ، واجرينا عليها دراسة مقارنة وفق تنقيب منهجي اجريناه في القرية المذكورة ، فكشف لنا تل الشيخ عن وجود اثنتي عشرة طبقة بناء مختلفة متواضعة بعضها فوق بعض وهو امر يدل على اقامة الانسان هنا مدة طويلة من الزمن ، خاصة وان اللبن تعمر طويلا حتى ولو (قيل ان اقصر فترة لها لا يتجاوز ثلاثين سنة) ، ولا شك ان وجود احدى عشرة طبقة متمايزة في تل الشيخ دليل على وجود عمره ثلاثة قرون ونصف قرن من السنين ، وان الطبقات الاثرية المتعاقبة تعطي فكرة دقيقة عن تطور السكان الحضاري في هذه الفترة من الزمن .

ويبدو ان اصحاب البيوت الاقدم القائمة على الارض الحرة / البكر / اي على الطبقة السطحية الاصلية من سهل العمق هم الذين عاشوا في العصر الحجري ، في حين عاش انسان / الباليوتيكي / العصر الحجري القديم كما هو معروف في الكهوف ، وفي ظلال الصخور وقلب الجبال ، واستطاع اصطياد الطرائد ، وليس ثمة امل في العثور على اثر له في سهول غمرتها المستنقعات ، ولما عرف الانسان كيف يؤهل الحيوانات ويحرث الارض ويزرعها ليقتات منها بدا بديهيا ان يترك الجبال الى السهل الخصيب ، ويقيم البيوت التي هي النتيجة الطبيعية التي تتطلبها حياة الاستقرار للفلاح ، وبدا طبيعيا ايضا ان يجذب سهل العمق الخصيب المروي الكثير من الناس للعيش والاقامة فيه بعد ان طرا التطور المذكور في نمط المعيشة في العصر الحجري الحديث (النيوليتيكي) علما ان هناك العديد من تلال العمق ترقى في قدمها الى زمن موغل في القدم ، ولا شك ان التمثال الصغير الذي عثرنا عليه ، المنحوت على حجر مصقول والذي

يمثل الربة ـ الأم / والمبين في اللوح رقم (١ . ٢) يعود بتاريخه الى احد العصرين المذكورين ومن المعروف ايضا ان هذا النمط من الصور يرقى بتاريخه الى العصور الحجرية ويشاهد متناثرا بكثرة في اوروبا . والتمثال المذكور يمثل امراة جالسة على حجر هش رمادي اللون غامق ، وله من الارتفاع /٧٧/ ملم واقصى طول له هو / ٦٨ / ميلليمتر ، وبعرض قدره /٥٣/ ملم ، ويتضح من فتحات اسفل واعلى راس التمثال انه نحت من كتلة صخرية مثلثة الزوايا ابعادها متماثلة مع الابعاد الثلاثة المذكورة ، وان طابع ـ هذا النوع من التماثيل جاء منسجما وشكل الكتلة الصخرية التي نحت منها ، وانه نحت بآلة حادة لها شكل سكين مسننة شبيهة بأسنان المنشار . واذا تم تكبير التمثال المذكور بواسطة الاشعة المستقطبة ظهر بكل وضوح ان قشط سطحه الذي تم بطريقة الصقل لم يكن تاما كافيا ، وانه ما زال هناك بين اخاديده امكنة جانبية بارزة لم تقشط جيدا شبيهة بتلك / النتوءات / الخفيفة التي تشاهد عادة على صفيحة مثلثة الزوايا ، وهذه الظواهر هي النتيجة الطبيعية عندما يصار الى نحت الاحجار بسكين من الصوان او السبج / الزجاج البركاني / .

والتمثال كما قلنا هو عبارة عن امراة جالسة امتدت ساقها اليسرى على طولها ، وانثنت الساق اليمنى عليها ، فجعلتها تبدو متصالبة في وسط ربلتها / بطتها / ، واما القدم اليسرى فتميزت بأخدود عرضاني ، في حين لم يكن للقدم اليمنى مثل ذلك ، واما القسم العلوي من التمثال فبدا منتصبا في حين ظهر الراس مندفعا الى الامام ، ولكنه غير منحن لان الوجه عندما مال قليلا الى الوراء جعل خط ذقن العنق يبدو افقيا . واما الاثر الذي خلّفه بروز القسم العلوي من العمود الفقري فكان شديدا اذ كوّن انحناءة متميزة عن الاكتاف المقوسة الحادة التي احدثتها اخاديدها العميقة ، وظهرت من وراء الظهر الاذرع هزيلة لكن اطرافها بدت مستوية واسعة توحي ان هناك شبه معطف حجب هذه الاذرع حتى المرافق ، ومن المستبعد جدا أن يكون النحات قد اراد ذلك . . . واما الساعدان فلم يكونا ظاهرين ، ومن البديهي ان يكونا واليدان حتما متصالبين تحت الصدر يحملان الثديين الواسعين اللذين برزا على شكل زاوية قائمة على جذع الجسم ، واما وساعة الوركين الشديدة فجعلت الصورة تبدو واضحة انها العضو التناسلي عند المراة ، واما اطراف الجسم السفلية فبدت منحوتة جيدا ، وظهر في أسفل الثديين اخدود عميق استدار فامتد حتى في الظهر فجعل

التمثال يبدو دقيق القامة ، والى جانب ذلك هناك اخدود آخر اعمق في وسط التمثال فصل البطن عن الأفخاذ التي بدت في وضع القاعد المرتاح فجعلت النصف الاسفل من البطن والاقسام العوراء التالية تختفي حكما ، ولم يخل الاخدود البسيط الذي تشكل نتيجة ذلك من الواقعية ، وهكذا لم يبق والحال هذه بين الاخدود العميق الذي فصل البطن عن الافخاذ والاخدود البسيط الصغير مكان لمدة بارزة يمكن الوصول منها الى صورة تمثل العضو التناسلي عند المراة ، ولكن / اذا استطعنا من خلال صور اخرى مشابهة الوصول الى الصورة التي نرجوها / بدا ذلك بمثابة ميزة اساسية استطعنا تحقيقها بطريقة اخرى .

واما من الخلف فبدا جسم التمثال مستويا تحت الخصر ، واجوف قليلا حتى الأليَـة التي انتهت بذنب صغير بارز في مؤخرتها ، واما كتلة الأليَـة التي امتدت حتى المؤخرة فانتهت بوجهين واضحين على شكل حرف / V / بالفرنسية كونا قمة الوركين ، واما من الامام ، فاظهرت صورة التمثال الجانبية ان جذعه آخذ بالاتساع عند نزوله بدءا من الخصر ، وشكل اسطوانة تدلت بقطعة شحم ابرزت الثنية العميقة الواقعة فوق الوركين اللذين ظهرا اوسع منها قليلا ، واما فرجة الأليَـة فامتدت في قلب كتلتها الحجرية بواسطة اخدود مستطيل ابرز الساق اليسرى ، واستدار ليظهر ثنية الساق اليمنى وهي فوق الساق اليسرى ، واما الاخدود الذي يلي مباشرة الوجه الداخلي للساق اليمنى فامتد في قلب الوجه الاسفل من الكتلة الحجرية المذكورة ، ولكن بشكل اقل نتوءا .

من الصعب تحديد تاريخ دقيق للتمثال المذكور ، لذا بات متعذرا اجراء اية مقارنة دقيقة بينه وبين غيره من التماثيل ، واعتقد جازما أن في الامكان القول أن توضع الطبقات الاثرية لكثير من تلال العمق تعود بتاريخها الى العصر الحجري الحديث / النيوليتيكي / اللاحق ، ومن خلال ما أعرف اقول : ليس هناك الآن اي دليل يؤكد ان سهل العمق كان ماهولا بالسكان في العصر الحجري القديم / الباليوليتيكي / ، هذا من جهة ومن جهة اخرى يمكن ان نقول ان صورة تمثال سهل العمق الذي بين ايدينا هي قريبة من صورة التمثال الصغير من العاج والمكتشف في مدينة ليسبونية من حوض نهر / الغارون / الأعلى في فرنسا وهو التمثال الذي ذكره /رينيه دوسانت بيير/في كتابه /الانتروبولوجيا/ في الصفحة (٣٦) من العدد ٣٢ لعام ١٩٢٢ ، واما بروز جبهة رأس تمثال سهل العمق المذكور ، وكذلك اسلوب نحت ذراعيه ، فبدا مشابها لما هو واقع في

التمثال الفرنسي من حوض الغارون على الرغم من ظهور ساعدي هذا التمثال متوضعين فوق الثديين ، وفي النتيجة فوق القدمين ، واما الضمور في تمثال العمق فواضح ابتداء من قسمه الامامي الى الخلف وصولا الى قسمه العلوي ، وان ملامح الوجه غائبة ، واذا قورنت اخاديد تمثال / فينوس / المصقولة الذي نحته / دولني فيسكر نيتز / مع اخاديد تمثال العمق بدت متماثلة بما فيها ذاك الاخدود الواقع تحت البطن الذي امتد في اطراف الجسم فشكل كتلة شحم اسطوانية التفت حول الوركين . وفي التمثالين المذكورين / الفرنسي ، وفينوس / النموذجيين ، وفي كل تمثال آخر مماثل من مغارة ما قبل التاريخ الواقعة في حوض / الغارون / الاعلى ، فان المرء لا يستطيع ان يفرق بينهما على ضوء ما تتضمن ، ولكن على ضوء ما تتصف به من صفات متقاربة او معاصرة ، علما ان فن العصر الحجري القديم / الباليوليتيكي / خلا من أي تمثال لانسان بوضع القاعد المستريح ، ومن اجل الحصول على مثل ذلك كان لا بد من الرجوع الى عصر لاحق ، لان هذا النوع من التماثيل الصغيرة التي تمثل الانسان وهو بوضع القاعد المرتاح ظهر في التماثيل المالطية التي تعود الى العصر الحجري الحديث ، وفي التماثيل المصنوعة من الفخار ، (وهي من العصر الحجري النحاس / الكالكوليتي / وليس من العصر الحجري الحديث / النيوليتيكي) ، وفي تماثيل ناغادا وارباشيا ، ولكن جلسة الانسان في جميع هذه التماثيل كانت مختلفة عما هو واقع في تمثال سهل العمق الذي يبقى فيه تصالب الساق اليمنى على الساق اليسرى فريدا في نوعه ، وتؤكد التماثيل المذكورة المتناثرة في مختلف أنحاء الشرق الاوسط بما فيها سورية الشمالية انها من الطراز الذي ساد في العصور الحجرية الحديثة / النيوليتيكية / وما بعدها ، وعدا هذا فليس ثمة قاسم مشترك آخر بينها وبين تمثال سهل العمق ، واما التماثيل الاكثر شبها به فهي المصنوعة من الفخار وهي ترقى بتاريخها الى تاريخ تل العبد في بلاد ما بين النهرين الجنوبي ، وبلدتي اور ، وورقا ، ولكنها لم تتضمن الانسان وهو بوضع القاعد المرتاح ، وانما بوضع الواقف المنتصب ، وقد صنعت من الفخار وبدقة بدت اكثر واقعية من تمثال سهل العمق الحجري ، ولم تكن التماثيل المذكورة تمثل المراة ذات الذنب الصغير في آخر عجزها ، ولكن بروز جبهة الرأس فيها كان ظاهرا ، واما الوجه فكان في مجموعه غير متناسق (في حين يجب أن تكون ملامح الوجه في التماثيل المصنوعة من الفخار متميزة) ، ويجب في بعض النماذج منها ، أن يكون الساعد فيها على الاقل واسعا الى درجة يصبح فيها أشبه بجناح الطير ،

او المعطف كما هو ظاهر في تمثال سهل العمق خاصة اذا نظر اليه المرء من الجانب ، ومع كل ذلك فان من المحال تصنيف تمثال سهل العمق الحجري في عداد تماثيل تل العبد من الفخار ، ولكن يبقى من المقبول رغم الاختلافات المتعددة في نواح كثيرة بينه وبين هذه التماثيل القول انه قريب منها اكثر من قربه من التماثيل التي تعود للعصر الحجري القديم ، والتماثيل المالطية والمصرية التي تمثل المراة ذات الذنب القصير في آخر عجزها وهي في وضع الجالس .

هذا واستطعت من امكنة اخرى متعددة العثور على وثائق تعود الى العصر الحجري النحاسي الخاص بالصور الصغيرة المكتشفة في تل العبد ، فاصبح من اليسير ان نحدد وبدقة تاريخ تمثال سهل العمق بزمن ليس أبكر من العصر الحجري الحديث ، في حين تبقى التماثيل الاخرى القريبة له في طريقها الى الاكتشاف(١) .

واما فيما يتعلق بابنية تل الشيخ فهي من عصر متاخر يعود الى نهاية العصر الحجري الحديث الذي نستطيع الاعتماد عليه خاصة ونحن ننقب في مساحة صغيرة من هذا التل الذي كان يؤلف قرية صغيرة متواضعة عثرنا في بقاياها على أدوات حجرية غير دقيقة ، وعلى قطع من الفخار صنعت باليد من فخار اسود متماسك لم يفكر الصانع بزخرفته الا احيانا فزخرف سطحه . واما الشيء الهام والمفيد تاريخيا في هذا النوع من الفخار هو العثور عليه وفق تسلسل الطبقات الاثرية التي تعود للعصر الحجري الحديث الخاصة بالمناطق في سهول كيليكيا ، والاناضول ، وفي اقصى سورية الشمالية ، وهو يختلف تماما عن فخار العصر الحجري الحديث الخاص بسورية الجنوبية وفلسطين ، وهكذا نستطيع مبدئيا القول ان سكان سهل العمق الاوائل كانوا ذوي سمات شمالية جاؤوا على الارجح من جبال الاناضول ، وتمايزوا بأصولهم وتقاليدهم عن جيرانهم الجنوبيين ، وتشير مسيرة تاريخ هؤلاء السكان الطويلة ان مملكة الالاخ كانت جزءا من المنطقة الشمالية ، وان ذلك هو الواقع ، لذلك فاننا نستطيع الآن القول ان اختلاف سكان سهل العمق عن جيرانهم في الجنوب يعود الى البدايات التاريخية الاولى(*) .

---

(١) هذا العرض ماخوذ من دراسات سورية قدمت الى م. ر. دوسو .

(*) هذا الراي خاص بالمؤلف في حين الابحاث الاثرية التي جرت فيما بعد اثبتت ان منطقة العمق على صلة وثيقة بسورية الجنوبية وفلسطين .

د. شوقي شعث

واما اتصالات تل الشيخ الاولى ، فكانت مع جيرانه في الشمال ، والشرق ، الذين لم يكن منفصلا عنهم جغرافيا ، ومن خلال سويات طبقات البناء الحلادية عشرة في هذا التل تاكد ان الفخار الاسود المصنوع محليا كان سائدا ، ولكنه كان ممزوجا بفخار آخر هو فخار تل حلف المطلي الذي سمي باسم هذا التل حيث تم العثور عليه لاول مرة ، واما فخار تل حلف هذا فقد صنعه شعب كان ارقى حضاريا من موجات السكان البدائيين في تل الشيخ ، وفي عصر الحضارة الكالكوليتيكية الذي كان فيه السكان المذكورون بدائيين ، وكان استعمال الحجر ما زال سائدا في الحاجات الحياتية اليومية ، وحتى في كثير من اغراض الحياة ، فان هؤلاء السكان تعلموا كيفية اذابة النحاس ، وطرقه وتصنيعه للحصول على الادوات والاسلحة التي يحتاجون اليها ، وفي هذا الزمن كان معدن النحاس نادرا وغالي الثمن ، ولكن استعماله في الامور المعيشية كان ضروريا ومفيدا مكن الانسان من اقتناء ما يحتاج اليه من ادوات معدنية كان الحصول عليها مستحيلا عندما كان الانسان المذكور لا يعرف الا صناعة الادوات الحجرية ، وهذا دليل على التقدم الحضاري الذي خطا خطوات واسعة الى الامام .

واما فخار تل حلف الذي صنعته يد الانسان بمهارة فائقة ، فان اجود انواعه كان ناعما شبيها بنعومة وملاسة قشرة البيضة ، واما سطحه فكان مصقولا املس ، ومزينا برسوم من طلاء احمر او اسود لامع ، وغالبا ما كانت هذه الرسوم متداخلة ، وجذابة ، واما البلاد التي اهتمت بصناعة هذا النوع من الفخار فكانت المنطقة الشمالية من بلاد ما بين النهرين بدءا من مدينة كركميش على الفرات / التي كانت تصنع قسما من هذا الفخار كما دلت على ذلك الافران المكتشفة فيها / وصولا الى الشرق عبر تل حلف في وادي نهر الخابور الاعلى ، وحتى نهر دجلة ، ولا شك ان التجارة القائمة هي التي حملت هذا الفخار الى سهل العمق ، وان التجار الشرقيين هم الذين جلبوه عندما سعوا الى الحصول على الاخشاب اللازمة للبناء من جبال الامانوس .

ويدل اقدم فخار مطلي تم العثور عليه في تل الشيخ انه مستورد ، وان سكان التل الذين اعتادوا على استعمال الصحون والطاسات السوداء المتماسكة التي كان يجود عليهم بها الفخار المحلي وجدوا انفسهم مشدودين الى فخار تل حلف الأخاذ الجذاب ، وبات والحال هذا لزاما على صناعة الفخار المحلية ان تدخل في صراع مع فخار تل حلف الاجنبي .

لقد وجدنا في تل الشيخ ادوات فخارية مثل الأواني وغيرها تقليدا لما هو مصنوع في تل حلف ، ولكن سوء الصنعة والتصميم كان باديا على هذه الأدوات ، ومن النظرة الاولى الى الفخار الذي صنعت منه ، والى طريقة تلوينها يعرف المرء ان مصدرها هو تل الشيخ ، وليس تل حلف ، ذلك كان في البداية ، واما في نهاية مرحلة السوية الحادية عشرة من طبقة البناء في تل الشيخ ، فان تطورا طرا على صانع الفخار في سهل العمق إذ ترك صناعة الفخار الأسود ، واخذ ينتج انواعا من الفخار مماثلا لما هو مصنوع في تل حلف بدا من الصعب جدا التمييز بينهما ، ومن خلال كل احتمال آخر خاص بفخار سهل العمق ، فان من الثابت ان هذا السهل اخذ يصبح امتدادا غريبا صغيرا لمنطقة تل حلف، وقبل ان يتم مثل ذلك ، فان عاملا جديدا مؤثرا طرا على صناعة الفخار المحلية شمل مساحة كبيرة ضمت بلاد ما بين النهرين باستثناء القسم الشمالي منها ، اذ اخذت هذه الصناعة تنتج ما يسمى اليوم بفخار تل العبد مثل : الاباريق المصنوعة باليد التي كان سطحها في معظمها مطليا بطلاء ابيض اخضر مزينا برسومات هندسية ملونة باللون الاسود او الاسمر ، وقد ظهر هذا النوع من الفخار في زمن متاخر عن فخار تل حلف ، ولم يكن دقيق الصنعة ، ولكنه انتشر انتشارا واسعا دام طويلا في سهل العمق ، واعتقد جازما أن التجارة الدولية السائدة هي التي ساعدت على ذلك ، لا عن طريق الحرب ، لان الفخار المذكور اخذ يتغلغل شيئا فشيئا ، ولم يسبب انقطاعات في استمرارية وجود تل الشيخ ، وانما عن طريق السلم ، وعبر تاريخ بلاد ما بين النهرين المتلاحق ، فان هذه البلاد من اجل الحصول على ما تحتاج اليه من اخشاب ـ كانت ملزمةباستيرادها من جبال الامانوس ، وليس لدينا اي شاهد كتابي يرشدنا الى تاريخ قيام تجارة الاخشاب هذه التي كانت حتما مزدهرة بدءا من العصر الذي حصلنا فيه على وثائق خطية تؤكد ذلك ، اي عندما قطعت شعوب بلاد ما بين النهرين شوطا بعيدا في الحضارة دفعها الى تشييد القصور والمعابد : / تم مؤخرا العثور على بقايا قصور تل العبد / فاحتاجت الى الاخشاب المستوردة من اجل البناء ، ولا شك ان وجود فخار تل العبد في تل الشيخ المشرف على الطريق الرئيسي الخاص بالتجارة الدولية بما فيها تجارة الاخشاب هو اكبر دليل على قيام التجارة الواسعة بين الشرق والغرب .

كان ورود فخار تل العبد المنافس لفخار تل حلف الى سهل العمق مفيداً إذ اقلع صناع الفخار في تل الشيخ عن تقليد صناعته وفق اسلوب التل الاول ،

او اسلوب التل الثاني ، واخذوا استنادا الى الاسلوبين المذكورين ، واعتمادا على ما اكتسبوه من خبرة في هذا المجال يطورونه ويصنعونه بعد ان يضفوا عليه من طابعهم الخاص ، واما الفخار الذي عثرنا عليه في السوية العاشرة من تل الشيخ فبدا معظمه او كله صناعة محلية ، ولكنه جذاب واصيل ، كما تؤكد تلك الاواني الفخارية المبينة في الصورة رقم /٣/ ، واما الطابع الفني السائد في هذه الصناعة فكان غامضا ، لكن الزخرفة كانت في مجملها منسجمة وشكل الاناء الذي زينته اذ بدا انه هو الذي اوحى بها ، وان آثار الامتزاج المتزن في لونيه الغامق والفاتح كانت واضحة فيه بينما كانت غائبة في فخار تل العبد المستورد ، وقد اظهر صناع الفخار في سهل العمق براعة تتناسب وعبقريتهم في هذا المجال، وكانت بمثابة الفال الحسن بمستقبل كان من نتائجه ان ازدهرت التجارة وعمت منتوجات سهل العمق في هذا الزمن كل مكان وصولا الى مدينة مرسين ، والى مدن اخرى ابعد في كليكيا ، وهذا الامر الواقع يؤكد من جديد ان سهل العمق بطرقه البرية والبحرية كان قد انصرف الى التجارة الخارجية منذ القديم .

من المسلم به ان الفخار الممتاز المكتشف في السوية العاشرة من تل الشيخ لم يبق واحدا متماثلا بعد سقوطه وبقائه الطويل في جوفها اذ ان المزخرف منه الذي عثرنا عليه في الطبقات الاثرية المتعاقبة من السوية المذكورة لم يكن الا انعكاسا عفوياغير دقيق لأول انتاج من الفخار انتجته افران تل الشيخ المحلية، ومن المرجح جدا ان تكون قلة الجودة هذه هي طريقة الانتاج المتمثله في انتاج مجموعات فخارية من نوعيه واحدة كثيرة بغية تلبية طلبات الفخار المتزايدة ، ولكن ليس معنى ذلك ان صناعة الفخار الاصلية في تل الشيخ قد اختفت اذ يدحض هذا الزعم تلك الآنية الجذابة التي يراها المرء في اول الصف الثاني :

من الصورة رقم /٣/ انظر اليها التي ضمت مجموعة رائعة من الاواني الفخارية ، وقد تم العثور على الآنية المذكوره التي تحمل طابع فخار تل الشيخ الراقي في السوية رقم /٢/ التي تمثل آخر مرحلة من مراحل التل المذكور . ولم يقف ذوق سكان هذا التل عند صناعة الفخار بل تعداه ـ والكتابة ما زالت غير معروفة ـ الى صناعة الاختام المنقوشة على الحجر الهش ، او على العظم ، والتي كان يستعملها الافراد في تثبيت ملكياتهم الخاصة ، واما عملية الختم بهذه الاختام ، فكانت تتم بأخذ قطعة من الفخار اللين ، ثم تمدد على غطاء آنية ، او تمدد على عِقدة حبل يغلق فوهة سلة بشكل محكم ، ثم يختم الغطاء المذكور ،

او العقدة المذكورة بخاتم المالك الذي كان حريصا على خاتمة من الضياع ، او الوقوع بيد العابثين ، وقد تم **العثور على نماذج من هذه الاختام في الطبقات الأثرية المتعاقبة** ، وهي تصور تطور عملية النقش البارز ، ويلاحظ المرء على **اقدم** نوع من الاختام **المذكورة** اشكالا هندسية مضطربة برزت على السطح ، ثم ما لبثت هذه الاشكال **ان ارتقت فتجسدت** في رسم هندسي دقيق برز على صورة نبات او وردة ، ثم على صورة حيوانات بدا بعضها جذابا وطبيعيا ، **انظر اللوح** / ١ ، ب / . ومن بين هذه الاختام عثرنا على خاتم مكسور يمثل صورة انسان . واما عملية فن النحت على الحجر في هذه الأثناء فبدت أنها **قد اخذت** طريقها الى التطبيق ، **وان هناك اتفاقيات قائمة تتعلق بتنفيذ** اعمال تتم عن طريق النحت ، اذ تم العثور اثناء التنقيب **على حجر هش نحت عليه راسان** صغيران لكبشين بطريقة فنية **جذابة جعلت الراسين يبدوان منسجمين** مع نموذج فني معين فاتخذا شعارا دينيا مقررا .

واما فئات المزارعين البدائيين في تل الشيخ **هذا فتحولت خلال عصور** متلاحقة الى طوائف متقدمة لها تقاليد حضارية راقية ، **وتتعامل مع عالم** واسع بقيت فيه محافظة على شخصيتها الفريدة **وحضارتها التي تعود الى** العصر النحاسي / الكالكوليتي / .

هذا وفجأة بدت نهاية العمل في تل الشيخ **بعد ان عثرنا في سطحه** على كسر فخارية من عصر البرونز ، وتحققنا **من وجود مستودعين من الردميات** حفرا في الطبقات الأثرية التي تعود الى العصر الحجري النحاسي، وبدا ان ذلك كان قد تم خلال سنين كثيرة لاحقة ، وان موقع تل الشيخ كان طيلة هذه الفترة خاليا من السكان ، واما تنقيباتنا العلمية فيه ، فلم تقدم لنا اي رابطة بينه وبين مركز عملنا الاساسي في قرية العطشانة ، اذ لم نقف من خلالها على اي تاريخ متدرج ، وانما وقفنا على شواهد خاصة بالعصر الحجري النحاسي ، وعلى شواهد تربط هذه الفترة بتاريخ عصر البرونز الخاص بقيام مدينة آلالاخ التي بقيت خلاله دون تاثير فعال يمكن تحديد مدته .

ومن **حسن الحظ استطاع الاستاذ / سنكلير هود / أحد اعضاء البعثة المنقبة** العثور على تل صغير يقع شرق قرية العطشانة جمع منه كسرا فخارية مماثلة لنماذج كثيرة جمعت من مواقع اخرى في سهل العمق ، ولكنها لم تظهر

في قرية **العطشانة** ، او في **تل الشيخ** ، واما التنقيبات المحددة التي اجريناها في التل الصغير الذي هو **طبارة الاكراد** فقد ملأت لنا فراغا تاريخيا كنا نشعر به ، والقت كما اعتقد ضوءا كاشفا على التاريخ القديم .

واما الفخار المعروف **بفخار تل طبارة** ، فهو ما يسمى استنادا الى المكان الذي اكتشف فيه لأول مرة في فلسطين : **بفخار خربة الكرك** ، وهو فخار يصنع باليد ، وغالبا ما يكون سميكا وثقيلا ، ولونه اسود إلا احيانا ، اذ يكون أحمر ، وكثيرا ما يكون هذان اللونان ممتزجين ويلاحظ ذلك في طاسات الفخار التي يكون جوفها احمر ، وغلافها الخارجي اسود ، وفي جميع الأحوال سواء كان الفخار المذكور احمر او اسود فانه يكون جيدا ومصقولا ، واذا ازيّن اناء الفخار بالزينة فتكون زينته مؤلفة من اشكال هندسية بسيطة (من نوع الفانديق **Vandycks** واشياء اخرى من هذا القبيل) بارزة على سطح الاناء ، او ان هذه الاشكال تكونت نتيجة / رشومات واسعة ، وتتخللها اربطة ذات بروز خفيف تركت حزوزا وفرضا ، وهذا النوع من الاواني الفخارية هو من النوع الجذاب الذي يسترعي الانتباه – انظر اللوح رقم (٢) ، وقد تم العثور عليه في مواقع كثيرة من فلسطين ، وكانت صناعته متطورة ، ولكن وجوده هنا في فلسطين كان طارئا وبشكل عام فقد تم العثور عليه في طبقة من الابنية دمرتها النيران ، ويجمع كل الذين نقبوا في فلسطين ان الفخار المذكور فخار اجنبي على الأرجح حمله من بلاد الاناضول أولئك الغزاة الذين انطلقوا منها مدججين بالسلاح نحو الجنوب يذبحون سكان القرى والمدن الفلسطينية ، ويحلون مكانهم في الاطلال المحترقة ، ويدل على ذلك اقبية الابنية الباقية المتهدمة التي فرغت من كل شيء ، أو ان الغزاة لم يمكثوا هنا طويلا ، او انهم اختلطوا كليا مع من بقي من السكان الاصليين على قيد الحياة ، ولم يحافظوا زمنا طويلا على مهاراتهم الفنية ، واما فخار هؤلاء الغزاة في سهل العمق فبدا انه انتشر فيما يقرب من خمسين تلا من تلال هذا السهل ، وكشفت التنقيبات الجارية ان الغزاة رغم احتلالهم منطقة العمق بشكل صاعق فانهم سكنوها طويلا كما دلت على ذلك اربع سويات بناء في تل طباره . والى ابعد من سهل العمق الى الشرق في القوقاز الجنوبي بالذات اكدت الحفريات الجارية أن الفخار الذي تم اكتشافه فيه هو مماثل تماما لفخار سهل العمق ، ان كمياته غزيرة ، وصناعته متقدمة بدءا من آنية العصر الحجري الحديث البسيطة ، ومن الملاحظ ان القوقاز الجنوبي هذا هو الوطن الأصلي

لسكان خربة الكرك ، وان انتشار فخارهم على هذا النحو الواسع يتطلب تفسيرا يجب ان يأخذ بعين الاعتبار تلك الواقعة المثيرة المتمثلة بما يلي :

في الوقت الذي بدا فيه فخار خربة الكرك متجانسا مع الفخار القديم الخاص بمنطقة الاناضول الوسطى ، وليس متماثلا معه ، فان نموذجا آخر مميزا من فخار خربة الكرك هذه تم العثور عليه في / القبور الملكية / الحثيه في / آلادجا ـ حيوك / من منطقة / كابا دوكيا / في آسيا الصغرى ، ويعود تاريخ هذه القبور الى ما قبل الفي عام من ميلاد المسيح ، وفي هذا التاريخ كان الحثيون قد اقلعوا عن استعمال هذا النوع من الفخار واما وجوده هنا في القبور المذكورة فقد تكون اسبابه طقوسا دينية متوارثة ، وبالمناسبة لا بد من التنويه الى ان حثيي /كول تبه/ استمروا حتى بعد عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد على استعمال نوع من المواقد الطينية (او تلك القواعد التي توضع عليها آنية الطبخ وتوقد تحتها النار) ، ولا شك ان هذا النوع من المواقد المستعملة هنا في / كول تبه / هي نفسها التي كانت مستعملة في القوقاز الجنوبي ، وسهل العمق ، وبرايي ان هذه الشواهد يجب ان تكون هي التفسير لجميع الوقائع التاريخية المذكورة ، ولا اعتقد ان العلماء الاثريين الذين ادلوا بدلوهم في اصل الحثيين سياخذون برايي ، وتفسيري هذا الذي اعتقد انه صحيح .

عاش سكان خربة الكرك اول ما عاشوا في القوقاز الجنوبي ، وانشأوا فيه في بداية العصر الحجري حضارة العصر الحجري النحاسي خاصة بهم كان الفخار ابرز معالمها ، وفي منتصف الالف الرابع قبل الميلاد وقعت احداث مجهولة قد تكون جفافا او جوعا ، او تكون غزوا قامت به قبيلة قوية طردتهم من ديارهم ، فاضطروا الى التفتيش عن مكان جديد يعيشون فيه جماعات مع زوجاتهم واولادهم ، وهذا ما وقع كثيرا في الهجرات الكبيرة التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط عبر التاريخ ، ولو كانت هذه الهجرات على غير هذا الشكل عبارة عن افراد من المحاربين فقط لما تم العثور بينهم على أوان فخارية حملت طابعهم الفني الى الأمكنة الجديدة التي استقروا فيها ، لقد اتجه اناس خربة الكرك شرقا متخذين الطريق الأسهل الأكثر يسرا وانفتاحا نحو بلاد ما بين النهرين الشمالية عبر هضاب الاناضول ، لا يستقرون في مكان ، ولا يتركون اثرا (وهذا ما يفسر خلو منطقة نهر الخابور في سورية التي عبروا منها من فخار خربة الكرك حسب اعتقادي) وصولا الى سهل العمق الخصيب الذي حطوا رحالهم فيهبعد

ان قضوا على سكانه الاصليين ، لقد استقر جماعات خربة الكرك في سهل العمق لاجيال كثيرة متعاقبة ، ثم غزتها شعوب اخرى شديدة المراس جاءت من الشرق ، فطردتها وحلت مكانها في السهل المذكور وهكذا وجدت جماعات خربة الكرك نفسها في خطر داهم يهدد وجودها بالفناء فاضطرت مكرهة تحت وطأة السلاح الى هجرة ديارها في سهل العمق والتفتيش عن اماكن جديدة تأوي اليها ، وسلكت في سبيل ذلك طريقين كانا متوفرين ، الاول يتجه جنوبا ، والثاني غربا ، فسكن بعضها في سورية وفلسطين بعد ان ذبحت اهلها ، وشادت بيوتا على اطلال البيوت التي احرقتها ، واما بعضها الآخر فهربت عبر مضائق جبال الامانوس واتجهت شمالا بكل اناة حتى اصبحت قوية لها حلفاء ، فاسست هناك مملكة قوية استظلت بظلها .

وبالمناسبة اذا كان علينا ان نعترف ان اناس خربة الكرك هم اجداد الحثيين فقد روى كتاب العهد القديم ان الحثيين هم عبارة عن شعب اقام في فلسطين في عهد النبي ابراهيم قبل ان يؤسس هذا الشعب امبراطوريته الحثية بزمن طويل ، ويفرض نفوذه على فلسطين ، ولكن هذه الاقوال رفضت ، واعتبرت خطا تاريخيا اورده في الكتاب المذكور احد الكتاب المتاخرين ، وان هذه الرواية تحتاج الى دليل يؤيدها خاصة وان اسم الحثيين ورد في مناسبتين هامتين على الاقل تضمنتا احداثا تاريخية ثابتة وردت في وثائق معاصرة قائمة . هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية . لو كان اناس خربة الكرك حثيين لوجب أن يكون خلفاؤهم هم سكان فلسطين في عهد الاباء الاوائل ، واما ما يتعلق بمنطقة الاناضول فمن المعروف منذ امد بعيد ان الحثيين هم من اصل قوقازي انطلقوا من القوقاز ، واستقرروا في آسيا الصغرى ولم يحققوا انتقالهم هذا من الشرق الى الغرب دفعة واحدة بل على مراحل ذلك لان السلاسل الجبلية القائمة من الشمال الى الجنوب كانت تجعل من المتعذر قيام هجرات جماعية ، بالاضافة الى أن مثل هذا الانتقال لم يكن متيسرا لهم حتى بعد ان استقروا في منطقة كابا دوسا من آسيا الصغرى ، واصبحوا قوة عسكرية كبيرة ، فقد بقوا عاجزين عن قهر اولئك الجبليين العتاه الذين يحملون اسم / القوقازيين Gasqas / ، وتقع اراضيهم بين القوقاز وآسيا الصغرى ، لذلك كان لزاما على هؤلاء الحثيين ان يعرجوا نحو الجنوب الغربي تماما كما فعلت قبلهم جماعات خربة الكرك ، وتشير الوثائق التاريخية القليلة التي وصلتنا ان الحثيين جاؤوا من جنوب القوقاز وتقدموا

نحو قلب الاناضول يؤسسون عاصمة جديدة لهم في كل مرحلة من مراحل تقدمهم . فاذا كانوا قد جاؤوا من القوقاز ، وكانوا مضطرين للوصول الى الاناضول عبر سهل العمق فكيف تم لهم ذلك ! واذا كان الفخار الوحيد المكتشف بين كنوز قبور امرائهم السابقين من ذهب وفضة هو فخار خربة الكرك ، فاننا لا نستطيع والحال هذا الا ان نضع هؤلاء الناس الغزاة في عداد ذلك الشعب الذي حمل معه الفخار المذكور من القوقاز الى سهل لعمق الذي استقر فيه ، ثم طرد منه الى مكان آخر ياوى اليه ويتخذه وطنا .

لم ينته موضوع الحثيين المثير اذ يجب علينا ان نفتش عن فخار خربة الكرك خلال مراحل تقدم الحثيين المختلفة في آسيا الصغرى ، وقد ساهمت اعمال التنقيب التي جرت في تل طباره الاكراد في البحث عن اصل الحثيين الشائك ، وكشفت ان هذا التل حوى سبع سويات سكنية ، وعثر في اربع عليا منها على فخار خربة الكرك ، واما في الاسفل في السوية السابعة فقد تم الكشف عن بناء هام من الآجر المشوي ، وعن فخار ولقى صغيرة مشابهة تماما لما تم العثور عليه في السويات العليا من تل الشيخ ، وهذا يكشف لنا عن تلك الاستمرارية التي نفتش عنها القائلة ان تل طباره الاكراد اصبح في وقت ما خلفا مباشرا لتل الشيخ ، وقد عثر في سويتيه السادسة والخامسة على نموذج جديد من الفخار بدا في مادته ، وفي شكله كأنه ذو صلة وثيقة مع فخار تل /اوروك/ الوركاء في بلاد ما بين النهرين الجنوبي ، وانه شاهد جديد على العلاقة التي تربط سهل العمق بهذه البلاد ، وان هذا الفخار فخار / اوروك / الوركاء هو الذي حل مباشرة في الاستعمال محل فخار تل / العبد / الذي استمر زمنا طويلا في الاستعمال لا يمكن تحديد مدته ، والذي كما رأينا فيما تقدم انه هو الموحي بالفخار من العصر الحجري النحاسي الخاص بتل الشيخ . واما ظهوره في تل طباره الاكراد مباشرة فوق السوية المتاخرة من تل الشيخ فينسجم مع التسلسل التاريخي الخاص ببلاد مابين النهرين ، وانه اي / فخار تل العبد / هذا لم يحل محله في الاستعمال فخار خربة الكرك الا بعد انقضاء فترتي سكن وبان وجوده في تل طباره الاكراد كان اقصر من وجوده في بلاد ما بين النهرين ، او انه لم يصل الى سهل العمق الا بعد انتهاء تلك المدة التي تمت فيها صناعته في الشرق ، او انه كما هو راجع لم يصل الى السهل المذكور مبكرا ، وان الغزاة الوافدين من خربة الكرك الى العمق قد الغوا

استعماله ، واذا كانت هذه الفرضية صحيحة فمعنى ذلك ان غزو هؤلاء الغزاة لسهل العمق يكون قد وقع في النصف الثاني من الالف الرابع قبل الميلاد او قبل ذلك ، وهذا كله ينسجم والشواهد التي تم العثور عليها في قرية العطشانه التي بدت فيها السوية الرابعةعشرة / اي السوية الثالثة للسكن في تل طباره / معاصرة لفترة تل / جمدة نصر / في بلاد ما بين النهرين التي اعقبت فترة تل /اوروك / .

ولما كانت تواريخ الاحداث الواقعة في فترة ما قبل التاريخ لا يمكن تحديدها بدقة كاملة لفقدان الوثائق الكتابية المؤيدة لذلك ، فاننا نستطيع من خلال رابطة ما معترف بها تربط بين التسلسل التاريخي الخاص بالموقعين المذكورين / جمدة نصر ، وقرية العطشانة / ان نقبل بالتاريخ العام والخاص بالموقع الجديد / تل طبارة / ، هذا التاريخ الذي جاءت به تجربة طويلة جعلتنا نخصصه للموقع الآخر / تل الشيخ / ايضا .

تم العثور في السوية العليا الخاصة بفخار خربة الكرك في تل طباره الاكراد على كسر من الاواني الفخارية بعضها متحد ، وبعضها الاخر مطلي ، شبيهة بتلك الكسر التي تم العثور عليها في اسفل السوية السابعة عشرة من تل العطشانه ، وتبين من الكسر هذه ان الاواني الفخارية الخاصة بتل طبارة خربة الكرك لم يصنعها صناع الفخار فيه ، وانما جرى جلبها من معمل اخر ، وهي تختلف عن الاواني الفخارية المصنوعة في التل المذكور :

ليس من حيث النموذج فحسب ، وانما من حيث التقنية لان اعدادها جرى بطريقة الدولاب ، ولم يجر بطريقة اليد ، ولم تكن كثيرة ، وتم الكشف عنها في السوية العليا من تل طبارة كما ذكرنا ، ويبدو ان استعمال هذا النوع من الاواني الفخارية الجديدة كان غريبا على سكان قرية تل طبارة التي اندثرت ولم تعد قائمة . هذا وعلى سطح اطلال بيوت قرية تل طبارة الباقية ظهرت طبقة اثرية فقيرة لم تكن الا ارضا مفلوحة ظهر الى جوارها بقايا سكن يعود الى عصر الحديد ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على ان تل طباره قد اخلي بالقوة ، وبقي مهجورا ما يقرب من الف عام ، وكشفت اجزاء من اوان فخارية تم العثور عليها عن ان الاخلاء المذكور يتوافق مع وصول شعب جديد الى سهل العمق شاد فيه مدينة جديدة في تل العطشانه ، وكان يتمتع بمهارة

استعمال المعادن ، وصناعة الاواني الفخارية بطريقة الدولاب ، واما اناس خربة الكرك في تل طبارة فيبدوا بالمقارنة مع هؤلاء الغزاة القساة انهم متوحشون جهلاء يهربون من الجنوب الى الشرق .

علمت جاهدا ان افسر الشواهد التي وقعت عليها في قريتي تل الشيخ ، وتل طباره خربة الكرك ، ولكن يبقى من الخطأ الكبير الادعاء أن تفسيري هذا هو صحيح تماما ينطبق على منطقة سهل العمق كاملة ، فاذا كان تل الشيخ هو واحد من العديد من المواقع الاثرية في هذا السهل التي تهدمت ، فليس معنى ذلك ان يكون جميعها واقعا في سهل العمق حتى ولو بدا ان تل الشيخ خلا من السكان فليس هذا دليلا على ان سكانه الذين عاشوا حضارته قد زالوا من الوجود ، وهذا ينطبق ايضا على اناس خربة الكرك في تل طباره الذين سكنوا سهل العمق ايضا .

كان تل طبارة قريبا من المدينة الجديدة في تل عطشانه ، وهذا ما يجعل من المعقول القول انه عمّر طويلا ، واما باقي القرى فيبدو ان اهلهـا كانوا اناسا مسالمين فضلوا الاستسلام على الهرب وان يصبحوا اقنانا وفلاحين عند الغزاة الوافدين .

يصبح تاريخ الالاخ / تل عطشانة / اللاحق ، وكذلك تاريخ سورية الشمالية أوضح اذا قبلنا ان شعب هذه المنطقة كان خليطا من السكان ، وان العنصر السوري هو العنصر السائد فيها ، بيده زمام السلطة ، وتعيش الى جانبه اقلية من الحثيين ، وتبقى هذه الفرضية صحيحة طالما ان التحريات والتنقيبات في تل الشيخ ، وفي تل طبارة لم تعطنا الا الملامح المأسوية للقصة .

* * *

الفصل الثالث

بداية آلالاخ

السويات السابعة عشرة ـ الثالثة عشرة

كانت اعمال التنقيب التي اجريناها في التلين الصغيرين : تل الشيخ ، وتل طبارة الاكراد كما اشرت فيما تقدم اساسية لرسم تاريخ سهل العمق وصولا الى تحديد بداية هذا التاريخ ما امكن الى ذلك سبيلا خاصة والموقع الرئيسي في تل العطشانه لم يعرف السكان الا في عصر البرونز ، ولم يكن التحديد المذكور بالأمر اليسير اذ تطلب نوعا معينا من التنقيبات لم اقم بمثلها من قبل ابداً ، وبغية الوقوف على احصاء دقيق لعدد سويات البناء السفلى ، فقد اخترنا موقعا في المنطقة الرئيسية من مدينة العطشانه بلغت فيه اعمال التنقيب عمقا كبيرا ، وكشفت لنا سويات البناء الستة العليا عن مواقع بيوت كان بعضها محفوظا بشكل جيد وبعضها الآخر رديء ، وفي اسفل هذه البيوت كشفنا في السوية السابعة عن القسم الجنوبي الشرقي من القصر الملكي ، ولاحظنا ان هناك مساحة من الارض طولها عشرون مترا وعرضها خمسة عشر مترا سميناها / حفرة الطبقات الاثرية / ، وحفرنا الى جوارها بشكل منهجي مساحة تميزت انها امتداد للقصر ، والبيوت الخاصة ، حتى بلغنا السوية السادسة عشرة ، وهنا وجدنا انفسنا اننا اصبحنا تحت مستوى السهل المجاور ، وشعرنا بالارض اخذت تبدو رطبة مبللة بالماء ، وظهر لنا أن من الصعب التمييز بين آجر جدران هذه السوية وبقايا الآجر التي تحيط بها ، وعندما حاولنا النزول الى ما تحت السوية السابعة عشرة من الارض وقعنا في قلب الماء ، واوضحت لنا كسر الفخار المتواجدة في قلب الوحل اننا لم نصل

بعد الى الطبقات السكنية السفلى ، وان من المشكوك فيه العثور فيها على بقايا جدران بيوت متهدمة (علما باننا عثرنا على آجر دون اساسات مبنية بالحجارة) تساعدنا على القول بوجود سوية بناء ما ، واما العمق النسبي الذي يجب ان يصل اليه النقب في باطن الارض بغية العثور على فخار او اي معالم اخرى فلن يكون تحديد مدة الوصول اليه الا ضربا من قرار خطير يصبح نوعا من المجازفة كلما كانت مساحة الارض واسعة ، اذ من المحتمل جدا العثور على كسر فخارية مبعثرة مضطجعة على وجه الارض في حين تكون هذه الكسر هي من العناصر الاساسية في بناء ما ، وفي الوقت نفسه قد تكون هناك كسر فخارية مماثلة سقطت من سوية بناء اعلى ، ودخلت في قلب الوحل ، وهكذا بدا لي ان نتائج التنقيب في هذه البقعة لن تكون مشجعة للوصول الى ما نرجوه فقررت وقف الاعمال ، وعلى بعد خمسين مترا من حفرة الطبقات الاثرية المذكورة كشفت اعمال تنقيب المعابد المتتالية عن حفرة كبيرة ثانية ذات عمق مماثل للاولى ، ثم وجدنا ان مستوى ارض معبد السوية الواحدة والعشرين المرصوفة : هو مساو لمستوى ارض بيوت السوية السادسة عشرة ، وعندما رفعنا بعضا من بلاطات ارض المعبد الفخارية وقعنا في جوف الماء ، وعندما حاولنا الوصول الى اعمق مما وصلنا اليه كان الماء لنا بالمرصاد ، واخذت كميته تزداد اسرع من ضخها ، ثم بدات الحواجز الفخارية الهشة في مكان التنقيب تتداعى في الاعلى ، وتميع في الاسفل ، فاستحال استمرار العمل ، ولكن بدا لنا واضحا ان الابنية تمتد في جوف الارض الى عمق اكثر ، ولما كانت جدران المعبد مبنية بشكل اقوى من جدران البيوت الخاصة ، فقد ساعدنا ذلك على تمييزها عن غيرها رغم ظروف العمل القاسية ، وفي جميع الاحوال يجب ان نقول ان استمرار اعمال التنقيب في هذا المكان من المعبد هو من اهم الامور الملحة ، ولا يجوز التخلي عنها ، واذا توقفت الاعمال لفترة ما فليس الا للحصول على آلات وادوات تساعد على التغلب على المياه النابعة في مكان التنقيب ، ثم يستانف العمل .

اما الابنية في سهل العمق فقامت في الاصل على ارض جافة ، واذا بدت الآن مغمورة بالمياه فذلك سببه حاجز صنعه مع الايام مجرى نهر العاصي وارتفاع وقع على سوية سهل العمق اشرنا اليه سابقا ، ولما كانت سوية الطبقة المائية في هذا السهل ليست ثابتة فهي مرتفعة في فصل الربيع ، وتنخفض

صيفا بتاثير الحرارة لذلك عدلنا عن التنقيب خلال هذا الفصل ، وقررنا التنقيب في الخريف ، واحضرنا الى مكان العمل مضخات لضخ المياه ، واقمنا على ارض المعبد المرصوفة عربة عمل واسعة مصنوعة من جسور الفولاذ وصفائح حديدية تتسع لعمل عشرة عمال يحفرون الارض في حين تكون المضخات تعمل على ضخ المياه ، وعندما بدانا العمل اخذت عربة العمل تغوص في قلب الوحل بفعل وزنها ، واصبح من الخطأ الاستمرار ، وتعريض العمال لخطر انهيار الاتربة عليهم بسبب تصدع حواجز الجدران الجانبية في حفرة التنقيب . واما سوية المياه الجوفية المذكورة فهبطت بمقدار متر واحد منذ فصل الربيع ، وكان هذا بمثابة كسب كبير ، ولكنه يبقى قليلا اذا تم الحفر في الهواء الطلق ، واما اذا تم من قلب عربة العمل ، فاننا نستطيع الوصول بسهولة الى عمق اكثر من خمسة امتار تحت ارض معبد السوية السادسة عشرة ، قلت / الوصول بسهولة / وذلك استنادا الى راي مهندس بعثة التنقيب ، واما واقع الامر فان مشهد العمل بدءا من قلب حفرة او / مقطع / الطبقات الاثرية ومضخات المياه وانابيبها والروافع والسلالم والسطوح المترابطة كان عبارة عن حقل عمل خاص بمهندس ، وليس بعالم اثري يريد ان ينقب وفق قواعد التنقيب العلمية في مكان ملاته الاوحال ويتم تفريغه بواسطة السطول ، لقد كان مستحيلا الوقوف على اي اثر في مثل هذا المكان الموحل الذي كانت تغوص فيه اقدام العمال حتى الكعوب ، واحيانا كانت المياه اذا ما نبعت تصل حتى بطونهم فتجعلهم يعملون في قلب عجينة من الوحل لا يستطيعون من خلالها تمييز اي شيء ، لذلك كان منطقيا التدقيق في الاشياء الصلبة الموجودة في سطول الوحل المرفوعة من مكان التنقيب بغية العثور على قطع من الآجر المشوي او اللبن فيستوي ذلك مع الجهد المبذول ، وبهذه الطريقة يتسنى لنا ونحن ننقب في مكانين مختلفين ان نتأكد من حقيقة ما عثرنا عليه ، ونكون واثقين من تفسيرنا واستنتاجنا . واما الارض البكر في منطقة العطشانة فظهرت على عمق قدره/ ٤ر٢٠/اربعة امتار وعشرون سنتيمترا تحت البلاط المربع الخاص بالسوية السادسة عشرة ، وكانت هناك كتلة كثيفة من الآجر المشوي بدات قمتها ظاهرة في السوية المذكورة ، وكان من الممكن الوصول فيها حتى عمق مقداره / ٣ر٣٠ / امتار ، ولكننا لم نكن قادرين على معرفة حقيقة الاشياء في هذا العمق ، ولا على التمييز ما اذا كانت الكتلة المذكورة متجانسة ، ام انها قامت على مراحل تمثل فترات زمنية مختلفة ، كذلك لم نعد نستطيع ان

نكشف عن ارض او عن سطح ارض في المنطقة الواقعة امام هذه الكتلة التي ظهر وراءها امتداد منتظم خاص بطبقات ارضية مكونة من التراب الخالص ، وبعض البقايا الخليطة ، وهذا الامتداد اما ان يكون عبارة عن زيادة متدرجة في الارض او انشاءات او تسويات ارضية متكورة ، ويبدا من الوهلة الاولى ان هناك ارتفاعاً في السوية السادسة عشرة هذه بلغ اكثر من ثلاثة امتار ، وهو امر يدل على وجود فترات بناء عديدة ، ومع هذا لا يمكن ان يكون هذا الاستنتاج مؤكدا مئة بالمئة ، واما الكسر الفخارية التي عثرنا عليها ابان التنقيب فجمعت ودرست على اساس ان جميعها عائد للسوية السابعة عشرة ، ومن المحتمل ان تكون عائدة الى سويتين متعاقبتين او اكثر ، ولكن جميع هذه السويات كانت اقدم من السوية السادسة عشرة ، والاهم من كل ذلك ان ما كشفنا عنه قادنا الى بدايات تل العطشانة ، اي الى عصر الوافدين الجدد الى سهل العمق الذين شادوا بيوتهم الاولى على ارضه البكر .

ومن الواضح ان جميع فخار تل الشيخ ، وطبارة الاكراد قد تم صنعه باليد ، في حين تأكد ان كل فخار السوية السابعة عشرة في تل العطشانة قد جرى تحضيره بطريقة الدولاب ، فكان ذلك كافيا للدلالة على استمرار العلاقة القائمة بين هذين التلين،وهذا يعني وجوب الاعتراف بما كان قائما في تل العطشانة من حضارة وافدة تختلف عن كل حضارة سبقتها الى سهل العمق ، واذا دققنا في فخار السوية السابعة عشرة بدا لنا في مجموعه انه جديد يختلف عن فخار السوية السادسة عشرة ، ولكنه اختلاف في دقة الصنعة ، وليس في النوع ، كذلك فاننا لم نجد في السوية السابعة عشرة تلك الاواني الفخارية المطلية التي تزينها اشكال العصافير والحيوانات ، والتي عثرنا عليها في سويات البناء العليا، ولكننا وجدنا في السوية المذكورة بدايات لهذا النموذج من الأواني المطلية ، ومحاولات غير دقيقة للزخرفة ، وهذا يفسر ان الرقي اللاحق في سهل العمق لم يكن ثورة ، بل كان تطورا طبيعيا طرا على بداية حضارة سكان العمق الأولين الذين لا نستطيع الآن تحديد هويتهم ، والذين قطعوا شوطا في الحضارة ، اذ عرفوا كيف يصنعون الفخار بطريقة الدولاب ، وكيف يذيبون المعادن ويستخدمونها، فقد تم العثور في سوية البناء السادسة عشرة على قوالب حجرية لاذابة النحاس كما عرفوا طريقة تشييد الابنية القوية من الآجر المشوي ، ويبدو انهم لم يكونوا مطلقا على صلة بغيرهم ، ولم يكونوا من سكان بلاد مابين النهرين ، ولا من سورية الجنوبية ، ولم تكن هناك رابطة تربطهم ببلاد الأناضول ، لقد كانوا

من بلاد لا يعرف علم الآثار عنها الا قليلا ، ومن المحتمل ان تكون حضارتهم قد تطورت ليس بعيدا عن سهل العمق في هضبة حلب مثلا التي لم يجر التنقيب فيها حتى يرفدنا بمعلومات اولية عن هذه الحضارة ، وان وصولها الى السهل هذا هو امتداد طبيعي لحضارة متقدمة على حساب حضارة متخلفة ، ولكن هذا الامتداد لم يكن امتدادا هادئا خاصة اذا عرفنا ان سكان عصر تل طبارة الاكراد كانوا محاربين اشداء لا يتخلون عن ارضهم الا بالحرب او القوة ، ومن الملاحظ في هذا العصر ان الفخار كان غائبا (اذ لم يتم العثور في قرية العطشانة على اية كسر فخارية تعود الى هذا العصر) ، كذلك بدا ان الوافدين الجدد الى سهل العمق لم يقيموا في القرى القديمة القائمة ، بل شادوا مدينتهم على الأرض الحرة ، وكانما ارادوا من وراء ذلك ان يقيموا الدليل على انقطاع الصلة بين الماضي وحاضرهم ، كما واتضح ان قسما من سكان تل طبارة لم يشارك في النزوح الذي نشر الوافدين المذكورين نحو فلسطين ، وبلاد الاناضول ، وهذا ما دلت عليه نماذج فخار تل العطشانة (المستوردة) ، هذا الفخار الممزوج مع فخار خربة الكرك الذي تم العثور عليه في سوية تل طباره العليا الذي بقي قابضا على زمام السلطة في سهل العمق .

بدا عهد جديد في سهل العمق ، وعلى ضوء ماهو معروف فان سكانه القدامى سكنوا في قرى واسعة ، ولكنها قرى مزارعين بدائيين ، واما السكان من عصر البرونز فقد ارسوا اساس مدينة اخذت مع مرور الزمن اسم آلالاخ (وقد يكون هذا الاسم هو الذي اطلقوه على مدينتهم منذ البداية) ، وكان في عداد اول ما شادوا من ابنية بناء المعبد الذي كرّسوه لربة المدينة ، وهذه المدينة / آلالاخ / عاشت ما يقرب من الفي عام وتم خلالها اعادة بناء المعبد خمس عشرة مرة ، وبنماذج مختلفة ، وتم نذره لاكثر من ربة ، ولكن احدا من المصلحين لم يفكر بنقل مركز المدينة الحضاري الذي كرّم بناة اقدم معبد في المدينة الى اي مكان آخر ، قد يكون ما اكتشفناه من المعبد هو كل ما بقي منه ، وهو عبارة عن مكعب كثيف من الآجر بمساحة قدرها خمسة امتار مربعة وارتفاع مقداره اربعة امتار ، ومن المرجح ان يكون هذا الارتفاع قد كان اقل من ذلك في بداية الامر ، ثم ازداد بما اضيف عليه من انشاءات لاحقة تطلبها ارتفاع سوية الارض ، واما المكان الواقع امام واجهة هذا المكعب الشمالية الغربية فقد تم العثور فيه على مستودع كبير من الرماد ، والعظام الحيوانية ، وكسر

الفخار التي هي ولاشك بقايا القرابين المنذورة للمعبد ، واما القول ان المكعب المذكور هو مذبح او غير مذبح فذلك امر لا نستطيع الجزم به ، ولكننا نقول انه مكان مقدس على وجه التخصيص ، فقد اتضح من معبد السوية السادسة عشرة الجديد المشاد فوق اطلال المعبد الاصلي ان هذا المكعب كان موضع العناية والاهتمام والمحافظة ، وقد ارتفع قسم منه فوق ارض المعبد الجديد على هيئة مستطيل طوله متران وعرضه متر واحد تقريبا،(وقد يكون هذا الارتفاع هو بمثابة اضافة جديدة استقرت فوق المكعب القديم ، لكننا لا نستطيع ان نتبين فيها تغييرا في طريقة صناعة الآجر المستعمل) . ثم جرت تغطية هذا المستطيل بسقف بارز من الخشب ، وقامت امام ارضيته فتحة مربعة الشكل هي بئر ملأت قعرها الاحجار الضخمة التي غاصت في قلب رماد وعظام الحيوانات ، وهذا دليل على ان القرابين المنذورة للمعبد بقيت تذبح في نفس المكان القديم ، واما معبد السوية السادسة عشرة فكان كبيرا ، واكبر ما فيه اساساته التي تجاوزت حدود تنقيباتنا ، وقد كشفنا فيه عن الساحة الرئيسية التي بلغ طولها (١٨) مترا وعرضها (٦) امتار ، وان ارضها مرصوفة بمربعات من الفخار ، وتحيط بهذه الساحة جدران من الآجر المطلي بالطينة الملساء والكلس الابيض ، ولما كان الوجه الخارجي لهذه الجدران قد تم طلاؤه بالكلس الابيض فبدا طبيعيا ان تحيط بالساحة غرف لا نعرف عنها شيئا ، واما الشيئان الهامان فيهذه الساحة ، فكانا ذلك البناء المستطيل من الآجر الذي جرت تغطيته بسقف بارز من الخشب ، وتلك البئر المخصصة للقرابين التي تحدثنا عنها ، وقد امتدا معا حتى نهاية الساحة من الناحية الجنوبية الشرقية ، واما في النهاية الشمالية الغربية من الساحة فبدا الامر اكثر غموضا اذ قبل ان يتم رصف هذه المنطقة جرى فيها حفر بئر مربعة الشكل بدا قسمها العلوي مبنيا من طبقتين من الآجر ، وبلغ عمق هذه البئر حدود الارض الحرة المغمورة بالمياه ، فكان من الطبيعي ان نصفها بالبئر ، ولكن عندما بديء بحفرها لم يكن فيها ماء ، وبدت وكأنها موقد نار جاف ، وعندما انتهى حفرها مُلئت من جديد ولكن ليس بالتراب ، واما البئر الاخرى المخصصة للقرابين فامتلأت بالاحجار الكبيرة والصغيرة وقطع الصخور التي جلبت من الجبال البعيدة لأن مدينة العطشانة كانت خالية من مثل هذه الحجارة ، وكانت المهمة شاقة وغالية الثمن خاصة وبين الحجارة المذكورة مايزيد وزنه على ثلاثة اطنان ، ولولا الدافع الديني القوي لما تم انجاز هذه المهمة .

وبعد ان انتهى ملء هذا الموقد اي بئر القرابين بالحجارة ، وتمت تسويته ووضعت عليه البلاطات قامت فوقها كتلة آجرية مستقلة بلغ ارتفاعها مترين ونصف المتر وكانت بمثابة جدار طوله خمسة امتار ونصف المتر ، وسماكته قدرها متر ونصف المتر ، وله في وسطه فتحة واقعة في اسفل باب يعلوه ساكف مسطح ، وكانت هذه الفتحة التي تم بناؤها بعناية فائقة محاطة بآجر مطلي يجعلها خافية عن الانظار ، واما الكتلة الآجرية المذكورة التي سميناها / المصطبة / قياسا على ابنية المدافن المصرية المرتفعة ذات الابواب الوهمية ، فبدا ان هذه المقارنة كانت خاطئة ، وخاصة ما يتعلق بفتحة باب هذه الكتلة التي بدت ملتحمة تماما مع الموقد المذكور المحفور في جوف الارض ، والذي تم ملؤه بالحجارة بجهد كبير بعدما انتهى حفره ، وهذا ما يهيء للعالم الاثري موضوعا مثيرا يجبه يتعلق بموضوع العبادة التي كانت تقام في معبد المدينة ، لكننا الآن لا يجوز لنا ان نذهب بعيدا .

تحدثنا المخلفات الحضارية ان شعوب العصر البرونز الباكر حافظوا على دين اجدادهم عن طريق تشييد ابنية المذابح للقرابين التي يفسرها اذا جاز لنا القول ، قيام تلك الابنية المسقوفة بالآجر قياسا على ما كان متبعا في معبد السوية السابعة عشرة ، وان دياناتهم خاصة بهم دون غيرهم من بلاد ما بين النهرين ، او مصر ، وقد عثرنا في بيت من السوية السادسة عشرة على لوح اردوازي طري يستعمل للكحل شبيه بتلك الالواح التي عثر عليها في مصر ، والتي تعود الى منتصف فترة ما قبل السلالات ، فاذا اخذنا بعين الاعتبار مثل هذه اللقى ، ودورها في الاتصال الذي كان قائما بين سهل العمق ووادي النيل، وليس من الضرورة ان يكون هذا الاتصال اتصالا مباشرا ولكن هذا لا يعني ان سهل العمق كان خاضعا في هذه الفترة للنفوذ المصري ، بل على العكس فقد كان السهل متقدماً حضاريا عن مصر اذ دلت الأواني الفخارية المطلية التي تم الكشف عنها في السوية السادسة عشرة ، والتي صنعها سكان العمق الاولون : انها متقنة الصنع ، وانهم كانوا ينتجون آنية فخارية جذابة اجمل من تلك المبينة في اللوح رقم /٣/ ، وانهم طرحوا في الاسواق نموذجا من هذه الاواني بقي سائدا الف عام ، وبدءا من عصر هؤلاء السكان وحتى القرن الثامن عشر قبل الميلاد بقيت اشكال هذا النموذج وزينته هي الطابع المميز الدقيق للأواني الفخارية في مدينة العطشانة ، وقد تم تطبيق الاسلوب الخاص بالنموذج المذكور

في صناعة الفخار بكل دقة ، واذا صدف ووقع بين ايدينا اناء فخاري مطلي ، ولم نتمكن من معرفة سوية البناء التي يعود اليها لم نستطع والحال هذه ان نحدد زمنه في قلب الالف عام المذكورة حتى ولو استندنا الى الطريقة التي تمت فيها صناعته ، لذلك فانني لا استطيع ان اضيف شيئا الى ما ذكرته خاصة وانا امام تقليد لايمكن تجاوزه عند صناعة الفخار(1) .

واما الفترة التي اعقبت عصر السوية السادسة عشرة المزدهرة والتي تتسم بالابداع ، فكانت فترة ركود وانحطاط ، ولكن ليس هناك ما يشير الى ان سبب ذلك هو الحرب التي جلبت الويلات والدمار والحرائق التي دمرت البيوت والمعبد ، ولكنه الاهمال والنسيان الذي اصابها فتداعت فجرى ترميمها خلال الفترة المذكورة ، واما المعالم الحضارية الباقية من فترة الركود هذه فكانت قليلة وشحيحة ، ولاشك ان مثل هذه التبدلات يمكن لها ان تصيب اية مدينة ما ، ويكون لها سبب او اسباب ، ويمكن للمرء ان يجد ما يماثلها في امكنة اخرى كتلك التبدلات التي وقعت في بلاد مابين النهرين التي تمثل فيها فترة تل / الوركاء / عصر تقدم وازدهار ، في حين تمثل الفترة اللاحقة الخاصة باناس جمدة نصر الوافدين ، اي فترة الفنون فقط (دون فترة التاريخ السياسي التي لا نعرف عنها شيئا) . ايام بؤس وشقاء ، اذ استطاع هؤلاء الوافدون الجدد الى بلاد مابين النهرين ان يستقروا فيها بوسائل شرعية وغير شرعية ، ولكنهم لم يستطيعوا في البداية ان يتمثلوا تلك الحضارة المتقدمة التي اقامتها الامم التي سبقتهم الى هذا المكان ، ولكنهم ارتقوا فيما بعد الى ما فيه الكفاية فمهدوا السبيل امام الانجازات التي حققها سومريو السلالات الباكرة ، واما سوية البناء السادسة عشرة في تل العطشانة فمعاصرة للنصف الثاني من الفترة الزمنية الخاصة بتل / اوروك / الوركاء ، واما سوية البناء الخامسة عشرة فمعاصرة لبدايات فترة جمدة نصر ، وبالمناسبة فانني اميل الى ربط تلك التبدلات التي اصابت / آلالاخ / بتلك الطلبات المتزايدة على الاخشاب من جبال

(1) ونال الصحن المزخرف باوراق شجرة الصفصاف الباكية شهرة كبيرة خلال مئة وخمسين عاما في انكلترا ومازال ، ولكن هل تدوم هذه الشهرة الف عام آخر .

الامانوس التي احتاج اليها ملوك / اوروك / الوركاء لتنفيذ برامج البناء التي اعدوها ، والى تلك الازمة التجارية التي اصابت اناس جمدة نصر نتيجة الغزو الذي وقع ، ومن الملاحظ ان تحسن الاحوال في بلاد مابين النهرين كان يعقبه تحسن الاحوال في سهل العمق ، واما سوية البناء الرابعة عشرة في قرية العطشانة فمعاصرة لفترة جمدة نصر ، ويدل على ذلك ما كشفنا عنه في اطلال بيوت هذه السوية من نماذج خاصة بالصحون الفخارية التي تم العثور على ما يماثلها في العديد من المواقع الاثرية في بلاد مابين النهرين ، وخاصة في سوية جمدة نصر ، وان دل ذلك على شيء فانما يدل على العلاقة القائمة بين سهل العمق وتلك البلاد ، ويدل ايضا على ان الفرضية القائلة بوجوب وجود مثل هذه العلاقة اصبح الآن حقيقة تاريخية ، وان هذا الاتصال لم يكن نتيجة حرب بل نتيجة علاقات تجارية قامت وترعرت وتوسعت وافادت / آلالاخ / تبعا لرقي وتقدم سكان جمدة نصر ، واما في السوية الرابعة عشرة فعثرنا على المعبد وقد اعيد بناؤه كاملا ، ودل ما بقي في مقطع الطبقات الاثرية المتعاقبة ان هناك بيوتا جديدة قامت في الحي المخصص للسكن ، وانها اقوى وامتن من بيوت الفترة السابقة اي فترة السوية الثالثة عشرة ، في حين دلت الاواني الفخارية الرقيقة المطلية المكتشفة على ان هذه الفترة غنية ، وكما كانت الحال في بناء البيوت الجديدة كذلك كانت في بناء المعبد الجديد الذي لم يكن بناؤه وفق اسلوب بناء المعبد السابق ، اذ قام قويا بسيطا على سطح مرتفع مكون من تجميع وتسوية انقاض قديمة ، ويتالف المعبد الجديد هذا من باحة امامية يحيط بها سور مزين بافاريز ، وله من الامام رواق واسع اكثر مما هو عميق ، وتقوم وراءه صالة كبيرة مربعة الشكل هي بمثابة محراب المعبد ، واما التبدل الاساسي الذي طرا على مخطط المعبد الجديد فلا يعني ابتعادا كليا عن اسلوب البناء التقليدي السائد في بناء المعابد ، اذ تم في محراب هذا المعبد وبالقرب من المذبح الاحتفاظ ب / المصطبة / القديمة من السوية السادسة عشرة ، واما قسم المصطبة السفلي فبدا الآن مدفونا في قلب الركام ، ولكن جزءا منه بقي بارزا على وجه الارض بارتفاع تراوح بين / ١ر٢٠ / متر و / ١ر٥٠ / متر ، واما هذه المصطبة فكانت هي الاثر الوحيد الذي حواه المعبد الجديد الذي قام

حولها ، لذلك لا نستطيع والحال هذه الا ان نفترض ان الصالة الكبيرة المربعة الشكل المذكورة هي مدينة بصفتها المقدسة الى وجود / المصطبة / فيهـا ، علما ان هذه الابدة ليست هي الرابط الوحيد بالماضي ، واما الصفـة البارزة الاخرى الخاصة بمعبد السوية السادسة عشرة ، فكانت ذاك البناء الغريب / الموروث من الماضي / الذي كانت تقدم عنده القرابين التي شوتها النيران ، وكان يقع في اقصى الجنوب الشرقي من الباحة ، وتغطيه مقدمة المعبد الجديد الكثيفة التي لم تترك شيئا يبرز منه ، وهكذا تم الحفاظ على المكان المخصص الذي تقبل عنده القرابين وتشوى اذ وجدنا في رواق المعبد فرنـا كبيرا او موقدا واقعا امام الوجه الداخلي الخاص بجدار مقدمة بناء المعبد المذكور ، اي في الجهة الشرقية من / المصطبة / ، وتقضي طقوس المعبد ان تصل الضحية اول الامر مشوية ، ثم توضع على منصة من الآجر قائمة في قلب المعبد تجري عليها طقوس معينة يدشنها الرجال ، تلك كانت صورة المعبد الاصلية ، ولكنها تبدلت بمرور الايام . اذ طرات على بنيته تبديلات هامة جملته يبدو مختلفا عن شكله السابق ، وقد تم في المكـان المقابل للوجه الداخلي لمؤخرة الجـدار الشـمالي الغربي مـن المعبـد اقامـة كتلـة جديدة سميكـة مـن الآجـر سدّت الممر الواصل بين هذا الجدار والمصطبة ، وجرى في نفس الوقت ملء الفراغ الواقع بـين / المصطبـة / والجـدار الشـمالي الشرقي بالآجـر ، فتحول الى سطح كبير شغل نصف مسـاحـة هذا الفراغ ، وامـا في رواق المعبد فان كتلا مشابهة من الآجـر اضيفت على الجدارين الواقعين في نهايـة المعبد اكسـبتهما سماكة زادت عن خمسـة امتار ، واما الكتلة الجنوبية الغربية فكانت ملتحمة ، في حين قامت في وسط الكتلة الشمالية الشرقية فتحة عميقة ، وتم في هذا الوقت اقامة منصة واسعة من الآجر امام الجدار الشمالي الغربي من المعبد ، واما السبب البديهي للزيادة الطارئة على سماكة جدران المعبد فكان اتاحة الفرصة امامها لتزداد ارتفاعا ويتحول المعبد الى برج شاهق ، ولكـن هذا التحول الواقع في داخل المعبد تطلب اعمالا اكثر مما تم ، اذ ان استبدال السطح الكبير في المعبد بغرفة قام في قسم صغير منها منبر مركزي مسـتقـل قضى بادخال تعديل على الطقوس الدينية ، كذلك فان وجود فتحة في الجدار

الواقع في اسفل الغرفة الداخلية من المعبد الى جانب المنصة قد قضى ايضا بان تتحول الفتحة المذكورة الى صالة للعبادة ، وتم في الوقت ذاته تعليـة ارض الغرفتين المذكورتين ، واما باحة المعبد السماوية المتقدمة فجرى رصفها مـن جديد الى سوية اعلى ، وهكذا نستطيع مما تقدم ذكره ان ناخذ فكرة موجزة عما وقع من اعمال في المعبد ، اذ اضيف الى مساحته الرئيسية سويتان ، واما المكان الواقع امام مقدمة المعبد فكان بارزاً مستويا مـع عتبة الدخول الـى المعبد ، ولكنه كان منخفضا بمقدار / ٤٥ / سم بعد ثلاثة امتار من هذه المقدمة ولم تكن ارضه المنخفضة مفروشة بالطينة الا في القسم الأعلى منها المرصوف بالآجر ، وقد كشفنا تحت هذا القسم في المرحلة الأخيرة من العمل ان هذا المكان المنخفض حوى مستودعاً ضم بقايا من الرمـاد ، وعظـام الحيوانات وكِسر الفخار ، وفضلات القرابين ، ويبدو من المعقول عندما اصاب الخلل المعبـد ان تكون هذه البقايا قد جمعت والقيت في هذا المستودع بغية اعداد ارضية لعملية الرصف الجديدة ، ولكن الأمر الاكثر احتمالا ان يكون هذا العمل قد تم بقصد تكبير المعبد ، وان التقاليد تقضي ان يصار الى القاء ما يبقى بعد الانتهاء من عملية القرابين في باحة المعبد ، ومثل هذا التصرف الذي يظهر في اهمـال بقايا القرابين والردميات البسيطة هو في اوروبا امر غير طبيعي ، ولكنه عـادي ينسجم مع ما هو سائد من اللامبالاه بهذه الردميات من المواد المنذورة فـي الشرق الأوسط .

هذا واما الكِسر الفخارية المأخوذة من مصباح عرفنا مؤخرا انه من النوع المسمى / مزمار الكاس / ، والموجود بكثرة في قبور عصر البرونز القديم فـي مدينة كركميش ، فان من المفيد ان نذكر انه تم العثور على ستين نموذجاً لهذا المصباح في قبرواحد من هذه القبور ، وان وجود ما يماثله في موقع تل المطشانة يقيم الدليل على وجود علاقة تبدو هامة بين الالاخ وكركميش خاصة وليس بين حضارة هذين البلدين كثير من الأمور المشتركة .

اما مخطط بناء مدينة آلالاخ الذي تقدم ذكره فيتوافق مع مخطط بنـاء فترتين زمنيتين متميزتين خاصتين بالبيوت السكنية القائمة في الحـي السكني

من المدينة التي ظهر /اوتسم/ في مقطع الطبقات الأثرية ، واما سوية البناء الرابعة عشرة فجاءت متطابقة مع اساسات هذا المعبد ، ولكن البيوت في السوية الثالثة عشرة اللاحقة فقامت على مستوى اعلى ووفق مخطط مختلف ، واما الاعمال في مكان التنقيب وفي الجهة الشمالية الغربية منه على التخصيص فكشفت لنا عن قسم من نموذج بناء ضخم وبارز انظر ــ الصورة رقم / ٦ / يتالف من غرفة واحدة تقترب مساحتها من مساحة غرفة بيت عادي ، ومن خلال هذا القسم من هذا البناء الضخم عثرنا على شاهد يساعد على عملية التاريخ ، واما سوية البناء الرابعة عشرة هنا فيجب ان تكون معاصرة لفترة جمدة نصر في بلاد مابين النهرين ، هذا وقد عثرنا في احدى غرف بيوت السوية الثالثة عشرة على ختم اسطواني مثل عليه مشهد الوليمة ، وهو في موضوعه وصناعته يماثل تلك الاختام التي كانت سائدة في النصف الأول من فترة السلالات الباكرة التي اعقبت سلالة جمدة نصر ، واما ما يتعلق بموقع البيوت فتبقى : السويتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة سويتين متميزتين ، وهكذا يمكن القول بكل تأكيد ان اعادة بناء مدينة العطشانة ، والتغييرات الطارئة على بناء المعبد القديم التي تركته قائما : قد اشتركتا معا في تغيير طابع المعبد ، وفي تحديد سوية البناء الثالثة عشرة الجديدة ، وليس غريبا والحال هذه ان نرى جدران المعبد السميكة تعيش اكثر بجيلين عن البيوت الخاصة ، وتستطيع ان تعمر اكثر من جيلين لولا احداث سياسية ارادت غير ذلك .

* * *

الفصل الرابع

تاسيس المملكة

السويات الثانية عشرة ــ الثامنة

يبدأ مع سوية البناء الثانية عشرة فصل من تاريخ آلالاخ ، وعندما بلغنا في تنقيباتنا هذه الطبقة من حفرة الطبقات الاثرية المتعاقبة اخذتنا الدهشة عندما اكتشفنا كتلة معمارية دائرية الشكل مبنية بالآجر المشوي بلغ قطرها المترين تقريبا وكانت قمتها خربة ، ولكن جوانبها كانت مطلية بطلاء املس ، والى جانب هذه الكتلة المستديرة عثرنا على كتلة ثانية ، وثالثة ، ورابعة ممتدة على خط مستقيم ، واخيرا عرفنا اننا كشفنا عن صف من اعمدة كثيرة بنيت بالقوالب الطينية (اللبن ، وانتصبت امام جدار سميك قام وراءه سطح مرتفع مرصوف بالآجر) يعلو البيوت الصغيرة القائمة على مقربة من صف الاعمدة الواقع في النصف الجنوبي من مكان التنقيب انظر اللوح رقم /٤/ .

كان الكشف المذكور مفاجأة وغريبا في سورية التي لم يعثر فيها من قبل على مثل هذا النوع من الاعمدة الطينية ، وكان ايضا بمثابة واقعة ليس لها سابقة محلية ، وليس لها ايضا استمرار في الهندسة المعمارية السورية باعتقادنا ، واما ما يماثل هذه الاعمدة فيمكن العثور عليه بعيدا عن سهل العمق في بلاد ما بين النهرين في / الوركاء / اوروك / اريش التوراتية ، والتي ازدانت مقدمة القصر فيها باعمدة عديدة من القوالب الطينية كسيت بالفسيفساء ، وتعود بتاريخها الى فترة جمدة نصر ، وكذلك في الجنوب من هذه البلاد في / كيش / اذ تم العثور في قصر من فترة السلالات الباكرة على صالة حوت في وسطها صفا من الاعمدة الطينية المتجانسة الملتحمة ، تلك هي فقط الاماكن التي

تم العثور فيها على هذا النوع من الاعمدة المذكورة ، واما في معبد السوية الثانية عشرة فعثرنا على ختمين اسطوانيين من نموذج السلالات الباكرة في بلاد ما بين النهرين ، وهذان الختمان كانا كافيين للدلالة على أن تاريخ السوية الثانية عشرة المذكورة معاصر لتاريخ فترة السلالات الباكرة في بلاد ما بين النهرين التي كانت آلالاخ على صلة وثيقة بها ، وان الاعمدة الطينية في آلالاخ هي صورة طبق الاصل عن مثيلاتها في بلاد ما بين النهرين .

نعتقد ان هناك بناء هاما في السوية الثالثة عشرة اتخذه احد المواطنين العاديين في آلالاخ بيتا له قام في موقع الاعمدة الطينية المذكورة ، وان هذا الموقع كان بدءا من تاريخ السوية هذه وحتى تاريخ السوية السابعة هو مكان القصر الملكي ، وهكذا تتضح طبيعة البناء الهام المذكور الذي تعود اليه اعمدة السوية الثانية عشرة ، واما مدينة آلالاخ فقد اغتنت من تجاراتها مع الشرق منذ امد بعيد ، وعندما قامت انتفاضة وطنية في بلاد ما بين النهرين ، ووضعت نهاية لنظام جمدة نصر في هذه البلاد ، برزت فيها ممالك المدن غنية طموحة راقية جعلت من عصر السلالة الباكرة فترة ازدهار قد تكون من اجمل ما عرف تاريخ وادي الفرات اذ اصبحت التجارة المذكورة من اربح الاعمال ، وأصبح ملك آلالاخ اثناءها من الاغنياء بالنسبة الى الغير ، او ان خليفته الملك الجديد اعتلى العرش بسلام ، او من المحتمل ان ثورة قامت في القصر الملكي قضت بابدال السوية الثالثة عشرة بالسوية الثانية عشرة ، وقرر الملك الجديد ان يحيا في سكن مناسب يختلف عن سكن من سبقه من الملوك ، وكان طبيعيا ان يشيد قصره وفق الاصول المعمارية الطينية عند زبائنه الشرقيين الاكثر حضارة ، وهكذا يتجلى لنا ان صف الاعمدة الآجرية الذي ادهشنا عند اكتشافه هو بناء شادته التجارة الدولية ، هذا ويكاد يكون من المسلم به ان تلجأ كل سلالة جديدة حاكمة الى بناء معبد جديد يخصص للأرباب المعروفة ، أو للرب الخاص بالملك الذي يحمي الملك ، وكان هذا البناء هو نوع من التكريم والعرفان بالجميل الذي يلتزم به الملك نحو الارباب التي تحميه او نحو ارباب خاصة بصديق حليف أو اقطاعي اتاه الخير منها ، وعلاوة على ذلك كانت عبادة الأرباب التقليدية هي الضمانة الاكيدة التي تبقي الملك في دفة الحكم ، واما ملك آلالاخ في عهد السوية الثانية عشرة فقد التزم بهذه القواعد ، واستنادا الى ما تقدم ذكره ليس هناك أي مبرر لافتراض يقول ان جدران المعبد السميكة كانت متصدعة لاتستطيع

ان تعمر سنين طويلة ، ولكن المعبد اصبح بوضعه الراهن نوعا من الطراز القديم يجب هدمه واعادة بنائه ، وفي هذه المناسبة فانني ارى ان الهدم المجاني الذي اصاب معبدا قدّسته السنون استطاع ان يوقظ بعض المشاعر الدينية ، تلك كانت الشيء الوحيد الذي استطعت ان اقف عليه نتيجة ما وقع في المعبد من اعمال ، واما معبد السوية الرابعة عشرة الذي جرى استعماله من جديد في زمن السوية الثالثة عشرة فان النيران لم تلتهمه ، اذ لم يلاحظ على وجوه جدرانه الداخلية ، ولا على مقدمة بنائه ، المطلية جميعا بالكلس الابيض ، اي اثر للحريق ، ولكن نار هذا الحريق اصابت وجه جدار المعبد الجنوبي الغربي الخارجي ، وجعلت وجه العمارة الطينية القائمة في هذا المعبد يبدو اسود من تاثير الدخان ، كما وتركت قسما كبيرا من الاشواك الخفيفة المتواجدة فيه تتفحم وتلتحم فيما بينها ، واما الشيء المثير في وقود هذه الاشواك فهو اشتعالها في الهواء الطلق بشعلة جميلة لا تنشر حرارة قوية ، ولا تلحق اذى بالجدران السميكة ، واما نار الحريق التي ازالت لون العمارة الآجرية الحمراء القائمة في المعبد فان أثرها لم يمتد في قلب هذه العمارة الا بمقدار سنتيمتر واحد أو يزيد على ذلك بقليل ، واخيرا وبعد القضاء على الحريق المذكور جرى تنظيف المكان بعناية فائقة حتى بدت الارض خالية من اية قطعة خشبية متكلسة ، وقبل ان ندرك حقيقة البناء الذي أصابه الحريق توصلنا الى نتيجة مفادها أن هناك نارا تقليدية قضت بها الطقوس الدينية بغية ابراز اثر الدمار الذي احدثه الحريق ، واما حقيقة ما وقع فعلا فهو ان ستارا من النيران حجب بناء المعبد موقتا ، واعتقد أن ذلك هو تفسير ما حدث ، فقد جمعت الاشواك اليابسة الى جوار جدران المعبد القديم واحرقت ، وهكذا تم رمزيا / تدمير المعبد / ، واخذت الاعمال تسير طبيعية ، اذ تم تعزيل المكان من الرماد ، ثم جرى هدم جدران المعبد القديم حتى بقيت على ارتفاع قدره ثلاثة أمتار من ارضيته ، واما داخل غرف المعبد ، وحول جدرانه الخارجية فقد فرشت الارض بالطين المعتاد مع الملاط فتشكل سطح قوي ضمّ كل مابقي من المعبد القديم ، وقامت عليه اساسات المعبد الجديد الذي كانت أبعاده مساوية لأبعاد المعبد القديم ، وحوى على محراب ضم غرفتين ، ولكنه بدا في مجموعه مختلفا عن المعبد القديم ، واما مقدمة سطح المعبد الجديد . فقد حجبها منحدر شديد الانحدار مطلي بطلاء أبيض ، وهذا النموذج من التحصينات المائلة التي

شاهدناها في الالاخ هو اختراع شمالي ، ثم نقلته القبائل المهاجرة معها الى الجنوب حتى ظهر في تحصينات الهكسوس في مصر ، في تل اليهودية عاصمة الساميين الذين سادوا وادي النيل فترة قصيرة من الزمن ، واما الدخول الى المعبد فكان يتم بواسطة درجات قريبة من الناحية الجنوبية من المعبد ، ثم يتابع المرء سيره في ممشى طويل عبر غرفة صغيرة ، او باحة سماوية فيها موقد نار لحرق القرابين ، وبابين يقع الاول الى اليمين ويؤدي الى غرفة اخرى صغيرة ، او الى باحة تقود الى غرفة قائمة امام المحراب ، واما الثاني فهو باب مدخل الممشى الذي انتصب فيه سلم خشبي ذو درجات يقود الى قلب المعبد وذلك لان بناء المعبد مع مرور الايام لم يبق على سوية واحدة في جميع اقسامه ، في حين كانت هذه السوية واحدة عندما بني المعبد لاول مرة ، وما ارضية غرفة قدس الاقداس فيه فكانت مفروشة بتراب الفخار وممهدة جيدا ، وكانت على الارجح مخصصة للطقوس الخاصة بالنذور ، ومع مرور الزمن جرى تبليطها بالآجر حتى ارتفاع بلغ / ٣٥ر٤ / امتار حتى اصبح المرء لا يستطيع الوصول اليها الا بواسطة سلم ، اذ لم يعد هناك اي اتصال مباشر بينها وبين صالة المعبد الامامية ، ولكن بابا كان قائما يقود على الارجح الى سقف هذه الصالة بحيث يمكن لقسم من طقوس المعبد ان يتم في الهواء الطلق ، وعلى مرأى من الجميع ، واما بناء المعبد الخارجي فكان يعكس شكل بناء متدرج ، اذ كانت باحته تشكل[1] اخفض مكان فيه ، وتقوم فوقها الغرفة الخارجية ، واما المذبح فكان يعلو كل شيء في المعبد كبرج الكنيسة ، واما في بلدة سليمية من وسط سورية فتم العثور على نموذج معبد طيني انظر الشكل رقم / ٩ / وهو نموذج عن المعبد الذي تقدم ذكره ، والذي اتسع واعيد بناؤه من الانقاض الباقية من معبد السوية الثانية عشرة .

اما النموذج المذكور فمثل المعبد الاصلي في شكله العام ، ولكن ابنية باحة المعبد السماوية لم تظهر في هذا النموذج ، وانما ظهرت تلك الغرفة العليا العميقة التي يقود بابها الى سقف غرفة المعبد الامامية ، واما الشخص الذي نفذ هذا النموذج فانه لم يكلف نفسه عناء ابراز السلم القائم في المعبد الاصلي ، وانما ابرز / وهذا لم تظهره انقاض الابنية / قسما من زينة الجدران الخارجية، ونوافذ غرفتي المعبد ، في حين لم يظهر في معبد قرية العطشانة الاصلي سوى طرف من نافذة الغرفة الامامية ، وهذا النموذج من المعابد ليس بالمصري .

---

(١) اطلقت على اقسام هذا البناء اسم الغرف ، او الساحات التي من المرجح ان تكون مغطاة .

ولا من بلاد الرافدين ، ولكن بسبب العثور عليه في سليمية وفي تل العطشانة ، فهو من سورية الشمالية التي اذا تذكرنا تلك العلاقة القائمة بينها وبين بلاد الحثيين استطعنا ان نجد هناك النموذج الباكر لبناء بيت / حيلاني / ، وهو عبارة عن بناء مرتفع ذو نوافذ اتخذه الملوك الآشوريون نموذجا مفضلا عندهم شادوا على غراره الابنية في بلادهم .

اما السوية الثانية عشرة فدامت زمنا طويلا ، واما البيوت الخاصة فدامت زمنا بلغ ثلاث فترات سكنية متميزة يمكن اعتبارها عائدة الى ثلاث سويات بناء مختلفة اذ لم يكن هناك ما يؤكد ان هذه الفترات الثلاثة معاصرة لفترة القصر واعمدته ، وهذا يعطينا وحدة زمنية لا يمكن اغفالها ابدا ، واما القصر الذي تعرفنا عليه من خلال قسم صغير منه هو كل ما استطعنا الكشف عنه ، فقد تبين ان هذا القصر جرى تعديله واعمدته مرتين خلال الفترة المذكورة ، اذ تم بصورة عاجلة هدم احد هذه الاعمدة لان اساساته بدت متضعضعة لانها عندما بنيت استندت في قسم منها الى احد جدران السوية الثالثة عشرة ، وفي قسمها الاخر على مكان قائم على بقايا متراكمة من احجار وغيرها ، في حين كانت بالوعة القصر تفرغ حمولتها من المياه المالحة في اسفل هذا المكان المضطرب الذي اخذ فيه العمود المذكور يتمايل الى الخارج بشكل مخيف فجرى احاطته بدعامة من الطوب غير المرتب ، واما الاعمال المذكورة فيجب ان يكون تنفيذها قد تم في زمن كانت فيه السلطة الملكية ضعيفة ، وكانت بيوت المرحلة الثانية قد تجاوزت الحدود القديمة المرسومة للملكية الخاصة ، اذ قامت هذه البيوت امام اعمدة القصر فعتمت على القصر ، وحجبت الانظار عن قسمه الرئيسي المعماري ، وعندما استعاد الملك سلطته خلال المرحلة الثانية هذه ، جرى هدم البيوت المذكورة المتجاوزة وبدت امام القصر تلك الباحة القديمة واسعة كما كانت في السابق ، وليس فيها سوى بناء وهو مؤلف من غرفة واحدة مخصصة لحرس القصر ، كما واعيد بناء اعمدة القصر ، وجرى تعديل صفوفها اذ لم يكن هناك في البداية سوى اربعة صفوف ، واما الان فأضيف اليها صف خامس قامت اساساته على مستوى اعلى ، واما الاعمدة القديمة فازيلت من اسفلها ، وانتصبت مكانها في ارومة الارض اعمدة جديدة ، واما الاحداث الكبيرة والصغيرة التي عانى منها القصر الملكي فتجسدت في التبدلات المتلاحقة التي وقعت فيه ، وعلى النمط ذاته جرى تعديل معبد السوية الثانية عشره مرتين ، وفي المناسبة ليس من

الضرورة بمكان ان نفترض ان تكون التغييرات الجارية في القصر قد وقعت في نفس مراحل البناء الذي تم في الحي السكني ، اذ المهم في الأمر ، والذي يعزز راينا هو ان سوية البناء في مجموعها تمثل مرحلة زمنية هامة ، إذ بين التغييرات الواقعة في القصر ، وبين مراحل البناء في الحي السكني ، فان مرحلة السويتين الثالثة عشرة والثانية عشرة يجب ان تقابل كامل المرحلة الخاصة بالسلالات الباكرة في بلاد ما بين النهرين ، اي تلك الفترة المتقدمة من الألف الثالث قبل الميلاد وحتى منتصف القرن الرابع والعشرين قبل المسيح ، واستنادا الى هذا الاستنتاج يبدو منطقيا القول ان تاريخ طبعة الخاتم الصلصالي الذي عثرنا عليه في معبد السوية الحادية عشرة ، ولأسباب فنية خاصة باسلوب الحفر على الاختام : هو تاريخ نهاية فترة السلالات الباكرة ، او من عصر سارجون ملك اكاد الذي يبدأ في عام /٢٣٠٠/ قبل الميلاد كما هو متفق عليه ، واذا سلمنا اولا ان الختم المذكور يمكن استعماله لمدة طويلة ، وسلمنا ثانيا ان وثيقة مختومة يمكن ان تحتفظ طويلا ايضا :

فاننا لا نخطىء القول ان عام /٢٣٠٠/ قبل الميلاد هو عام واقع في قلب المرحلة الزمنية الخاصة بالسوية الحادية عشرة .

اما المعبد والقصر فقد اعيد بناؤهما في فترة السوية الحادية عشرة ، ولا نستطيع ان نقول اكثر من ذلك عن المعبد لان كل ما هو شاهد على اعادة بنائه هو تلك الكتلة المعمارية من الآجر المشوي التي ملأت اقسام السوية الثانية عشرة بغية تكوين سطح يخصص للمعبد الجديد الذي لم يدم اي أثر من بنيته المضافة ، واما عدد غرف المعبد التي كشفنا عنها فكان ستة ، واما نفس المعبد فجرى تكبيره وتوسيعه على ارض قامت عليها بيوت خاصة ، واتخذ المعبد شكلا مؤلفا من ثلاثة صفوف من الغرف تحيط بباحة متوسطة ، واما جدرانه فكانت سميكة . واما بعض غرفه فجرى رصفها بالطوب الذي توزع على كامل بناء المعبد بغية تشييد فقرات الاقواس حتى تبدو الغرف مقببة مبنية على شكل السرير المقلوب ، وهذا النموذج من البناء كان شائعا في بلاد ما بين النهرين منذ عصر السلالات الباكرة ، في حين ليس هناك ما يشير الى انه كان مستعملا في سورية ، واما ما لدينا من شواهد خاصة بالالاخ فهي المتعلقة بتبدل السلالة الحاكمة ، وتطبيق اساليب جديدة مستوردة في ادارة الحكم ، ولعل سبب هذه التبدلات كما اظن هو فترة الازدهار السابقة ، واما ملك آلالاخ الذي جمع معظم ثروته من

تجارة الاخشاب القوية المقطوعة من غابات الامانوس ، فقد انتهز فرصة ازدهار التجارة في اواخر عهد السلالات الباكرة ، ورفع اسعار الاخشاب وفرض رسوما مرتفعة على البضائع المارة عبر بلاده ، وهذه التدابير التي فرضها ملك آلالاخ كانت مقبولة عند حكام ممالك المدن المستوردين الطبيعيين المنتشرين على ضفاف الفرات البعيد ، ولكنها لم تعد مقبولة عند تلك القوة الجديدة التي ظهرت خلال الفترة المذكورة في شمال بلاد ما بين النهرين ، ولم يكن سارجون ملك / آكاد / بالرجل السهل الذي يخضع للتدابير المذكورة ، وقد تاكدنا من حولياته انه كان على بيّنة تامة من منافع التجارة الخارجية ، وبعد ان ضاق ذرعا بملك آلالاخ وسيط التجارة الدولية في سهل العمق ، زحف بجيشه الى هذا السهل والحقه وجبال طوروس بمملكته / آكاد / واستولى على مواد البناء من مصادرها ، واعتقد ان سارجون هو الذي امر بتدمير ابنية السوية الثانية عشرة في آلالاخ ، وتشييد قصر جديد فيها بغرفه المقوسة على طريقة بلاد مابين النهرين حتى يقيم فيه الحاكم الجديد ، او الملك التابع الذي عينه ، واما ملك /آكاد/ المذكور فلم يكن باستطاعته ان يحتفظ بالسلطة على مكان بعيد مثل آلالاخ التي قامت فيها اكثر من ثورة قمعها حفيد سارجون ـ نارام سن ـ الذي تباهى بانتصاراته في زحفه على / جبال الآمانوس جبال الارز ، والبحر العالي / ، ومن المفروض ان تكون جميع هذه الاحداث قد وقعت في زمن السوية الحادية عشرة ، ولكنها لم تترك اثرا بارزا على ابنية آلالاخ ، وبعد انقضاء اربع وعشرين سنة على وفاة ـ نارام سن ـ اطاح بمملكة / آكاد / البرابرة الغوطيون ، واستعادت آلالاخ اثناءها ان لم يكن قبل ذلك استقلالها ، وعادت الى ممارسة الاعمال التجارية الرابحة ، واما الغوطيون الذين كان ينقصهم الحزم في ادارة الحكم ، وعجزهم عن اقامة حكومة مركزية بحيث لم يكن المرء يعرف من هو الملك ، او من هو غير الملك ، كل ذلك جعل الحكام المحليين يأخذون حريتهم الكاملة في ادارة مقاطعاتهم ، إذ استطاع الحاكم غوديا حاكم لاغاش من باب التباهي بالعظمة ان يستورد من جبال الآمانوس اخشاب الارز خصّها لبناء معبد /نينجيرسو/ ، واما في السوية العاشرة ، فوجدنا اطلال قصر جديد ، وكالعادة السائدة تم اعادة بناء معبد جديد بغرف مقنطرة على تقليد بلاد ما بين النهرين ، ولم يبق من هذا المعبد الجديد سوى ارضية ، كذلك كانت الحال في السوية التاسعة التي يجب ان تكون من عصر سلالة / اور / الثالثة ، وقد عثرنا في بقايا قصر هذه السوية على ختم نقشت عليه كتابة مسمارية من النموذج المعروف في \كول تبه\ ، وهي كتابة

شبيهة بالعديد من النصوص الكتابية المكتشفة في / كول تبه / هذه من منطقة كبادوسيا التي كانت تقيم فيها جالية من تجار بلاد ما بين النهرين يتبادلون التجارة مع الملك المحلي ، ومن الطبيعي والحال هذه أن يقيم في آلالاخ وسطاء تجاريون في بيوت تجارية مبنية على طراز بيوت بلاد ما بين النهرين ، ولكن من الخطأ القول ان العثور على الختم المذكور الوحيد في السوية التاسعة المذكورة : معناه ان جالية من تجار بلاد مابين النهرين قامت في آلالاخ كتلك الجالية التي قامت في مدينة كول تبه ، ولما كانت اعمالنا تنحصر فقط في معرفة مساحة قصر السوية المذكورة، فاننا لانتوقع العثورعلى اي دليل يشير الى وجود بناءغريب،ومع هذا يبقى اكتشاف الختم المذكور هو على الأقل من باب الاشارة الى علاقة ما ، ولكن النصوص الكتابية المكتشفة في / كول تبه / لم تشر لا من قريب ولا من بعيد الى آلالاخ . واما من عصر السوية الثامنة فعثرنا على معبد جديد واسع لم يبق منه سوى جدرانه التي حطمتها النيران وتركتها حمراء ، واما منطقة القصر في العصر المذكور فلم نجد فيها الا بقايا من البناء السابق ، في حين لم نعثر في الطبقات الارضية الأثرية على اي شيء يمكن ان يلقي ضوءاً على التاريخ السياسي الخاص بالسوية الثامنة ، ومع هذا فاننا نستطيع على الأقل ان نتبين من خلال ما اكتشفنا ، الخطوط العريضة لهذا التاريخ .

هذا وفي مدن سورية كثيرة ، وخاصة مدينة اوغاريت الواقعة في شمال سورية وعلى بعد /٦٠/ كيلو مترا من آلالاخ تم العثور على ابنية من طراز مصري فرعوني تعود الى عهد السلالة الثانية عشرة المصرية التي خاض ملوكها الفراعنة الاقوياء معارك خارجية بلغت جيوشهم فيها اراضي بعيدة عن مصر ، وقاد أولى هذه المعارك الملك سنوسرت الاول وابنه سنوسرت الثاني ، وكان ذلك في عام /١٩٠٠/ قبل الميلاد واحتل سورية ، وبلغ آلالاخ ولكنه لم يضمها الى امبراطوريته ، ومن خلال التنقيب لم نعثر في آلالاخ على اي بناء يعود الى عصر الملك الفرعوني المذكور ، ويبقى هذا الكلام من باب التخمين ، اذ يمكن لتنقيبات اوسع ان تقود الى عكس ذلك ، واما الفترة التي اعقبت فترة الفرعون سنوسرت فقد عثرنا فيها على شواهد من تقاليد مصرية واضحة تجسدت في لوحة مصرية اصيلة انظر اللوحة رقم / ٦ ب / ، وتمثل هذه اللوحة الملكية صورة شخص من العائلة المالكة في آلالاخ حفرت على ختم له ، وهو يحمل رموزا مصرية ، ويعبد ارباباً مصرية ، وهذه الآثار الباقية بشكلها المصري تدل على شيء واحد هو ان

آلالاخ كانت قبلا ولفترة قصيرة ، وفيما بعد ولفترة طويلة خاضعة للنفوذ المصري ، او ان مليكها هو وكيل فرعون مصر ، واذا استطاع هذا الوكيل الحفاظ على استقلال آلالاخ مؤقتا ، فكان ذلك عن طريق اعتناقه التقاليد المصرية ، وتطبيق الاساليب المصرية في الحكم واحترامه لارباب جيرانه المصريين البعيدين الاقوياء ، وفي جميع الاحوال تمثل فترة السوية الثامنة السيطرة المصرية التي دامت حتى عام /١٧٩٠/ قبل الميلاد الذي استطاع فيه حكام آلالاخ السوريون انتزاعها من سيطرة فرعون مصر الضعيف .

واما معرفتنا بتاريخ تل العطشانة حتى الآن فتبقى معرفة بسيطة موجزة ، واما اعمال التنقيب عن سويات البناء الاولى فقضت ان نحفر الارض الى عمق بلغ خمسة عشر مترا ، ولما كانت نفقات العمل تزداد مع حفر كل متر ، فقد اصبح ضروريا ان تكون مساحة مكان التنقيب المقرر صغيرة في حين سمي المكان باسم : الحفرة الكبيرة الخاصة /بالطبقات الأثرية المتعاقبة/ ، بينما لم يتم حفر هذه الحفرة إلا من اجل تكوين فكرة عن عدد وصفات سويات البناء المجهولة ، واما سبب حفر الحفرة الثانية الأعمق من الاولى فكان سوء فهم وقعنا فيه ، لقد كشفنا عن معبد السوية السابعة ، وشككنا ان يكون معبدا جنائزيا ، لذلك أوعزت باستمرار الحفر حتى الوصول الى قبر ملكي نتوقع العثور عليه ، ولكننا لم نعثر إلا على عمارة طينية ظاهرة التناسق ، فتابعنا الحفر الى الأعمق ، ولكنني لم انتبه الا متأخراً اننا تجاوزنا في حفرنا بقايا الأبنية المتوضعة فوق بعضها الخاصة بالعديد من المعابد التي تعود الى فترات زمنية كثيرة ، وليس فيها ما يشير الى طبيعة القبر الملكي المنشود ، ولكنها زودتنا بمعلومات تاريخية واسعة غير متوقعة ، واما الحفرتان المذكورتان اللتان — ولحسن الحظ — تكمل احداهما الأخرى فقدمت لنا تسلسلاً تاريخياً متناسقاً خاصاً بالمعابد ، ومواقع بيوت السكن ، ولكنهما لم تكونا إلا سبرين يخدمان هدفاً معيناً ، كما وقدمت هاتان الحفرتان وبشكل دقيق كل ما يرجوه المرء من حفرة للدراسة من معلومات خاصة بطبقات البناء الأثرية المتعاقبة التي تم العثور في كل طبقة منها على أوان فخارية وغير فخارية صغيرة ، وعلى مواد بناء ، وجميعها يشير الى وقوع تبدلات حضارية منتظمة يمكن تحديد زمنها بفضل اطلال الابنية الباقية ، لقد حصلنا على نتائج استثنائية طيبة ، إذ إستطعنا من وراء ما كشفنا عنه خلال اعمال التنقيب من مواد مستوردة ، او نماذج مستعارة تربط آلالاخ بالعالم الخارجي : أن نربط تلك

الأزمنة التاريخية المتلاحقة بشكل يتناسب والوقائع التاريخية المعروفة، وهكذا يمكن للمرء ان يصل وهو امر نادر الحدوث – من وراء سبر يجريه في ارض التنقيب الى الوقوف على تاريخ تقريبي لحدث ما بدلا من الاستعانة بتسلسل تاريخي بسيط لا رابط له مع الزمن .

واما العلاقات العامة الخارجية بما فيها العلاقات التجارية التي كانت قائمة حتى عام (١٩٠٠) قبل المسيح بين آلالاخ والعالم الخارجي فكانت وقفا على الدول الواقعة الى الشرق من آلالاخ .

كان ذلك امرا طبيعيا إذا اخذنا بعين الاعتبار موقع تل العطشانة الجغرافي وان سكانه كانوا منذ بداية عصر البرونز خليطا من شعوب شمالية وشرقية كانت الكلمة العليا فيها للشعوب الشرقية التي جاءت من الشرق الذي قامت فيه اقدم الحضارات ، في حين كانت الشعوب الشمالية بربرية ليس لها بعد اي نصيب من الحضارة يمكن ان يتخطى حدود بلادهم الاصلية ، واما الشيء المثير في هذه الفترة الزمنية من تاريخ آلالاخ هو استمرار صناعة الاواني الفخارية فيها، وخاصة تلك الاواني المطلية منها، وهذه الصناعة هي صناعة محلية اكتملت في عهد السوية السادسة عشرة ، وبقيت محافظة على دقتها دون ان تتأثر بأي عامل غريب ، واما في سوية البناء الرابعة عشرة فعثرنا وبوفرة على شكل خاص لوعاء من الفخار يستعمل عادة في الطقوس الدينية مصدره جمدة نصر ، ولم نعثر على أي وعاء آخر من الفخار مطلي ، ولا على اي اناء فخاري محلي مزخرف ادخلت على زخرفته تعديلات يمكن ان يكون مصدرها آنية جمدة نصر .

هذا ومن الملاحظ في بلاد ما بين النهرين وخلال جميع فترات السلالات الباكرة ، والملك سارجون : ان صناعة الفخار في هذه البلاد كانت بدائية فقيرة لم تستطع ان تنتج أيا من الاواني الفخارية المطلية ، وهكذا لم يجد صانع الفخار في آلالاخ شيئا جديدا في صناعة الفخار في الشرق يمكن ان يقتبسه ويضيفه الى صناعته المحلية ، فخلا الجو له وانتج بكفاءة عالية الكثير من الادوات والاواني الفخارية المتقنة كتلك التي انتجها اجداده من قبل .

* * *

الفصل الخامس

ملك يمحاض

السوية السابعة

تأخذ الاحداث التاريخية في فترة سوية البناء السابعة في آلالاخ شكلا جديدا مختلفا لسببين :

الاول : اننا وصلنا الى التربة العذراء لذلك لانستطيع توسيع مدى اعمالنا لتشمل مساحة كبيرة تتضمن ابنية كاملة .

الثاني : اننا عثرنا لاول مرة على رُقم كتبت بالخط المسماري فوجدنا التاريخ وقد قام على شواهد اثرية اكثر وضوحا ، واصبحنا والحال هذه قادرين تماما على تعزيز هذه الشواهد بنصوص كتابية .

واما ابنية فترة السوية السابعة التي كشفنا عنها فكانت القصر الملكي ، والمعبد وباب المدينة ، ومن خلال ذلك تكونت لدينا فكرة واضحة عن هندسة المدينة المدنية ، والدينية ، والعسكرية ، وعثرنا على عدد من الرُقم في كل من القصر والمعبد ، ومن حسن الحظ انها بقيت ، ولو بدت قليلة من اصل الكثير ، الا انها زودتنا بمعلومات دقيقة حول الفترة التاريخية التي تعود الى ثلاثة ملوك هم : /حمورابي ، وياريم ليم ، ونقميد – ابوخ/ والتي لم تمتد اكثر من خمسين عاما ، واما الرقم المذكورة فيعود تاريخ معظمها الى فترة حكم الملك / ياريم ليم / في حلب المعاصر لحمورابي – ملك بابل – الذي امتد حكمه من عام /١٧٩٢/ قبل الميلاد الى عام ١٧٥٠ قبل المسيح ، ، ويبدو ان الملك / ياريم ليم / قد مات قبل ان يقضي حمورابي في الحكم ثلاثين سنة ، ويمكن مبدئيا ان نحدد زمن حكم /ياريم ليم / بتلك الفترة الواقعة بين عام ١٧٨٥ وعام ١٧٦٥ قبل الميلاد .

هذا ومما لاشك فيه ان سقوط امبراطورية السلالة الثانية عشرة المصرية في مصر قد ساعد على اتساع المقاطعات التي كان يديرها / الملوك او الحكام / القدامى التابعون لهذه السلالة الذين وسعوا حدود ممالكهم عندما خلا الجو لهم ، وقد ثار بعض من حكام سورية الشمالية على مليكهم الذي وهبهم مقاطعاتهم وهو الملك / ابنان بن حمورابي ملك يمحاض / ووالد /ياريم ليم/ ولكن ثورتهم قمعت ، وكان في عداد المدن الثائرة ــ مدينة آلالاخ ، واما مملكة يمحاض الواقعة الى الشرق من آلالاخ فكانت في هذا الوقت مملكة قوية اتخذت من مدينة حلب عاصمة لها ، وكان يطلق على مليكها احيانا اسم /ملك يمحاض/ واحيانا اسم /ملك حلب/ ، وزاد في عظمة هذه المملكة امتداد اراضيها حتى بلغت ساحل البحر الابيض المتوسط غربا ، فعهد /ابنان/ اثناءها ، بحكم الاراضي الجديدةالواقعة الى الغرب بدءا من مدينة آلالاخ وصولاالى البحر الى /ياريم ليم/، وهذا النوع من حكم المدن الكبيرة التابعةكان نوعا من التقليد يعمل به ملوك الشرق الاوسط ،فيعهدون الى اخوتهم واولادهم بحكم المدن المذكورة ، وبذلك يقللون من احتمالات التآمر ضدهم ، وهذا ما هدف اليه الملك / ابنان / المذكور ، وعندما كان /حمورابي/ ملكا على مملكة حلب كان يدير شؤونها من عاصمتها التقليدية /حلب/ ، في حين كان وكيله /ياريم ليم/ يحكم سهل العمق من مدينة آلالاخ ، وهو الذي تولى حكم مملكة حلب عندما توفي والده ، فادار شؤونها بدراية وحزم كما يتضح ذلك من الرقيم الذي تم العثور عليه في مدينة ماري الذي ارسله /ياريم ليم/الى /زيمري ليم/ ملك هذه المدينة ، وروى وكيل ياريم هذا ان الرقيم تضمن ما يلي : (ان هناك عشرة ملوك او خمسة عشر ملكا تابع لحمورابي ملك بابل) ، وان عددا مماثلا من الملوك التابعين يخضعون / لريم سين /ملك لارسا/ ، ومن هنا يظهر ان ملكين قويين كانا يحكمان بلاد ما بين النهرين) ، في حين كان هناك ايضا عشرون ملكا تابعا لياريم ليم ملك /يمحاض/ الذي كان باستطاعته وهو سيد هؤلاء الملوك التابعين ان يلعب دورا بارزا في توازن القوى المتصارعة في هذا العصر ، اذ كان بارعا في القيام بمثل ذلك ، ويمكن القول ان /ياريم ليم/ هذا كان تارة في صف مملكة بابل ، وتارة اخرى الى جانب مملكة لارسا ، وذلك على ضوء ما تمليه عليه مصلحته وظروفه ، وبذلك استطاع ان يحتفظ بعرشه امام جميع منافسيه .

ومن خلال الرقم المكتشفة تاكد ان اسم الملك /حمورابي/ لم يرد فيها الا قليلا في حين ورد اسم الملك /ياريم ليم/ اكثر ، وكذلك تردد اسم /اميتاكو/ كثيرا ، وهو الذي كان يتولى مسؤولية الادارتين المدنية والمالية في مدينة حلب، واما تاريخ الوثائق الخاصة بحمورابي فيجب ان يكون موازيا للتاريخ الذي كان فيه /ياريم ليم/ قائما باعمال مملكة يمحاض بالنيابة عن ابيه ، واما الوثائق الاخرى فتبقى خاصة بياريم ليم عندما اصبح ملكا على مملكة يمحاض ، في حين كانت هناك فترات متقطعة تولى فيها /اميتاكو/ المذكور ادارة شؤون المملكة المذكورة ، واما الوثائق التي وجدت محفوظة في مدينة آلالاخ فتدل على ان الملك /ياريم ليم/ كان يقيم فيها ايضا .

يعزز طابع ابنية السوية السابعة التي كشفنا عنها في آلالاخ الاستنتاجات السابقة ، ودل على ان اكثر هذه الابنية ان لم يكن جميعها متعاصرة . وتعود الى عصر ياريم ليم الذي بدأ بتشييد القصر الملكي في آلالاخ ، وهو مازال وكيلا للملك ، واما الابنية اللاحقة المضافة على بناء القصر/الذي تم بناؤه على مراحل/ والمؤلفة من المعبد ، والتحصينات الكثيفة خاصة ، فتؤكد انها اعمال قام بها ملك سكن في آلالاخ ، وصاحب سلطان ، ومن خلال الاطماع الخطيرة ،والاحلاف المتوقعة بين قوى ممالك بلاد مابين النهرين ادرك الملك /ياريم ليم/ ان حلب الواقعة شرق مملكته وحدودها معرضة لهجوم مباغت من هذه القوى ، فقرر ان يبقي مدينة حلب مدينة رئيسية ، وان ينقل شؤون المملكة الى مدينة آلالاخ التي كانت عاصمة له عندما كان حاكما عليها ، فاقام فيها وعزز دفاعاتها .

الى اقصى الشمال الغربي من تل العطشانة /آلالاخ/ قمنا بحفر خندق اختباري، وكان ذلك في الايام الاخيرة من تنقيباتنا، وبدت المدة قصيرة لا تسمح بالقيام باعمال اوسع اكد ان هذا القسم من مدينة آلالاخ القديمة كان في جميع مراحل سويات البناء اللاحقة يؤلف حصنا منيعا تقيم في قلعته حامية من الجند ، ثم تابعنا الحفر في الخندق المذكور بغية التاكيد ان هذا الكلام هو صحيح بالنسبة لسوية البناء السابعة خاصة وان طابع تحصينات الحصن يبقى ثابتا عند كل تجديد يقع في بناء الحصن (علما ان ماكشفنا عنه من السوية المذكورة كان قليلا) فتأكد لنا ان الحصن الذي شاده /ياريم ليم/ في آلالاخ كان عبارة عن بناء مبني باللبن قائم على مرتفع يشرف على جميع انحاء المدينة ، ويتحكم بمعابرها الشمالية والغربية ، ويؤلف بجهاته الاربع خط الدفاع الرئيسي

الداخلي عن مدينة آلالاخ ، واما في اسفل سور الحصن فامتدت التحصينات المائلة التي بلغ عرضها من الاعلى ١٥ مترا ، وقام على طرف التحصينات المائلة سور خارجي ذو ارتفاع قليل ، ثم يشتد الانحدار حيث بلغ ميله /٤٥/ ، وارتفاعه ثمانية امتار ، وقد صنع من اللبن الاملس ، واما هذا النوع من التحصينات الشديدة الانحدار الذي شاهدنا لاول مرة في معبد سوية البناء الرابعة عشرة ، وفي حدود ضيقة ، قد تحول هنا في حصن آلالاخ الى نوع من الاستحكامات العسكرية القوية المنيعة ، اذ كان من المستحيل على اي انسان ان يستطيع ارتقاء مثل هذا النوع من المنحدر الذي كان اشبه بجدار شاقولي يتمتع بخاصية بقاء العدو المهاجم في متناول السهام التي يطلقها الجنود المدافعون عن الحصن ، حتى ولو بلغ المهاجم اسفل المنحدر المذكور ، وذلك دون ان يحتاج الجندي المدافع أن يتخذ مكانا في هذا المنحدر يحميه ، ولكنه يقيد حركته بحيث لا يستطيع توجيه سهامه نحو المهاجمين الا اذا انحنى من اعلى جدار الحصن ، وعرض نفسه لخطر الاصابة بسهامهم ، وفي جميع الاحوال واذا استطاع العدو المهاجم بلوغ جدار الحصن الخارجي والاستيلاء عليه ، فانه يجد نفسه في قلب منصة تشكل هدفا ممتازا لنبال وسهام المدافعين عن الحصن ، واما اصل هذه التحصينات العسكرية فيبدو انها نشات في سورية الشمالية ، ويعزز هذا الراي ذاك الوصف الخاص بالتحصينات التي كانت قائمة في مدن الشمال ، والتي جاء ذكرها في وصف صادر عن /ناريم سين/ صاحب بابل ينطبق تماما مع ذلك الوصف الخاص بالتحصينات العسكرية المكتشفة في آلالاخ ، وهذا النوع من التحصينات يرقى في قدمه الى عصر اسبق من عصر /يلاريم ليم/ ، ولكن يبقى من العسير ان نتصور نموذجا آخر من التحصينات يمكن له ان يتناسب اكثر مع شروط الحروب التي كانت تقع في الماضي .

واما باب مدينة آلالاخ الشمالي الغربي ــ وهو على الارجح باب المدينة الرئيسي لانه كان يقود الى الطريق الهام الذي يربط حلب بانطاكية ــ فكان يلامس الحصن الذي كان يتحكم به ، والى جانب ذلك كان هناك منحدر شديد الانحدار يبدأ من ارض السهل لينتهي في البرج الضخم الخاص بالباب الواقع بين جدار الحصن الخارجي ، وجدار المدينة، وعلى استقامة هذا الجدار، واما غرف البرج العليا فكانت تشكل ممرا يربط بين منطقتي التحصينات، واما الطريق

المار من قلب البرج فكانت تقطعه ابواب ثلاثة فقط ، انظر اللوح (٢٥) ، واما باب مدينة آلالاخ الرئيسي فكان نوعا من الابواب التي قررتها التجارب العسكرية ، وكان مماثلا لباب مدينة /كركميش/ الرئيسي المعاصر له، ومشابها في شكله العام لعدد كبير من ابواب تعود الى عصور اسبق واحدث معروفة في الشرق الاوسط. واما اطلاله التي كشفنا عنها، فلم تكن الا القسم السفلي من بنائه، وكانت باقية بشكل جيد جعلها تدل بسهولة على طابع الباب العام الذي هو باب المدينة الرئيسي ، انظر الصورة رقم /١١/ ، واما بناء البرج الضخم فكان مبنيا من الطين المدكوك مدعم بجسور خشبية ، وبصورة عامة كان هذا البناء هو صورة طبق الاصل عن البناء الحثي المعروف الذي يشكل الخشب نصف مادة بنائه ، واما اطار باب المدينة ومقدمته سواء من الداخل او الخارج ، وكذلك الدعامات الضخمة الخاصة بالابواب الثلاث الموجودة في المدخل الرئيسي للبرج فكانت جميعها ذات مداميك مؤلفة من حجارة كلسية بيضاء مزينة بلغ ارتفاعها /٢٠ر١/م، واما اساس الحجارة الخاصة بهذه الدعامات، فلم يكن مبنيا بشكل شاقولي ، وانما كان مائلا الامر الذي يوحي بشكل باب مشابه لباب مدينة / بوغازكوى / عاصمة الحثيين ، وفي مثل هذه الحال تبقى القوس الحدوية القائمة فوق الدعائم المائلة بارزة البناء ، وهذا ما يمثل نموذج البناء الطبيعي عندما تكون مادة البناء من الحجارة ، وهنا في هذا المكان فان عملا متجانسا مع العمل المذكور كان من الممكن الحصول عليه بسهولة عن طريق انشاء نصف مادته من الخشب مع ضمان وجود ساكف مسطح تحت القوس الوهمية ، واما احد اطراف البرج المذكور فكان ثخينا قويا يؤلف الزاوية القوية من سور القلعة ، واما طرفه الآخر اي النصف الشمالي الشرقي من البرج فكان عبارة عن كوة واسعة قائمة في جداره الداخلي ذات دعائم حجرية ودرجات تقود الى غرفة الحرس التي قام في صدرها درج ذو درجات سفلى من الآجر ، وعليا من الخشب ، ويقود الى غرفة لها باب قائمة فوق باب المدينة الرئيسي ثم يقود الى قمة سور المدينة ، واما تحت هذا الدرج فقامت غرفة صغيرة بباب واقع بين دعامتي الباب الرئيسي الخارجية والوسطى ، وخصصت هذه الغرفة لتكون محرسا لمن يتولى الحراسة ، في حين كان هذا المحرس يشكل اضعف مكان مثير في البرج ، اذ كان يكفي العدو الاستيلاء على اول باب من الابواب الثلاثة المتتالية

في قلب البرج حتى يستطيع الوصول الى المحرس المذكور ويشعل النار في سقفه الخشبي ليتهدم الدرج والبناء معا ، ويبدو ان مثل هذا الحرق قد وقع في الماضي بدلالة ان البرج بدا وقد التهمته النيران سابقا ، ولم يبق منه الا الجدران الخاصة بغرفة الحرس ، واما جدران الدرج الاخرى فاصبحت بتأثير النيران ذات لون احمر قاتم ، كما واصبحت الارض ذات الطينة المطلية الخاصة بممر الباب الرئيسي مغطاة بطبقة كثيفة من الخشب المحترق الساقط من ارضية الغرفة العليا ، وهكذا بدا ان البرج الضخم المذكور قابل للسقوط بيد الاعداء، وان الاستيلاء عليه ليس من الامور المستعصية .

لم نستطع ان نكشف عن اي من اسوار مدينة الالاخ ، هذه الجدران التي لا يشك احد في خواصها ، واما القصر الملكي فكان قائما في زاوية من المدينة واثنان من جدرانه الخارجية كانا يؤلفان جزءا من سور المدينة ومبنيين من اللبن وبسماكة بلغت / ٤٠ر٢ / م ، ويرتفعان من بداية التحصينات المائلة الترابية وحتى اطرافها العليا في ميل شديد بلغ ارتفاعه /٩/ امتار ، وقدر هذا الارتفاع بالاستناد الى ارتفاع ارضية القصر الواقع فوق السهل الخارجي مباشرة واما السور الذي كان مبنياً من التراب ، وليس من الآجر كما هي الحال في القلعة ، فقد قاد الى الاستنتاج ان جميع الاسوار اللاحقة التي اقيمت فيما بعد كانت تبنى من التراب الذي كان يطلى احيانا بطينة فخارية ، ولم يكن في مثل هـذه الاسوار اية مصاطب ، واما جدار السور الذي ياخذ بالارتفاع بدءا من اول المنحدر فبدا وقد جعل الوجه الخارجي لجدار القصر الشمالي الشرقي الواقع في اسفل المنحدر خافياً تماما عن الانظار ، ومهما كانت الحال في السابق ، فاننا نستطيع القول ان مدينة الالاخ بدءا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد شكلت حصنا منيعا من الطراز الاول ، وفي هذا الحصن وفي نفس المكان الذي كان منذ امد بعيد المكان التقليدي للقصر الملكي فقد بنى فيه الملك / ياريم ليم / قصراً جديدا له ، نعم لقد تم ذلك في عصر / ياريم ليم / ، ولم يكن قصرا فريدا من نوعه اذ حفل تاريخ الشرق الاوسط بالعديد من هذه القصور ، اذ كان جميع الحكام المحليين يتنافسون في ان يكون قصر كل منهم هو الابهى ، ويدل على ذلك تلك الرسالة التي بعث بها ملك اوغاريت الى / ياريم ليم / يرجوه فيها التوسط لدى ملك / ماري / للسماح له بزيارة قصره المنيف الذي طالما سمع عنه ، وفي المناسبة فان شأن / ياريم ليم / هذا ملك يمحاض كان كشأن / نيرون /

امبراطور روما لاحقا الذي عمل جاهدا ان يقيم في قصر عامر يليق بمقامه السامي الرفيع .

واما القصر الملكي وخاصة القسم الجنوبي الشرقي منه الذي كان مخصصا لعامة الناس فبدا اليوم انقاضا لا يستطيع المرء من خلالها ان يتخيل شكلا ما لهذا القسم ، ومع ذلك يبقى من الواضح ان القصر كان يشغل ارضا طولها /٦٦/ مترا وعرضها /١٥/ مترا ، ومن هذه الابعاد يمكن للمرء ان يعرف ان القصر كان قصرا هاما انظر الصورة رقم /١٢/ ، واما الباب الوحيد في القصر الذي يقود الى ساحة سماوية واسعة تبدا من بناء القصر لتنتهي في سور المدينة فكان عبارة عن كوة واقعة في وسط الطرف الجنوبي الغربي من القصر الذي كانت جدرانه مكسوة برخام بازلتي مصقول ، واما وسط الساحة فكان فيه موقد عال للنار ، وعلى اليمين وفي جدارها انفتح بابان ، وعلى اليسار وفي ابعد زاوية من الساحة المذكورة انفتح باب آخر وحيد يقود الى غرف القصر الفخمة ، واما القصر ذاته فكان مؤلفا من قسمين تفصل بينهما الساحة المذكورة ، واما طابع غرف القصر فكان العلامة المميزة التي تميز البيوت المخصصة لتكون دوائر رسمية عن البيوت الخاصة ، وفي وسط هذه الدوائر الرسمية قامت صالة واسعة للمناقشات والمداولات ، وهي عبارة عن غرفة كبيرة تقسمها الى قسمين دعائم بارزة في الجدران الجانبية ، وصف مؤلف من اربعة اعمدة خشبية تستند الى عتبة اسمنتية ، وكان من السهل تمييز الدوائر السوداء التي خلفتها على الاسمنت تلك الاعمدة التي التهمتها النيران ، واما القسم الخارجي او العام من صالة المناقشات فحوى غرفا للانتظار ، وكان لاحداها باب يؤدي الى ساحة القصر الكبرى ، وتستخدم كغرفة ملحقة ، واما القسم السفلي من الصالة المذكورة فكان مخصصا للملك وضباطه وتوجد وراءه ردهة واسعة للراحة (ويمكن ان تكون في نفس الوقت مكتب السكرتارية) وفي اعلى الصالة قامت غرفة صغيرة من المحتمل انها خصصت لتكون للمحفوظات (علما باننا لم نجد فيها شيئا من الرقم) ، وهناك غرفة اخرى اصغر لم نستطيع ان تكشف عن كاملها قائمة في اتجاه مستقيم تحت زاوية قصر ملحق خاص بالملك نيقميبا Niqmépa ، ويمكن عن طريق المقارنة مع ابنية القصر الاخرى اعتبار هذه الغرفة بمثابة دورة مياه ، واما زاوية القصر الشمالية فقام فيها درج كبير يقود الى غرف القصر العلوية الذي تأكد انه كان مؤلفا من طابقين ان لم يكن من ثلاثة .

وعندما يصل زائر القصر الى باحته الكبرى يجد على يمينه بابين يقع كل واحد منهما في طرف جدار الباحة الجنوبي الشرقي ، واما الباب الاول فهو باب الغرف الثلاث القائمة على نفس سوية الباحة المذكورة ، وقد بنيت لتكون مستودعات وليس غرف سكن ، واذا كانت الشمس قد اضاءت هذه المستودعات فيكون ذلك قد تم بواسطة فتحات للنور فتحت في الاعلى ، واما ارتفاع جدران المستودعات هذه فبلغ ثلاثة امتار ، ولم نعثر فيها على اي دليل يدل على وجود فتحات النور المذكورة ، واذا بدا الاهتداء اليها صعبا ، فيكون ذلك من الامور البديهية التي تقضي بوجوب حماية المستودعات من السرقة وغيرها، واما ارضية المستودعات فبدت مفروشة بالاسمنت الاملس ومغطاة بطبقة سميكة من الرماد ، واما الغرف المذكورة فحوت على رقم صلصالية تضمنت محفوظات القصر التجارية ، وحوت على انياب العاج الثمينة ، واما العاج فكان يشكل اهم / المواد الكمالية / في العالم القديم ، ولم يكن متوفرا في بلاد الشرق الاوسط الا في مكانين الاول وهو مصر التي كانت تستطيع الحصول عليه من جنوب البلاد ، اما عن طريق التجارة عبر نهر النيل او عن طريق البعثات التجارية التي كانت تجوب بقواربها البحر الاحمر وصولا الى مدينة / بونت / الواقعة على الساحل الإتيوبي ، واما المكان الثاني للعاج فكان سورية التي عاش فيها الفيل السوري قديما خلال النصف الثاني من الالف الثاني قبل الميلاد ، ولكنه لم يكن غزيرا بشكل يساعد على ادخار انيابه ، في حين اختفى في هذه الايام وبالمناسبة لا بد من الاشارة الى ان السوريين لم يحاولوا طيلة الازمنة القديمة تأهيل الفيل ، وجعله حيوانا اليفا ، بالاضافة الى قلة الامكنة السورية التي يستطيع الفيل فيها ان يعيش حياة طبيعية ، واما المكان الوحيد في سورية الذي كان يتسع لعيش الفيل ، ويتوفر فيه الماء والكلأ ، ويؤلف اجمة يلجا اليها ، فكان مكانا معروفا واقعا على منعطف ضفة نهر الفرات اليمنى الى الجنوب الشرقي من مدينة حلب ، ومن المحتمل ان تكون الفيلة قد جمعت في هذا المكان ليكون / مستودع صيد / واتجار بعاجها ، وربما كان ذلك المكان منطقة /نيا / التي كانت تشكل جزءاً من مملكة / ياريم ليم / ملك يمحاض ، وهو صاحب الباع الطويلة في تجارة اخشاب شجر الارز من جبال الآمانوس في سورية الشمالية ، ويحتكر في الوقت ذاته تجارة العاج في هذه المنطقة ، ومن يمعن النظر في ثروة يا ريم الضخمة يدرك المرء سبب ابهة قصر يا ريم هذا ، ويقف على اسباب وجود المخازن في قصره ، والتي حوت على احسن انواع العاج التجارية .

واما اهم أقسام القصر التي كانت تضم غرف السكن ، فقد تم بناؤها على سطح اعلى من سطح الباحة الرئيسية بارتفاع بلغ / ١ر٢٠ / مترا ، واما باب هذه الاقسام ، وهو الباب الثاني الذي يقع على يمين الداخل الى الباحة المذكورة ، فكان ينفتح على درج بنيت درجاته حول ركيزة من الآجر وقام في قلب الدرج المذكور مباشرة ، وتحت الدرجات المذكورة رواق / دهليز / وخزانة ، واما في الجانب الايسر من باحة القصر فيبدأ الدرج الذي قام في اعلاه باب يقود الى ممر طويل يتبع الجدار الخارجي للقصر ، وكان يغلب على الغرف القائمة فوق الطبقة الارضية مباشرة من القصر التي يصل اليها المرء عبر الممر المذكور طابع البساطة ، وتؤلف المطبخ وبيوت الخدم والعمال ، في حين كان الدرج الذي يلتف حول ركيزة الآجر المذكورة يؤدي الى الغرف السكنية الخاصة بالعائلة الملكية ، واما ارتفاع القسم الرئيسي من القصر فكان يعادل ارتفاع ثلاثة طوابق ، ولم يكن في غرفه العليا اية غرفة مسكونة ، في حين يستطيع المرء من خلال اطلال هذه الغرف المتساقطة على مخازن القصر ان يكوّن فكرة عن احداها هي الغرفة الرئيسية المخصصة للترانيم الدينية ، وهي عبارة عن ردهة يزيد طولها على / ١٣ر٥٠ / مترا ، ومقسمة كما كانت صالة الاستقبال الى قسمين غير متساويين بواسطة دعائم بارزة تربطها اعمدة خشبية ، واما في طرف الردهة الجنوبي الغربي فقامت نافذة كبيرة فيها ثلاث كوات تفصلها عن بعضها اعمدة حجرية مغلفة بحجارة جيدة النحت على هيئة الاصابع ، واما الردهة ذاتها ، فشأنها شأن معظم أو كل غرف القصر المميزة ، اذ كانت مزينة بالقاشاني ، ولم يبق من هذه الزينة اي شيء ، فهي لم تترك على مؤونة الجدران سوى الاثار الضعيفة للتعرف على / الانتوناكو / L'intonaco / اللون او على آخر طبقة او / كلسة / .

واما صالة الاستقبال الرسمية الهامة من القصر فقد وجدنا فيها رسوما كافية للدلالة على انها كانت مزخرفة باشكال هندسية مشابهة لتلك الاشكال التي تزين القصر الملكي في مدينة مينوس من جزيرة كريت .

هذا ويبدو ان ارضية ردهة القصر هذه قد تصدعت ، فانهارت اقسام كبيرة من جدرانها ، وسقطت في المخازن ، ولكن زخرفة بعض هذه الاقسام بقيت ظاهرة متماسكة ، وعلى الرغم من ان الاقسام المنهارة كانت قليلة الا انها زودتنا

بمعلومات هامة ، اذ ابانت ان الزخرفة المذكورة كانت من الخزف ، وان زخرفة الجدران ذات الطينة السميكة قد تمت عندما كانت طينتها ما زالت طرية ، ومثل هذه التقنية من الزينة يمكن العثور عليها في قصور جزيرة كريت ، وليس في القصور المصرية التي كانت الزخرفة فيها مركبة من مادة التامبيرا Le tempera التي تطلى بها الجدران عندما تكون طينتها ناشفة ، واما زينة القسم الاكبر من ردهة القصر فكانت مؤلفة من رفوف / اطر / واسعة زرقاء او صفراء رسمت عليها صور رؤوس ثيران سوداء ، او ثيران كاملة ذات ارضية بيضاء ، واما في القسم الجنوبي الغربي من الردهة المذكورة بين الاعمدة والنافذة ، فقلت ارضية حمراء / بومبية / تخللتها رسوم طبيعية ، وكانت هي الجزء الوحيد البارز الذي بدت فيه الاعشاب طويلة ذات لون ابيض واصفر تحركها الرياح ، انظر الى اللوح / ٢٦ / .

مما تقدم ، وفي سوية البناء السابعة في آلالاخ استطعنا ، ولاول مرة ان تتبين الروابط التي كانت تربط البناء في آلالاخ بالبناء في جزيرة كريت ، اذ بدا ان الاسلوب المعماري الذي اتبع في بناء قصر / ياريم ليم / هنا هو نفسه المتبع في مدينة (كنوسوس / في جزيرة كريت ، اذ بدت بلاطات الحجر المصقول تغطي اساسات جدران قصر ياريم ليم الذي كان نصفه من الخشب (علما بان عملية رضم الحجارة كانت تتم في جزيرة كريت في اساسات جدران الابنية في حين كان في قصر ياريم ليم يتم رضم لبنات الفخار) ، واما استعمال مادة الاسمنت بغزارة في بناء القصر المذكور ، واعمدته الخشبية القائمة على اساسات بسيطة دائرية الشكل ، وتفصيلات مخطط بنائه بما فيها صالة الاستقبال ، والرسومات الخزفية والوانها وتقنيتها واسلوب زخرفة القصر بها ، فكانت جميعها مماثلة لما كان سائدا متبعا في جزيرة كريت ، وفي قصر / مينوس / ، وفي ابنية اخرى معاصرة له في الجزيرة المذكورة . واما تطور البناء في آلالاخ بعد العصر المينوني Minocenne فلم نعثر على اية اشارة تؤكد ذلك ، علما بان اسلوب بناء قصر / ياريم ليم / وخواصه المعمارية بقيت سائدة معمولا بها في الابنية اللاحقة حتى القرن السابع قبل الميلاد ، واما تاريخ بناء القصر فهو اسبق بمدى قرن واحد على ما يماثله من قصور كريتية ، ولا شك ان جزيرة كريت مدينة بهندسة ابنيتها وزخرفتها وزينتها الى سورية ، وفي هذه المناسبة يمكن لنا ان نذهب بعيدا ونقول :

صحيح ان المبادلات التجارية القائمة كانت من الامور الهامة الدقيقة ، ولكنها كانت في حدود ضيقة محدودة اذا تذكرنا ان قصرا لا يمكن حمله على باخرة من بلد الى آخر وتصديره ، كذلك لا يمكن للزخرفة الخزفية وسحرها ان يؤلفا نوعا من بضاعة جاهزة للتصدير ، لذا كان لا بد لهذا الفن ان يحتك مباشرة مع اناس آخرين ، وهذا ما دفع بنا الى القول او الاعتقاد ، انه جرى في الماضي دعوة مجموعة من الفنانين ومهندسي البناء وخبراء الزخرفة الى اجتياز البحر الابيض قادمين من سورية / وعلى الارجح من مدينة آلالاخ التي كانت تملك مرفا على ساحل البحر ، وعلى غرارما تقدم وفي ازمنة لاحقة جرى استدعاء فنانين كريتيين الى مصر ، وعهد اليهم القيام بزخرفة اللوحات التي تم العثور عليها في قصور فراعنة السلالة الثامنة ، وهذا ما يفسر سبب العثور على الآجر الميناتي في البيوت الفقيرة في تل العمارنة ، ولا شك انه كان من اهم اهدافنا عندما بدانا التنقيب في تل العطشانة / آلالاخ / هو القاء الضوء على اصل وتطور الفن الكريتي ، وكان امرا مرضيا عندما عثرنا على شواهد دقيقة تؤكد ان هذا الفن مدين لآسيا بنموه وتطوره .

قلنا بان غرف الطابق الارضي التي هي من اهم اقسام القصر كانت في معظمها غرفا مخصصة لخدمات القصر ، وكانت الغرفتان رقم /15/ ورقم /18/ منها مجهزتين بمغاسل من احجار متشابكة فيما بينها ، ومجار للمياه امتدت تحت القسم المبلط من البناء لتحمل المياه المالحة عبر سور المدينة ، والى الابعد من ذلك ، وفي الناحية الجنوبية الشرقية من هذا الطابق الارضي الذي لم يتجاوز ارتفاع ابنيته ارتفاع الطابق الواحد في القصر ، والذي تميز بجدرانه الرقيقة ، قامت ورشات لخدمة القصر ، واما الغرفة ذات الرقم /30/ فكانت ورشة بناء ، والغرفة /29/ كانت مستودعا للأواني الفخارية ، واما باقي غرف الطابق المذكور فلم يكن من السهل دائما معرفة الاغراض التي خصصت لها ، في حين بدت الغرفة رقم /17/ لغزا محيرا لم نتمكن من حله ، ومن الملاحظ انه جرى إبان تشييد القصر حفر بئر في ارضه مربعة الشكل بنيت فيها غرفة ارضيتها من الاسمنت الكثيف ، وهي اخفض من الغرف المجاورة بمقدار /٢٫٢٥/ م وذات جدران مؤلفة من ثلاثة مداميك مبنية من حجارة كبيرة بازلتية مغروسة في قلب الاسمنت ، واما في الجهة الجنوبية الشرقية من الطابق الارضي ، فكانت هناك كوة باب له دعائم وساكف بازلتي ، وكان الباب نفسه مبنياً من الحجر البازلتي ،

ويدور بالاستناد الى زعرور ، وينغلق بواسطة رتاج ذي دسار داخل ثقب عتبة حجرية ، ومن سطح الارض يمكن للمرء ان يصل الى هذا الباب اذا صعد درجا ذا درجات بعضها من الخشب ، وبعضها الثاني من الحصى الناعمة ، والآخر مصنوع من تربة فخارية ، وقد طليت جميعها بعناية فائقة بطينة بيضاء ، واما الجدران الجانبية من الطابق المذكور فكانت من الحجر الكلسي الخشن المطلي بالاسمنت انظر الى اللوح (٥ ب) ، واما الباب الحجري المنفرج الذي كشفنا عنه فكان مشدودا بحجارة كبيرة انتصبت امامه في قلب الغرفة ذات الجدران الحجرية ، وفي زاوية من هذه الغرفة تم العثور على كومة رماد خشبية فيها ثلاث اوان من الاباتر وثلاث اخرى من الفخار ، وفي الجهة المقابلة للجدار الجنوبي الغربي من الغرفة المذكورة كان هناك صندوق حوى اربعة هياكل بشرية بدت جمجمة كل هيكل موضوعة في زاوية من زوايا الصندوق ، وعندما كشفنا عن الباب الحجري المنفرج المذكور بدت غرفة القبو ملأى بالتربة الطرية ، واما الدرج فكان له سقف من الخشب تعلوه ارضية اسمنتية كانت على سوية واحدة مع سوية الغرف المجاورة،واما الباب الواقع فوق هذا الدرج فكان مغلقاً بالآجر، وهناك باب جديد جرى فتحه في الجدار الشمالي الشرقي من الغرفة المذكورة فبدا الدرج واقعا تحتها ، وهناك ايضا باب آخر جرى اقامته على الارضية القائمة فوع الباب البازلتي المدفون في التراب . وقد تم على الارجح اقامة ارضية جديدة فوق التراب الذي ملأ البئر المذكورة ويظهر ان ذلك قد تحقق اذ بدت الأرضية المذكورة فيما بعد متصدعة وبدا واضحا ان غرفتين جديدتين قد حلتا محل غرفة القبو ومداخلها .

من الثابت ان تاريخ حفر البئر المذكورة هو نفسه تاريخ بناء القصر الذي قامت اساسات جدرانه على جدران البئر المذكورة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان حقيقة ان الباب الواقع فوق الدرج كان مسورا فذلك يعني ان الجدار الشرقي الجنوبي القائم فوق سوية الارض كان موجودا عندما جرى استعمال البئر ، ولكن البيّنة التي تؤيد ان البئر كانت مستعملة مازالت مفقودة ،وعندما اكتشفنا الدرج المطمور في قلب التراب ، والباب البازلتي ، عرفنا ان ذلك سيقودنا الى قبر ملكي ، في حين لم يكن هناك اي قبر من هذا القبيل ، اذ بدا من الهياكل البشرية المبعثرة في الصندوق الخشبي ، ومن الاواني الثلاثة الحجرية ان ليس لها صفة ملكية ما ، وكما عرفنا سابقا فان الباب الحجري المنفرج كان

مسدودا من الداخل ، فليس هناك اي اثر لسقف يدل على وجود قبر ما ، وفي هذه الحال فانني لا أستطيع الا ان افترض ان ذبيحة ما تمت تضحيتها عند الابتداء في بناء القصر ، وان هذا النوع من النذور هو نوع من الطقوس التي تجعل البناء المذكور يبدو دائما جديدا (اذ اقام الملك ابواب قصره على اكتاف ابنه البكر) ، واذا كان هذا العمل هو فعلا حقيقة واقعة فمعنى ذلك ان الدين السائد في ذلك العصر كان دينا تكتنفه الغاز غريبة لا يمكن حلها او فهمها .

هذا واذا كنا قد أصبنا بخيبة امل لاننا لم نعثر على القبر الملكي ، فان المعبد الذي بناه الملك / ياريم ليم / قد انسانا ذلك ، اذ قام المعبد في المكان التقليدي المخصص لاقامة المعابد فوق اطلال معبد سوية البناء الثامنة في آلالاخ الذي جرى استخدام قسمه السفلي بغية احتواء الكتل الاسمنتية التي شكلت اساسات المعبد الجديد الذي بدا تخطيطه بسيطا ضم باحة امامية كبيرة محاطة بغرف مخصصة للخدمات ، ويقوم في قلب هذه الباحة معبد مؤلف من غرفة واحدة مربعة الشكل ، وقامت على اطرافها مصاطب مرتفعة ، ومذبح متدرج مبني من حجارة بازلتية امام المصطبة التي تواجه مدخل المعبد الذي بدا مرتفعا من خلال جدرانه الآجرية السميكة التي بلغت سماكتها اربعة امتار ، وفي قلب الجدار الامامي السميك من المعبد قام درج ، وقامت ايضا في قلب الجدار السميك الواقع في قلب المعبد بئر شاقولية لتصريف المياه بنيت من الآجر المشوي ، ويبدو انها اقيمت لخدمة بعض الطقوس الخاصة بسكب الخمرة ، وهذه الطقوس كانت تقام في الغرفة العليا من المعبد ، ويدل كل ذلك على ان المعبد كان مؤلفا من طابقين إن لم يكن من اكثر ، وانه اتخذ شكل البرج العالي المشرف على مدينة آلالاخ ، وان كلا من القصر والمعبد قد احترقا ، وان القصر نهب قبل ان يحرق ، إذ بدت مصاطب المعبد ذات الصناديق الخشبية المطلية بالطبقة الاسمنتية التي اخفتها عن الانظار قد نهبت وتحطمت ، واما ارضية المعبد فتبعثرت فيها رُقَم مستندات المعبد ، وقطع العاج والتماثيل المحطمة .

واما الشيء المثير الذي عثرنا عليه محطما من اصل اكثر من مئة قطعة اثرية فكان تلك المجمَّرة الفخارية التي اتخذت شكل طبل صغير او شكل (قاعدة اناء) ومزينة بأشكال دقيقة تمثل الآلهة ، وانسانا محاربا واقعا على الأرض ، وقد يكون ذلك نوعاً من الأساطير ، كما وتم العثور بين الأشياء المحطة على شعر

مستعار واجزاء من لحية نحتت على حجارة طرية هي / اللازورد / ، وجميعها تعود الى تماثيل مركبة كانت وجوهها مصنوعة من العاج واجسامها من الخشب المذّهب ، كما وكان هناك راسان لرجلين من حجر / الديوريت Diorite / ، ويعودان الى تمثالين وضعا فوق مصاطب المعبد ، ولا شك ان هذين الراسين لهما فائدة كبرى واما احدهما الذي تشوّه اكثر من الآخر فكان نموذجه مصنوعاً وفق الأسلوب المصري انظر الى اللوح / ٦ ب / ، ولكنه ليس صناعة مصرية بل صناعة محلية اراد صاحبها ولم يكن حاذقا دقيقا ان يطبع على هذا الراس ما يشير انه صناعة مصرية ، ومن المرجح ان تاريخ الراس المذكور يعود الى عصر لم يكن فيه / ياريم ليم / قد حرر مملكة / يمحاض / من نفوذ وسلطة فراعنة السلالة الثانية عشرة المصرية القوية في / آلالاخ / ، ويبدو النفوذ المذكور واضحا في صورة لاحد اعضاء الاسرة المالكة في / آلالاخ / المنحوتة التي تجسد فيها تأثير النفوذ الفرعوني ، واما الراس الثاني الذي كان على الأرجح صورة عن راس \ ياريم ليم \ الملك فلم يظهر عليه اي طابع مصري انظر الى اللوح /٧/ اذبدا انه من نتاج مدرسة تختلف عن المدرسة المصرية / ضمن شروط سياسية معينة / ، انه نتاج عمل فنيجاد خاص بفن محلي / ولاسباب فنية بحتة فان هذا النوع من النحت مشتق من فن سومري يعود الى عصر أسبق ، ويقترب كثيرا من حيث التاريخ ، ومن حيث الاسلوب من تمثال راس جميل من البرونز يمثل راس / سارجون / ملك آكاد الذي تم العثور عليه في مدينة نينوى ، ولكن المادة البرونزية في تمثال / ياريم ليم / تختلف عن مثيلتها في تمثال ملك / آكاد / الذي يعود الىعصراسبق، ومن المحتمل ان يكون مكان العثور عليه هو شمال بلاد ما بين النهرين ، وتعود صناعته الى مدرسة فنية لا نعرف شيئاعنها ، ولكن مصدرها هو بالتأكيد مدرسة سومرية تطورت وفق اهداف مرسومة محددة حتى بلغت درجة عاليةمن الكمال لاتماثلها اي مدرسة اخرى في الشرق الأوسط، ومهما كان الأمر فان تمثال راس ملك آكاد يمثل ظاهرة فريدة ، ومهما كان الوسط الفني الذي انبثق عنه ، فان هذا التمثال يبقى نموذجا رائعا لفن ابراز شخصية الفرد ، وعملا فنياجذابا .

كانت مدينة آلالاخ التي كانت عاصمة مملكة صغيرة كبيرة بثرواتها التي جمعت معظمها من التجارة الدولية ، فانها والحال هذه لا يمكن الا ان تكون عرضة للمؤثرات الخارجية ، وهذا صحيح الى حد ما ، ولكن وجود نموذج مادة

اجنبية ما في آلالاخ ليس معناه بالضرورة ان المادة المذكورة مستوردة من الخارج ، صحيح انه بدا من الآثار الحجرية المكتشفة في جنوب القصر الملكي انها قد تكون مصرية الصنعة ، ولكن من المحتمل جدا ان تكون قد نحتت محليا في آلالاخ ، وان نحاتها قد اختار نماذج مصرية فقط بغية ارضاء اذواق الزبائن الذين اعتادوا على اقتناء مثل هذه النماذج ، ومن المعروف في آلالاخ في ذلك الحين ان الاستيراد من الخارج كان يشمل المواد الاولية ، والاشياء المصنوعة ، واما معمل الفخار الواقع في الجهة المقابلة لسور القصر الكبير الخارجي من عهد / ياريم ليم / هذا الجدار الذي لم نستطع زحزحته لانه كان ينتصب بشكل شاقولي تحت قصر جديد هو أحدث من قصر / نيقميبا / فقد وجدنا المعمل المذكور هو بادارة شخص اخصائي في صناعة الاواني /الاوبسيدية/ ، واما هذه المادة الاوبسيدية / الزجاج البركاني / فكانت تستورد من منطقة الاناضول الشرقية ، وعلى شكل كتل مستطيلة الشكل ابعادها هي / ٣٠ × ٢٠ / سم ، وكان الفنان النحات يضفي على الاواني التي ينحتها من هذه المادة اشكالادقيقة جميلة ، ويتبع في قصها طريقة ناحت الظرّان / السيلكس / من عصور ماقبل التاريخ ، اذ كان يحفر كتلة الاناء بسكين حادة ذات راس مدبب ، ثم يجعل ثقوب الاناء متقاربة من بعضها ، ثم يزيل رؤوس هذه الثقوب التي تبقى قائمة، ثم يجعل سطح الاناء أملس اكمد ، ثم يصقله حتى يصبح لامعا شفافا له بريق كبريق الزجاج الشفاف الاسود أو الاخضر .

هذا ولما كانت مادة السبج / الاوبسيدين / مادة صعبة وقاسية جدا فان نحتها وتصنيعها يتطلبان ولاشك مهارة فنية عالية ، ومن ذلك يبدو جليا واضحا ان ممارسي فن النحت على حجارة الاوبسيدين هذه يجب ان يكونوا من ذوي المهارات النادرة الذين يتقاضون أسعارا عالية من أعمالهم الفنية .

مع استمرار التنقيب في أبنية سوية البناء السابعة في آلالاخ كنا نزداد دهشة ومعرفة بما نكشف عنه من أوان فخارية ، واما الخزف الزخرفي التقليدي الجميل الذي احتل المقام الاول في اعمال الزينة فكان طابع جميع سويات الابنية بدءا من عصر سوية البناء السادسة عشرة وحتى عصر سوية البناء الثامنة ، واما في عصر سوية البناء السابعة فقد غاب الخزف الزخرفي المذكور ولم يظهر له اي اثر ومن المؤكد ان يجد المرء في عصور الفن والازدهار في اي بلد ما الاواني

الفخارية مهملة لا يستعملها كثيرا الرجل الفني الذي يفضل ان يرى مائدته مزينة باوان من البرونز والفضة او الذهب ، مستوردة بدلا من آنية فخارية محلية قديمة ، وهذا ما اصاب الزخرفة الخزفية التي كانت تمثل طابع الرفاه في آلالاخ ، والتي عفا عليها الزمن منذ عهد الملك / ياريم ليم / ، ولكن هذا الانصراف عن استعمال الاواني الفخارية المذكورة لم يكن عاما ، اذ تم العثور على ما يماثلها في القصر الملكي وفي المعبد ، وفي بعض قبور الموتى الفقراء ، وكانت متجانسة ، ولكنها مختلفة الاشكال بلغت اربعين نوعا ، فيها احدى عشرة آنية من البرونز ظهرت في سويات بناء اسبق ، اذ بدت الآنية الباقية انها من عصر الملك / ياريم ليم / ، ومن خلال ما تقدم يظهر جليا ان الانصراف عن استعمال الزخرفة الخزفية التقليدية في آلالاخ قد اصبح امرا طبيعيا ، وعلاوة على ما ذكرنا فان عشرة انواع من الاواني الاربعين المذكورة لم نجد لها اثرا يماثلها في سوية البناء السابعة ، وعندما بلغنا في التنقيب كلا من سويتي البناء السادسة والخامسة تأكد لنا عودة الزخرفة الخزفية القديمة الى الظهور من جديد في آلالاخ ، وان عشرين نوعا من الاواني المذكورة بدت مزخرفة الآن بالخزف الذي غاب عن الاستعمال زمنا طويلا ، وهكذا يظهر ان الابتعاد عن استعمال الزخرفة التقليدية السائدة هو انصراف موقت خاص بعصر سلالة /ياريم ليم / الملكية .

واما ملوك يمحاض الذين هم فيالأساس ملوك حلب فقد ضموا اليهم آلالاخ وجعلوها مقرهم الملكي ، ولكنهم بقوا غرباء عنها ، وجلبوا اليها كثيرا من الفنون والنماذج الفخارية الجديدة ، وقد تكون بينها نماذج لم تعد جذابة مستحبة ، وقد تكون ايضا الزخرفة الخزفية القديمة التي تمثل طابع آلالاخ قد اعتبرت بمثابة رمز وطني خاص بآلالاخ يتعارض مع الاصلاحات الجديدة التي جاء بها الملوك المذكورون ، وان هذه الزخرفة لم تعد مقبولة ، ولم تكن هي الوحيدة التي جرى الاستغناء عنها عملا بالاوامر الجديدة ، وبالمناسبة لابد من القول انه على الرغم من الثراء والحضارة التي بلغتها آلالاخ في عهد الملك /ياريم ليم/ فان سلالته الملكية اثارت غضب السكان وكراهيتهم ، ليس من اجل التغييرات التي طرات على اساليب الطعام وانما من اجل امور اساسية ابلغ واعمق ، واذا دلت التبدلات المتتالية الجارية في القصر الملكي على شيء ، فانما تدل على انعدام الثقة بين افراد العائلة الملكية الواحدة الى حد بلغ ان باب الدخول الى ساحة القصر الرئيسية ، والذي يقود الى اقسام القصر الرسمية الهامة بما في ذلك غرف

السكن ، اصبح محصنا بكل دقة ، اذ تم انشاء مدخل جديد عن طريق فتح باب جديد في الجدار الخارجي الخاص بصالة الانتظار الواقعة الى الجنوب الغربي من غرف القصر الهامة الرسمية ، واما باقي جدران هذه الصالة فقد جرى تقويتها ، وتحولت الى صالة للحرس لابد ان يمر فيها كل فرد داخل الى القصر ، ومن ثم الى صالة ثانية للانتظار /فيها ايضا حراس/ حتى يصل الى صالة الاستقبال في القصر ، وهكذا لايصل المرء الى قلب القصر وغرفة الرئيسية الا بعد ان يجتاز سلسلة من الحواجز بدءا من الساحة الرئيسية وصولا الى غرفة الحرس الاولى /غرفة الانتظار/ الخ .

وعندما كشفنا عن بقايا القصر الملكي تأكد لنا انه احترق كاملا ، ولم تنج من الحريق جدرانه السميكة من الآجر الذي بدا محطما ومحمرا ، واما مؤنة الجدران المؤلفة من الرمل والكلس فقد تحولت الى ذرات من الزجاج ، واما بلاطات الجدران البازلتية فلم تكن متصدعة فقط ، بل بدت في بعض الحالات ذائبة ، كذلك تأكد ان القصر قد نهب بكامله ، ووجدنا في احدى غرف حرس القصر رقم /9/ هياكل بشرية لخمسة افراد مسلحين ، وهيكلين آخرين وجدناهما في غرف اخرى ، واما انطباعي الأول عن حريق القصر، وان هناك فقط سبعة هياكل جعلني مترددا لا اجزم براي، اذ لوكان القصر قد احترق نتيجة هجوم خارجي وقع عليه ، فان الاحتراق يجب الا يقع الا بعد ان يتمكن العدو المهاجم من اختراق جور المدينة الحصينة ، ويصبح القصر مكان الالتقاء النهائي لجميع المدافعين عنه حتى اخر لحظة من حياتهم ، وتتجمع هناك آكمات من الجثث والقتلى ، وبرأينا ان وقائع حريق القصر تتمثل في ان هجوما مباغتا وقع على القصر الملكي ، وان حراسه اخذوا على حين غرة ، وذبحوا ذبح النعاج دون أن يستطيعوا الدفاع عن انفسهم ، أو عن القصر الذي وقع بايدي المهاجمين ، وهذا مايدفع الى الاعتقاد ان سكان مدينة آلالاخ هم الذين ثاروا على حكامهم ، ومع ذلك قد يصبح الراي المذكور في نهاية الامر حقيقة خاصة اذا فرضنا ان حماية الواقع العسكرية في المدينة قد انيط امرها بجنود /اجانب/ جيء بهم من حلب ومن ولايات المملكة الشرقية ، وان الملك /نيقميد ايبوخ/ لم يكن يثق بسكان آلالاخ ليجعل من بعضهم حراسا لقصره ، لذلك تصبح مهاجمة المواقع العسكرية المذكورة والحال هذه امرا طبيعيا بعد ان تم الاستيلاء على القصر الملكي وحرقه، واما الافتراض القائل ان مدينة آلالاخ قد دمرها عدو خارجي خلال الفترة

الواقعة بين اعوام /١٧٥٠ ـ ١٧٣٠/ قبل الميلاد فذلك امر صعب الحدوث خاصة اذا عرفنا ان حلب المدينة الرئيسية في المملكة التي تضم آلالاخ بقيت تمارس /سلطتها كاملة/ زمنا طويلا بعد عام /١٧٠٠/ قبل الميلاد ، صحيح ان هذه الفترة الزمنية تميزت بتبدلات كثيرة وان حركات شعبية كما راينا في آلالاخ كانت تقع بين الفينة والفينة ، وتجعل تاريخ الشرق الاوسط خلال الفترة المذكورة تاريخا مضطربا ، وان العرب القيسيين قد اجتاحوا مملكة /بابل/ واحتلوا جزءا منها ، وان العرب الرحل احتلوا في عام /١٧٣٠/ قبل الميلادوادي النيل ، واطلق عليهم اسم الهيكسوس اي /ملوك الرعاة/ وقضوا على عرش فرعون ، ومع كل هذا فاننا لا نستطيع ان نعزو سقوط مملكة / نيقميد ايبوخ/ الى احداث كبيرة من هذا النوع ، ولكن من الممكن القول ان ثورة محلية في آلالاخ قد وقعت ، وان احداثا وقوى خارجية شجعت واعانت سكان آلالاخ على الثورة للحصول على استقلالهم وانفصالهم عن مملكة حلب ، وانهم مسؤولون عن الاطاحة بعرش الملك /ياريم ـ ليم/ والقضاء على افراد اسرته ، ويعزز هذا الراي احداث متلاحقة وقعت في آلالاخ اذ عادت الى الظهور تلك الاواني الجميلة من الاواني الفخارية ، ولوحظ ان هناك /بعثا محليا/ ، وان منتجات جديدة انتشرت في الاسواق المحلية .

لقد بنى /ياريم ـ ليم/ قصره في نفس المكان الذي بنى فيه ملوك آلالاخ قصورهم من قبل ، وكان المكان المفضل في مدينة آلالاخ ، ولكن بعد وفاة الملك \نيقميد ـ ايبوخ\ لم يبن احد من الملوك اللاحقين قصره في المكان المذكور الذي ظلت اطلاله خلال مئة وخمسين عاما تشكل آكمات كبيرة من الخرائب وبقايا جدران حزينة شوتها النيران لايقترب احد منها ، وهي تشغل مساحة واسعة من قلب المدينة المأهولة بالسكان ، بقي استعمالها قاصرا على حفر آبار لتكون مستودعا للردميات ومقرا للقمامة ، وان لعنة الفراعنة التي اصابت القصر المذكور جعلته مهملا مهجورا حتى اصبح كومة من الرماد ، وفي عصر لاحق عندما احتاج ملك جديد في آلالاخ الى ارض يبني عليها قصره اختيرت له ارض جديدة ، ولم يقتصر الامر على ذلك فقط ، لان المعبد الذي بناه /ياريم ـ ليم/ في المكان التقليدي للمعابد ، وعززه بعدد متلاحق من المحاريب قامت فوق بعضها ، ويعود تاريخها الى تاريخ تشييد مدينة آلالاخ الاول التي تغير حالها بدءا من عام /١٧٣٠/ قبل الميلاد ، فقد اثار بناء معبد / ياريم ليم/ المذكور

الشعور الديني لدى مواطني آلالاخ ، اذ كان من /المستحيل/ او من غير الطبيعي /لديهم اقامة معبد جديد الا في المكان التقليدي المخصص لهذه الغاية ، كما ويبدو اكثر استحالة اقامة بيت جديد للآلهة على انقاض ما خلفته من كراهية نبعت من آلالام وفواجع واحزان سكان آلالاخ ، هذا واما محراب / الربة سيدة مدينة آلالاخ/ فقد انتصب الآن فوق الارض التي كونت الفناء الامامي للمعابد القديمة ، في حين بقي المكان الواقع الى الخلف من الارض المذكورة مكانا دنسا مهجورا لانه حوى في الماضي معبد /ياريم ليم/ ، وبعد مرور مدة زمنية طويلة تلاشى من اذهان الناس في آلالاخ ذلك الاحساس السابق القديم الذي اعتبر معبد /ياريم ليم/ معبدا دنسا لايجوز الاقتراب منه ، فقد اعيد اليوم استخدام هذا المعبد كمكان تلتقي فيه عامة الناس .

هذا ومن خلال القطيعة التي وقعت بين الحاكم والمحكوم في آلالاخ التي ناقشناها ، ومن خلال كل ما تمثله مملكة يمحاض ، فان ذلك يقدم لنا تفسيرا واضحا للحرائق التي التهمت بنيرانها قصر الملك / نيقميد ـ ايبوخ / في مدينة آلالاخ .

* * *

الفصل السادس

عصــور الظـلام

سويتا البناء السادسة والخامسة

خلال سنوات متعاقبة عندما كنا ننقب في اماكن متعددة من عصر ابنية السوية الرابعة في آلالاخ وصولا الى السوية السابعة ، استرعى انتباهي طابع الطبقات الارضية التي كشفنا عنها ، لقد عرفنا ان تاريخ السوية السابعة انتهى في عام / ١٧٣٠ / قبل الميلاد ، وتاريخ السوية الرابعة انتهى في حوالي عام / ١٥٠٠ / قبل الميلاد ، وان بين التاريخين المذكورين فترة قدرها اكثر من مئتي عام مجهولة ، وبالاضافة الى ذلك فاننا كشفنا من خلال التنقيبات الجارية عن طبقتي بناء ، وهذا الكشف يسمح لنا بالحديث عن السويتين الخامسة والرابعة اللتين تبدوان عاجزتين عن رفدنا بمعلومات تجعلنا على بينه تامة بكيفية مرور المئتي عام المذكورتين ، لقد بدا الامر مخيباً للآمال بقدر ما بدت فيه فترة المئتي عام المذكورة كثيرة الاهمية كما يقول الاستاذ / سيدني سميث / ، اذ عرفت منطقة الشرق الاوسط خلالها تطورا ملحوظا لا يمكن تخمين خطوطه العريضة ، لقد توقعنا من تنقيباتنا الجارية في آلالاخ أن تسد لنا هذه الثغرة من الحقبة الزمنية الناقصة من معلوماتنا ، إذ كنا نأمل من حيث المبدأ أن نضع ايدينا على الوثائق السياسية الخاصة بمدينة آلالاخ ، ولكننا لم نعثر على اي رقيم يساعد على ذلك ، لهذا كان لا بد من الاعتماد على المواد الاثرية الخالصة بغية كتابة التاريخ المذكور المفقود البالغ مئتي عام ، ولكن ولحسن الحظ ، وفي آخر حملة تنقيب جارية في موقع القلعة من آلالاخ كشفنا عما ذلل تلك الصعوبات القائمة اذ حفرنا خندقا في طرف من تل المدينة الواقع في الناحية الشمالية الغربية من باب المدينة ، وكان خندقا للدراسة زودنا بمعلومات صححت لنا اخطاء كثيرة وقعنا فيها خاصة بمواقع أثرية نقبنا فيها سابقا .

واما الاشياء التي كشفنا عنها فتعود الى الفترة التي تلت حريق قلعة سوية البناء السابعة ، ومن خلال عصر سوية البناء السادسة ، توصلنا الى معرفة دلت على ان تحصينات القلعة قد اعيد ترميمها وتقويتها ، وان هذا العمل تكرر مرة ثانية خلال العصر المذكور ، واما في عصر سوية البناء الخامسة فقد اعيد ترميم القلعة مرتين ، وفي كل مرة كان ابرز مكان اصابه الترميم هو القصر مالك الجدران القوية ، والمنتصب على قمة سور اصطناعي ، في حين قامت هناك في اسفل السور مصطبة ذات ميل قليل بدات من اسفل الجدران ، وانتهت بمنحدر شديد قام على طرفه على الارجح حاجز منخفض / لم يبق له اثر / ، ولا شك ان الضرورة قضت بان يكون مثل هذا النوع من البناء قويا ، ومن الصعب سقوطه بسهولة ، ومع ذلك يجب ان نتذكر دائما ان مثل هذه الابنية القوية يمكن ان تتحطم اذا هاجمها عدو قوي كما وقع لواحد منها ولم يمض على تشييده زمن طويل ، وفي المناسبة يجب ان نعترف ان عدد مرات تجديد القصر كان اربع مرات ، وهي مدة زمنية تبدو فيها فترة المئتي عام المظلمة فترة معقولة ومعتدلة ، واما الشواهد التي جاءت بها ابنية القلعة فيؤيدها الفخار الذي وجد فيها وفي ابنية اخرى ، واما في سويتي البناء السابعة والسادسة فعثرنا على نوع من الخزف المستورد يختلف تاريخه عن تاريخ غيره ، وهذا النوع من الخزف ظهر اثناء التنقيب في امكنة اخرى من سورية وفلسطين وقبرص ، واما في سوية البناء الخامسة فعثرنا على خزف قبرصي يعود بتاريخه الى ما قبل عام / ١٦٥٠ – ١٥٥٠ / قبل الميلاد وعلى قطعتين خزفيتين فلسطينيتين تاريخ احداهما هو عام / ١٦٥٠ – ١٥٥٠ / قبل المسيح . والثاني هو عام / ١٦٠٠ – ١٥٠٠ / قبل الميلاد ، ومع استمرار ظهور هذين النوعين من الخزف الفلسطيني في سوية البناء الخامسة ايضا تم العثور في نهاية عصر هذه السوية على النماذج الاولى من الخزف الملون المسمى / نوزو / الذي تمت صناعته في الشرق خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ومن خلال ما تقدم يبدو ان الانقطاع التاريخي الواقع بين سويتي البناء السابعة والسادسة قد توضح ، واذا بدت بعض ابنية القلعة غير قادرة تماما على تفسير الانقطاع الزمني المذكور فيجب الا نعطي الموضوع اكثر مما يستحق من اهمية وهذا ما فعلته انا ، فاذا كان البيت المعروف قديما قد تم بناؤه جيدا وكانت صيانته جيدة فان مثل هذا البيت المبني من اللبنات يمكن ان يعمر مئة عام ، كذلك هناك احتمال آخر يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار ، اذا كنت مصيبا عندما قلت ان ابنية سوية البناء السابعة

العامة قد حطمتها الثورة التي قامت في آلالاخ ، فانه ليس من الحكمة الافتراض ان بيوتا خاصة قد تحطمت ايضا ، والقول المعقول هو ان القسم الاكبر من المدينة لم يصب باذى ، وان السكان استمروا في مزاولة اعمالهم الطبيعية ، يحيون في بيوتهم حتى اصبحت متداعية او عفا عليها الزمن ، واستعيضت حسب دورة الزمن التي تلت تحطيم قصر الملك نيقميبا وبلغت تاريخ سوية البناء السابعة ، ومع ذلك يبقى هذا القول من باب التخمين وليس كلاما قطعيا ، واما البيوت الوحيدة الخاصة بسوية البناء السابعة التي نقبنا عنها ، فكانت تلك البيوت المتوضعة على اطلال بيوت خدم قصر / ياريم – ليم / وقد بقي منها شيء قليل لا يساعدعلى فهم كيف كان مخطط بنائها ، ومع ذلك يبقى من المؤكد ان هذه البيوت لم تبن الا في تاريخ متاخر نسبيا عن تاريخ سوية البناء السادسة، وهذه الواقعة ليست علىجانب كبير من الاهمية،اذ عندما دُمّر قصر /ياريم ليم/ فان اقسام السكن الهامة منه المؤلفة من طابقين او ثلاثة كانت تشكل اكمة كبيرة في كتلة سور المدينة السميكة المتجهة الى الجنوب الشرقي ، وفي النتيجة فان بيوت خدم القصر التي كانت جدرانها رقيقة ، ومؤلفة من طابق واحد ، فان هذه البيوت كانت تؤلف قسما من مساحة ارض منخفضة محاطة باراض اعلى منها ، وتسيل في هذه الارض مياه الامطار التي تجعل منها في الشتاء مستنقعا عائما ، وقد لاحظنا في هذا المستنقع طبقات متتالية من الوحل الناشف ، وهكذا بدا ان حظر البناء وقع على موقع القصر الذي لم يعد منطقة قابلة للاشغال السكني او غيره واصبح مكانا للقمامة ، ومع مرور الايام تم حفر آبار في ارض القصر من اجل استيعاب الردميات والبقايا المتكاثرة ، ثم ارتفعت سوية ارضه ، وبدأ الناس بعد مدة من الزمن يعاودون البناء في الموقع المذكور ، ولكن ليس هناك اي دليل يدل على ان شروط البناء التي سادت في موقع القصر كانت عامة شملت مدينة آلالاخ برمتها ، لقد كان باستطاعتنا الحصول على نتائج مختلفة جدا فيما لو استطعنا ان نقوم بتنقيبات واسعة في الاحياء السكنية من المدينة من عصر سوية البناء السادسة ، وهذا ما لم نستطع تحقيقه لأن الابنية كانت غارقة في عمق الارض ، وان تنفيذ اعمال التنقيب في مثل هذا العمق يعني نفقات باهظة ، ووقتا طويلا ، يمكن ادخارها للتنقيب في اماكن اخرى اكثر اهمية ، وهذا ما قررناه واكتفينا بالاحتمالات التي قد تقع ، كذلك كشف لنا السبر الذي حفرناه في ارض القلعة ان هناك انقطاعا في التاريخ الواقع بين تدمير بناء السوية السابعة وبين تشييد اول بناء السوية السادسة . واما

الاطلال المحترقة من سوية البناء السابعة فقد بقيت طويلا عرضة للتقلبات الجوية حتى استطاعت الرياح ان تخلط التربة بالرماد ، وان تكوّن الامطار منها مستنقعات قامت في اسفل جدران القلعة الباقية ، ويمكن لمثل هذه الظواهر الطبيعية ان تتكون في شتاء واحد ، او في سنين كثيرة متعاقبة ، بشكل لا يستطيع المرء ان يجزم باحدى هاتين الفرضيتين ، لذلك فان الشك الواقع يمنعنا من استخدام الوقائع للوصول الى الادلة ، هذا ولو كان الدمار الواقع قد قام به العدو ، لكان من المنطق مرور فترة زمنية ما قبل ان يسمح لسكان مدينة آلالاخ باعادة ترميم مدينتهم وتقويتها ، واما اذا كان الدمار المذكور قد قام به سكان آلالاخ ، فمن المعقول جدا ان يصار الى سرعة اعادة ترميم دفاعات المدينة في اقصر وقت ممكن بالاضافة الى سرعة تنفيذ امور اخرى قد تكون ذات اهمية قصوى اهم من الدفاعات المذكورة ، ولا شك ان كلتا الفرضيتين تتفق مع الوقائع حسب التفسير الذي نتبناه .

واما معلوماتنا عن ابنية سوية البناء السادسة فهي في الواقع قليلة ، وقد تحدثت فيما تقدم عن القلعة والبيوت ، وكان الحديث مقتضبا ولم اتحدث عن القصر الملكي اذ لم نجد قصرا لاننا لم ننقب في المكان الذي يحتمل قيام القصر فيه ، اذ وجدنا معبدا ، ولكنه كان اطلالا لم يبق منه سوى بقية من جدار ، وبغية الحصول على معلومات خاصة بسوية البناء السادسة يجب العودة الى الفخار الذي يمكن ان يغنينا كثيرا ، وبالاستناد الى ما تقدم عرفنا ان نهضة وطنية وقعت في آلالاخ شملت صناعة الخزف المطلي التقليدي ، وان هذا النوع من الخزف كان قد جرى ايقاف انتاجه وتداوله في ظل انظمة حكم سابقة ، وان بعضا من نماذجه هو ابلغ دليل على جودة هذا الخزف القديم ، من حيث الشكل ، ومن حيث الزخرفة ، ومع مرور الايام ظهرت بعض التعديلات على بعض من نماذج الخزف القديمة اذ بدلا من ان تبقى وجوه العصافير والحيوانات في هذه النماذج معزولة ومحددة ، معتدلة الجسم ، اخذت تظهر وكأنها متحركة تمثل قصصا وحكايات متتابعة تحيط بالاناء ، وذلك خلافا للقاعدة المتبعة في الماضي ، القاضية بوجوب وجود فواصل زخرفية شبيهة بتلك الموجودة على الاواني الثلاثية ، وباتباع هذه الطريقة الجديدة استطاع المزخرف ان يستعمل في عمله الزخرفي ريشة كبيرة تساعده على توزيع الالوان على الاواني الخزفية حتى تبدو اكثر جاذبية واعمق اثرا ، ولكن هذه الاواني التي تم انتاجها بهذه

الطريقة الجديدة لم تبلغ مطلقا جودة الاواني القديمة ، ولعل التعديلات الطارئة على صناعة الفخار واتباع هذا الاسلوب الجديد في الانتاج عائد الى الاواني الفخارية المستوردة المختلفة والتي ازداد استيرادها بشكل ملحوظ خلال هذه الفترة من الزمن عن ذي قبل ، ولاول مرة عثرنا على اوان متعددة الزخرفة الوانها حمراء وسوداء ذات قعر اصفر زاهر ، واما الزخرفة فتالفت علاوة على صور العصافير من اشكال الشعارات الخاصة ببعض الدول الاوربية ، وقد تم العثور عليها في المكتشفات الحديثة في فلسطين ، وقد يكون بعض هذه الاواني مستوردا ، ولكن غالبيتها هي نماذج محلية ، وفي المقابل يجب اعتبار الطاسات المصنوعة باليد مستوردة ، وتنتمي الى الانواع التي نسميها بالفخار القبرصي من عصر البرونز ، وهذه الاواني تبدو متاثرة بالاواني المصنوعة من الجلد ، وتشبه عراها عظم الترقوة في الدجاجة،وفي بعض هذه الاواني المصنوعة من الجلد بدا قعرها مطليا بطلاء ابيض ، في حين بدت جوانبها مطلية باللون الاسود مع زخرفة اضافية باللون الاحمر ، وتسمى هذه الاواني ب / اواني الحليب ذات الطلاء الابيض / وهي من الآثار القبرصية ، واما غيرها من الطوس فهي المسماة / بالاواني الخزفية الحلقية القاعدة / ، وهي مصنوعة من الفخار الاملس القاسي الشبيه بالفخار المشوي ، ولونه رمادي اسمر موحد ، انظر اللوح (٩) . هذان النوعان من الاواني وجدا لاول مرة في جزيرة قبرص .

وفي عصر البرونز الخاص بهذه الجزيرة وجدت هذه الانواع من الاواني بكثرة جعلت من الطبيعي اعتبارها منتوجات محلية مماثلة للمنتوجات المحلية النموذجية المصنوعة من الفخار . ولكن عندما تم اكتشاف نماذج مماثلة من هذه الطوس في بلدان اخرى مثل / فلسطين وسورية والاناضول / تم اعتبار الاكتشاف المذكور بمثابة دليل على قيام علاقات تجارية بين هذه البلدان وجزيرة قبرص ، ولما كان تاريخ هذه الجزيرة قد حدد بدقة كافية فقد اتخذت هذه النماذج من الطوس كدليل قوي في تحديد تاريخ الطبقات الارضية التي اكتشفت في الجزيرة المذكورة ، واما هنا في قرية العطشانة / آلالاخ / فقد حدد تاريخها ايضا بدقة لا تقل عن دقة تحديد تاريخ جزيرة قبرص ، واما ما يتعلق بتاريخ نماذج الاواني ذات القعر الابيض ، وذات القاعدة الحلقية ، فقد بدا ان تاريخ الجزيرة المذكورة لا يتلاءم مع تاريخ هذه الاواني ، لقد تم اكتشاف طاستين بعروتين سطحهما متعرج في سوية البناء السابعة،واما في سوية البناء السادسة

فان اكتشاف هذين النوعين من الطاسات اصبح شيئا مألوفا ، واصبح غزيرا في سويتي البناء الخامسة والسادسة اللتين كان الكشف فيهما سهلا ويسيرا ، واما ما يتعلق بنماذج الاواني الاقدم التي ترقى بتاريخها الى زمن قدره /١٥٠/ عاما قبل العصر الذي ظهرت فيه الاواني ذات القعر الابيض ، وذات القاعدة الحلقية في جزيرة قبرص ، فان النماذج المذكورة تدفعنا الى اعادة النظر في آرائنا السابقة،اذ ان صناعةالنماذج المذكورة منالاواني لم تكن صناعةقبرصيةبل صناعة محلية قائمة في آلالاخ ، ذلك لان صانع الفخار في آلالاخ كان من عصور يستعمل فيها الدولاب في صناعة الاواني الفخارية في حين كانت تتم خارج آلالاخ صناعة الاواني المذكورة بالطريقة البدائية ، وهي طريقة اليد بحيث بدت هذه الاواني بشكلها وزخرفتها غريبة عما هو مألوف في آلالاخ،ويمكن تعزيز هذا الراي ايضا إذا دققنا في الصلصال واللون اللذين يؤلفان هذه الاواني التي تبدو انها واردة من منطقة الاناضول الشمالية او الشرقية ، وهذه نقطة هامة لا يستطيع الجزم بها وتحديدها إلا عمليات التنقيب ، ومن المسلم به ان هذه النوعية من الاواني الفخارية قد دخلت مدينة آلالاخ عن طريق التجارة ، وشدت انتباه الناس اليها لأنها غريبة وجيدة وجذابة ، واصبحت / مودا / زي العصر كما هي حال المواد المحفورة الرائجة التي ينفذها الآن في لندن الزنوج في انكلترا، وكما هي الآن حال تلك الاغطية من نوع / نافاجو / في مدينة نيويورك التي شدت الانتباه ودخلت كل بيتفي هذه المدينة ، وبعد ان سيطر هذا النوع من الاواني الفخارية في سورية الشمالية على الاسواق المحلية فقد اصبح طبيعيا ان تنتقل هذه الاواني من هنا بواسطة صاحب سفينة قبرصية كبضاعة الى قبرص لتروج كما راجت في آلالاخ .

واما المكتشفات التي تم العثور عليها في آلالاخ فانها لم تغير شيئا في تاريخ خزف جزيرة قبرص ، ولكن هذا التاريخ لا ينطبق إلا على هذه الجزيرة فقط ، ذلك لأن الاواني الفخارية القبرصية في آلالاخ لم تكن صناعة قبرصية المصدر الا بالتبنّي ، اذ تم صنعها في آلالاخ وفي غيرها وراجت قبل ان تعرفها جزيرة قبرص .

وفي هذه الأثناء كان في فلسطين وفي القسم الواسع من سورية نوع من الاواني الفخارية المميزة المعروفة : هي الاباريق الصغيرة المصنوعة من الخزف

الرمادي او الاسود اللون ، وتكونت زخرفتها من نقط او خطوط بيضاء وقد اطلق على هذه الاواني الفخارية اسم الاواني الهكسوسية نسبة الى الشعب الهكسوسي السامي الذي غزا دلتا النيل في فترة من الزمن وحكم مصر الفرعونية ، واما في آلالاخ فلم نعثر إلا على النذر اليسير من هذه الاواني المذكورة التي لا تستطيع ان تؤكد وجود رابطة بين آلالاخ وهذه البلاد ، واما سوية البناء السادسة في آلالاخ فقد ورثت عن العصر السابق نوعا من الاواني الخزفية السوداء المصقولة قليلا ، ولها شكل الاباريق وتنقصها الزخرفة / الهكسوسية / النموذجية ، ومما تقدم يتضح ان آلالاخ لم تتأثر بهذا النهج في صناعة الاباريق المذكورة ، وان علاقتها بفلسطين لم تبدا الا بعد ان زالت سيطرة الهكسوس عن مصر وطردوا منها حوالي عام ١٧٠٠ قبل الميلاد ، اي في النصف الثاني من عصر سوية البناء السادسة في آلالاخ ، ويمكن للمرء ان يلاحظ تطورا واسعا قد تم خلال هذه الفترة دون ان يعكر صفوها وقوع نكبات او تبدلات سياسية هامة. لقد ازدهرت التجارة اثناءها وخاصة ما بين آلالاخ وشمالها وشرقها واخيرا مع جنوبها ، وتدل الاواني الفخارية الميسينية المستوردة من اليونان الى آلالاخ في اواخر العصر المذكور على ان خطوط المواصلات البحرية كانت مفتوحة وآمنة ، لقد كان العصر عصرا هادئا ومزدهرا ، واما تنقيبات سوية البناء السادسة في آلالاخ فكشفت عن نماذج رائعة من الكؤوس الزجاجية الفينيقية المتعددة الالوان ذات الثمن الباهظ ، كما وكشفت عن اوان زجاجية مصنوعة من عجينة اللازورد الغالب عليها اشكال بارزة ، فبدت هذه الاواني اجمل من اي اوان ظهرت حتى الآن من اي عصر سابق ، واما سبب ما حدث من تطور في صناعة الفخار في آلالاخ فكان تلك / الاواني الفخارية النفيسة / الواردة اليها ، والتي استطيع ان اصفها من خلال خبرتي الاثرية الطويلة ان هذه الاواني المستوردة كانت من الاحداث العارضة في آلالاخ ، وان الحديث عنها يجب ان يطول ، وعندما كنا ننقب في ساحة معبد سوية البناء الثانية في آلالاخ ظهرت لنا فجاة قطع صغيرة مكسرة من اناء فخاري ميناؤه ازرق .

واما عملية تزجيج الاواني المصنوعة من / الفريت / اي من العجينة السيليسية فكانت معروفة في مصر من زمن قديم يعود الى عصر السلالة الاولى واما تزجيج الفخار فذلك عمل آخر خاصة وان دهان الخزف لا يلتحم بسهولة مع الفخار وقد تم تحقيق هذا العمل ، او هذا الاختراع في زمن متأخر جدا ،

ولم تعرفه مصر إلا في العصر الروماني ، واما بلاد ما بين النهرين فقد عرفته قبل ذلك بكثير ، وتم العثور فيها على نماذج مصنوعة بهذه الطريقة وتعود الى القرن السادس قبل الميلاد ، واما اقدم هذه النماذج المعروفة فكانت تلك الاجران الفخارية المصنوعة بطريقة تزجيج الفخار والتي عثر عليها في قصر ملك آشوري من القرن الرابع قبل الميلاد ، ويعتقد علماء الآثار ان هذه التقنية الجديدةظهرت في آلالاخ في الألف الاول قبل الميلاد، وان الأواني الفخارية المصنوعة على ضوءهذه التقنية،والعائدةلسويةالبناءالثانية في قرية العطشانةلايمكن انيكون تاريخهامتاخرا عن عام ١٢٠٠ قبل الميلاد ، في حين يبدو هذا التاريخ من خلال الشواهد المعروفة متعارضا تماما مع تاريخ اناء مصنوع بطريقة التأزيج ، وتدل ملامحه على انه اناء عربي يعود الى القرن الثالث عشر بعد الميلاد ، وقد استنتجت من ذلك ان هناك لقى ليس لها علاقة بالطبقات الأثرية المتعاقبة التي تم العثور فيها على هذهاللقى، وقلت لزملائي في بعثة التنقيب الا يؤخذوا بظواهر الأمور ، وعللت موضوع العثور على الاناء المذكور المزجج ان من المعقول ان تكون هناك بئر قائمةمخصصةللردميات او حفر خاصة ببقايا الحيوانات ، او اي شيء آخر من هذا القبيل لم ننتبه اليه ، وان هذه اللقى / قد انزلقت وغاصت الى مستوى من الطبقات الأثرية لا تمت بصلة اليها ، وبعد مرور مدة على العمل وصلنا الى ارضية ساحة المعبد المعبدة بالطين المدكوك ، وعرفنا ان جزءا من هذه الساحة الذي عثرنا فيه على قطع صغيرة مكسرة من اناء فخاري ، كانت الواحه محطمة ، واما اجزاؤها الأخرى فبدت الواحها سليمة رفعناها بشكل يساعد على استمرار عمليات التنقيب الى عمق اكثر ، وتم العثور تحت هذه الالواح على قطع اخرى من الاناء العربي المذكور ؛ الأمر الذي قطع دابر كل شك ، فعدت وتحدثت مرة ثانية الى اعضاء البعثة قائلا – يجب على المرء ان يعترف ان معرفته تبقى ناقصة مهما كانت غزيرة وان عليه ان يتوقع في عمله وقائع جديدة وان يتقبلها .

لا شك ان هذا امر مربك ، وبعد فترة من الزمن ومع تقدم الأعمال عثرنا في قبر يعود الى سوية البناء الخامسة على اناء فخاري سليم مصنوع بطريقة التأزيج ، وعثرنا ايضا على بقايا من اوانٍ مماثلة لهذا الاناء تعود الى سوية البناء السادسة ، التي يعود تاريخها الى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وان تخصيص هذا التاريخ لاناء خزفي مزجج هو ولاشك امر محير ومثير ، ولما كان لا مناص منه ، وطدت نفسي على ان يكون ذلك ثورة في علم الآثار ولكن عندما ناقشت الامر مع الاستاذ : ج. جماد من المتحف البريطاني بلندن ، افادني انه والمرحوم الدكتور /تومسون/ نشرا مذكرة عن رقيم مسماري

محفوظ في المتحف المذكور يعود الى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وقد تمت صياغة نصه بشكل غامض ، لا يمكن للمرء ان يفهمه الا اذا كان مالكا لشفرة هذا النص الذي بداقسم منه غير مفهوم ، واما القسم الاخر فيتعلق بالطقوس الجنائزية ، واما الباقي من النص فقد اتضح لهذين العالمين عندما ترجماه انه عبارة عن دستور علمي يتعلق بكيفية صناعة القاشاني اي (الخزف المزجج) Faience ، واما مذكرتهما التي اشرت اليها فقد شدت انتباه الاستاذ / مور / الذي درس الدستور المذكور دراسة كاملة وفهمه وطبقه ، ثم افاد بما يلي :

عندما انتهيت من تجربتي الخاصة بصناعة القاشاني وحصلت على النتائج كما هي مقررة في الدستور العلمي المذكور اكبرت ذلك الفنان القديم الذي وضع دستور هذه الصناعة بدقة متناهية لم تشمل التعليمات والملاحظات الدقيقة الخاصة بصناعة القاشاني فقط ، وانما شملت النسب والقواعد ايضا بشكل بقي هذا الدستور سائدا معمولا به مايقرب من ثلاثة آلاف وستمئةسنة، يعطي اكمل النجاحات والنتائج(١) .

هذا واما فن تزجيج الفخار فقد وصفه رجل اشورى في القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وبقي سراً مكتوما تجلى في ذلك الوصف الدقيق / الغامض / لعملية التأزيج المذكورة ، ولم يبح صاحب الاختراع بسره إلا الى نقابته الحرفية، وافراد عائلته شريطة ان يحافظوا على هذا السر وان يتوارثوه فيما بينهم دون ان يكشفوه لأحد ، ويصبح سلعة من التجارة العامة ، ومانـدرة منتوجاته الا دليل على احتكار انتاجه ، واما بقاء السر المذكور مكتوما اكثر من الف عام فدليل واضح على احترام وتقديس الاسرار التقنية ، ولم يذع هذا السر ويصبح دستوره مفهوما الا في بداية القرن السابع قبل الميلاد ، وبدءا من هذا التاريخ اصبحت صناعة القاشاني اي / الفخار المزجج / معروفة ، واما اللقى الخاصة به المكتشفة في سويتي البناء الخامسة والسادسة في قرية العطشانة /آلالاخ/ فيجب اعتبارها من اقدم منتوجات هذه الصناعة وانها من انتاج واضع هذا

(١) يجب ان نقدّر بعمق المعرفة الحديثة التي سمحت للسيدين / كاد / و / تومسون / اللذين كشفا / الكريبتوغرام / الآشوري الذي ضلل الفنانين الآشوريين زمنا طويلا .

الفن ، وان آلالاخ كانت مزدهرة في عصر بيعت فيه المنتجات الجديدة المذكورة بأعلى الاسعار .

هذا وليس هناك اي دليل على وقوع كارثة قوية في آلالاخ ادت الى وضع نهاية لسوية البناء السادسة فيها ، وكل ما يمكن معرفته من عصر هذه السوية ان الانتقال الى عصر سوية البناء الخامسة التالية في آلالاخ لاتقود الا الى المعرفة ان ابنية جديدة قد تم تشييدها ، وان الابنية القديمة اصبحت مهجورة، ومن حيث الواقع فاننا بقينا وقتا طويلا عاجزين عن التفريق بين السويتين المذكورتين ، ويقول الاستاذ /سيدني سمث/ ان التبدل الواقع في آلالاخ يتوافق مع زحف حثيي الاناضول : (الذين استمروا في ضغطهم على جنوب بلادهم ، اذ تابع قائدهم / هاتو شيل / الاول حملته على اراضي حلب ، واجتاح / مورشيل / الاول حلب في عام ١٥٩٥ قبل الميلاد ، او قبل ذلك بقليل ، ومن المحتمل ان تكون آلالاخ في هذا الوقت قد سقطت ، وانتهى تاريخ سوية البناء السادسة فيها، صحيح ان تبدلات كثيرة وقعت في آلالاخ ، ولكن ليس سببها السيطرة الحثية عليها ، اذ بعد ان حقق الغزو المذكور اهدافه في تحطيم مملكتي حلب ، وبابل ، انسحب الجيش الحثي راجعا الى بلاده .

وبرايي ان التفسير المنطقي للتبدلات الواقعة في آلالاخ ، يمكن تصورها على الشكل التالي : بعد ان احتل الغزاة الحثيون بعد تدميرهم لحلب ، وآلالاخ دون ان يخربوها ، وهذا مايقول به الاستاذ سميث ، اذ بعد ان حققوا اهدافهم في المنطقة اصبح من المحتمل ان يكتفوا من مدينة آلالاخ بالتبعية لهم ، وان يطلبوا من السكان تدمير دفاعات المدينة ، وفي مثل هذا الاحتمال يكون تاريخ بناء اول قلعة في عصر سوية البناء الخامسة في آلالاخ قد تم بعد جلاء الحثيين عنها ، والى جانب هذا الراي الذي هو بمثابة الفرضية فاننا لم نعثر في آلالاخ على اي دليل مادي يؤكد غزو /مورشيل/ لها .

واما عصر سوية البناء الخامسة في آلالاخ فلم يتميز بالهدوء الا في البداية كما دلت عليه القرائن، وعندما قدمت هذه القرائن التي ساعدت على الاعتقاد ان العصر المذكور كان عصرا طويلا ، واوضحت ان اول قلعة من عصر سوية البناء الخامسة المذكورة يجب ان تكون قد قامت خلال فترة من هذا العصر : حصينة قوية ، ولما كان بناؤها قد قام حصينا قويا ، فان مرور سنين طويلة

على هذا البناء لم يكن وحده كافيا لتدميرها ، بل كان لا بد للعنف والقوة ان يشتركا بشكل فعال في ذلك ، هذا وفي زوية صغيرة من القلعة من سوية البناء الخامسة القسم / آ — ١ / : الذي كنا ننقب فيه والمؤلف من غرفتين — وجدنا في هذا القسم صومعة / سيلو / حبوب ، ووجدنا في باطن الارض قبورا حوت جثث نساء واطفال ، ولا شك ان عادة دفن الموتى ، تحت ارضية المساكن هي عادة معروفة لدى سكان الشرق الاوسط ، ولكنها لا تتعدى سواهم من الشعوب ، علما باننا لم نعثر في قرية العطشانة / آلالاخ / على مثل هذه القبور في عصور اسبق من ذلك ، فقد ظهرت هذه القبور لاول وهلة في عصر سوية البناء الثامنة ثم اخذت تزداد شيئا فشيئا حتى كثرت في عهد سوية البناء الأولى ، وفي النهاية بدت عاجزة عن استيعاب جميع الأموات ، اذ تأكد لنا ان قسما كبيرا من الأموات الفقراء في آلالاخ قد تم دفنهم تحت ارضية بيوتهم الفقيرة ، في حين لم نعثر تحت ارضيات بيوت الاغنياء على مثل هذه القبور ، باستثناء قبور قليلة خاصة بالاطفال . واما في القصور الملكية فلم نعثر على اي شيء من هذا القبيل .

هذا ومن المؤكد ان معظم الاموات في آلالاخ كانوا يدفنون في مقابر عامة (وهذا لم تكشف عنه / ، في حين كانت هناك فئة قليلة من الناس الفقراء ممن اتبعت عادة دفن موتاها تحت ارضية مساكنها لاسباب دينية او اقتصادية ، وهذه العادة كانت معروفة بين سكان بلاد مابين النهرين كما راينا ، ومما لاشك فيه ان العثور في قلعة القصر الملكي على مقابر كان امرا غريبا ، ويؤلف حالة فريدة من نوعها بالنسبة الى الابنية العامة في آلالاخ التي نقبنا فيها ، ولا بد والحال هذه من وقوع ظرف قاهر فرض على سكان القلعة ان يتجاوزوا الاصول المعروفة في دفن الموتى ، واما الظرف القاهر هذا فتفسيره ان سكان القلعة لم يكن بدهم الخيار فيدفن موتاهم الا تحت ارضيات مساكنهم — ذلك لان هناك حصارا قد ضرب عليهم ، وان آلالاخ (كانت مطوقة من كل جوانبها الى درجة لا يستطيع احد ان يخرج او يدخل اليها) ، ولاشك ان وجود صومعة حبوب في القلعة يعزز من تفسيرنا المذكور الخاص بموضوع دفن الأموات فيها ، وان تخزين مواد تموينية في هذه الصومعة كان امرا طبيعيا بغية ضمان واعاشة الجنود المحاصرين المدافعين عنها ، واما في سوية البناء الخامسة في آلالاخ فعثرنا على آبار خاصة بالردميات كثيرة ، ومتعددة ، وقريبة من بعضها ، وتم حفرها في وقت واحد ، وقد تأكدنا من ذلك بعد ان عثرنا على قطع صغيرة من

آنية فخارية مبعثرة في يثرين وفي ثلاث ، واما تاريخ هذه الآبار فيعود الى نفس تاريخ معبدسوية البناء الخامسة ، واما ضبط تاريخ حفرها بالنسبةلعصر المعبد المذكور فيبدو ان ذلك من الامور الصعبة المستحيلة ، واما التعرف على هذه الآبار فتم عن طريق محتواها ، الذي تضمن نماذج جميلة من اوان فخارية ذات زخرفة ممهورة ، انظر الى اللوح /٨ ـ ب/ ، وهي نادرة لا يمكن العثور عليها الا في بعض بيوت الاغنياء الخاصة ، لقد كانت الآبار المذكورة عبارة عن مستودع لنذور سابقة جرت طقوسها في المعبد ، وهـذه النذور تؤلف اوان فخارية انتهى زمن استعمالها ولم تعد مرغوبة ، او من الممكن ان تكون عبارة عن اوان جرى كسرها عمدا (علما باننا لم نعثر على اي دليل يشير الى ان المعبد قد تم سلبهاو نهبه) ، هذا ولما كانت هذه الاشياء قد تم نذرها للآلهة فلا يمكن ان تعامل كفضلات رخيصة يلقى بها خارج محيط المعبد ، بل وضعت في آبار قريبة من المعبد حفرت خصيصا لها ، ومن هـذه الاشياء الاواني الفخارية فقد تم العثور على قطعة كبيرة من اقسام طاسة من صناعة مصرية ، وقد رسمت على هذه الطاسة شجرة اللوتس باللون الازرق ، مع صورة انسان يرمز الى قصة مصرية معروفة ، وبدا وهو جالس امام طاولة وضعت عليها النذور ، وفي اعلى الصورة كتابة باللغة الهيروغليفية تضمنت طريقة او اصول تقديم النذور ، ومن المؤسف ان الكتابة المذكورة كانت ناقصة ، واسم الموظفكان غائبا ولكنه يرمز الى الكاتب وهو لقب يخصص عادة لموظف كبير يمثل الادارة المدنية المصرية في آلالاخ ، فاذا صح ان الموظف هو حقا ممثل الادارة المذكورة ، فمعنى ذلك اننا وقعنا على بناء هام يتعلق بتاريخ مصر انظر اللوح ٨ ـ آ .

هذا وفي اواخر عام /١٥٢٧/ قبل الميلاد غزا تحوتمس الاول فرعون‌مصر سورية حتى وصل الى نهر الفرات الذي اقام على ضفافه النصب التذكارية تخليدا لانتصاراته ، ومارس اعمال صيد الفيلة الموجودة في بلاد نيا (Niya) التي تؤلف جزءا من مملكة يمحاض ، واما بالنسبة للغزو المذكور فلم يكن بوجه عام الا غزوة ليس لها هدف سياسي يرمي الى تحقيق امور معينة والاستيلاء على المدن والقرى ، وجعلها مستعمرة تابعة لمصر .

واما مصادر معلوماتنا الوحيدة عن حملة تحوتمس الاول على سورية فكانت تلك الكتابات القائمة على قبرين عائدين لقائدين عسكريين من قواد تحوتمس المذكور اللذين لعبا دورا بارزا في الغزو المذكور ولم يهتما الا بابراز

ذلك ، في حين تبقى اعمالهما الحربية ثانوية بالنسبة لمن لا يهتم بالنواحي العسكرية من الحملة المذكورة ، واذا دلت طاسة الخزف التي تم العثور عليها في الالاخ /العطشانة/ على ما يجب ان تدل عليه ، وهو تمركز قوة عسكرية مصرية في آلالاخ ، فيجب ان نفترض إن تحوتمس الاول لم يصطد الفيل فقط في سورية بل تعداها الى اكثر من غزوة قام بها في بلاد ـ ناهارينا ـ وهي البلاد الواقعة بين نهري الفرات والعاصي ، ووسع مملكته المصرية ، ولاشك ان حصار آلالاخ الذي دلت عليه مقابر قلعتها دليل على ان تحوتمس المذكور قد غزاها ، وان سقوطها بين‌يديه دليل على تنصيب حاكم مصري عليها ، ويدل على صحة هذا الاستنتاج ماوقع بعد مرور /٣٥/ سنة على سقوط آلالاخ بيد تحوتمس الاول ، من قيام تحوتمس الثالث بغزو سورية الشمالية متذرعا بقيام ثورة فيها ضد الاستعمار المصري ، واذا احسنا تفسير القرائن التي امدتنا بها آلالاخ بدا لاول وهلة ان غزو سورية واستعمارها يعود الى عهد تحوتمس‌الثالث، في حين يجب ان يعود هذا الى والده تحوتمس الاول في الدرجة الاولى .

هذاواما السيطرة المصريةعلى سوريةالشمالية فلم تدمطويلا ، اذ استطاعت حكومات الحوريين في الشمال السوري بما فيها مملكة الميتانيين التي لعبت الدور الرئيسي في طرد المصريين والحلول مكانهم ، وبدا ذلك واضحا في قرية العطشانة / آلالاخ / التي كانت خلال تاريخها الطويل تقوم فيها المعابد الجديدة على اطلال المعابد السابقة ، وقد جرى استعمال انقاضها بغية إعداد ارضية مرتفعة للمعبد / بوديوم (Podium) اي دكة تجعله اكثر بهاء ، واكثر طلالة ، ولم يشذ عن هذا التقليد سوى معبد سوية البناء الخامسة اذ بدلا من ان يلجأ بناؤوه الى تسوية بقايا معبد سوية البناء السادسة فقد حفروا في قلب بناء هذا المعبد حفرة مستطيلة الشكل قام عليها معبد سوية البناء الخامسة الجديدة ، ولم ينج من التخريب الكامل الواقع سوى وجه الجدار الشمالي الشرقي الخارجي الخاص بمعبد سوية البناء السادسة ، وقد تألف المعبد الجديد من باحة سماوية ، وغرف للخدمات بدت محيطة بها ، ووجدنا بقايا هذه الغرف مبعثرة في الجهتين الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من الباحة المذكورة التي قام المعبد في وسطها ، كما وظهر ان للمعبد صالة دخول كانت قائمة على سوية الارض ، ولم يبق منها اي أثر ، ولكن صالة المعبد الأخرى الواقعة الى الوراء فكانت اخفض بمترين عن سوية الأرض ، وكانت واسعة ومنخفضة بلغ انخفاضها ثلاثة امتار

وثمانين سنتيمترا في الوسط ، وبلغ الضعف في الاطراف ، واما الطرف الجنوبي الغربي من الصالة المذكورة فقد تهدم عندما قامت اساسات سوية البناء الرابعة مغرسة الى الاسفل . وقد كان لهذه الصالة مصطبة عريضة ومرتفعة على امتداد جدران قلب المعبد واطرافه ، واما الجدار الامامي من المعبد اي (الجدار الجنوبي الشرقي) فقد حوى الباب المؤدي الى غرفة الدخول ، وصولا الى درج خشبي يهبط الى ارض اخفض قام امامه مباشرة وبالقرب من المصطبة الواقعة في قلب المعبد مذبح خصص لقرابين تشويها النار ، انظر اللوح رقم / ١٠ ـ آ / ، وقد بني على شكل هندسي مربع الزوايا من الآجر المطلي وبلغ ارتفاعه /٤٥/ سم ، وله في الأعلى منخفض على شكل علبة ارتسمت عليها علامات تدل على ان المذبح قد تعرض للنار كثيرا ، وقامت اوتاد خشبية في جميع اطرافه ، ولما كانت جدران المعبد قد دمرت حتى سوية راس اعلى المصاطب فقد بدا من المحال معرفة ما اذا كانت هذه الجدران قد عادت والتحمت ، او ان كواتها السميكة قد جرى استخدامها من جديد .

هذا ولم تعرف بلاد الشرق الاوسط سابقة معبد قام هيكله تحت سوية الارض ، ولكنها عرفت نوعا من الربّات خصص لها معبد كان محرابه بهذه المواصفات ، وهذا النوع هو المسمى ميترا (Mithra) وهي ربة معروفة في منطقة الشرق الاوسط عبدها فيما بعد جنود الامبراطورية الرومانية ، واما اقدم تاريخ لعبادة ميترا هذه فيعود الى القرن الثاني بعد الميلاد ، وبعد هذا التاريخ اخذت الفرق العسكرية الرومانية تقيم في معسكراتها المعابد تكريما لميترا (Mithra) (التي كانت تمثل جنديا كغيره من الجنود) ، وذلك بدءا من اراضي / نورث امبرلاند / وصولا الى النمسا ، ومن خلال مقارنة اطلال هذه المعابد ، ومصاطبها ودرجها ومذبحها المخصص لوقد النار فيه بدت هذه المعابد احيانا وخلافا للعادة مشابهة لمعبد قرية العطشانة / آلالاخ/ في ذلك الحين ، ولسد هذا النقص الذي لم يكن هنالك شيء لسده في آلالاخ ، بدا من الخطأ بناء معبد روماني في آلالاخ يعود طرازه الى القرن الثاني او الثالث الميلادي ، ويدل على طراز معبد سوري تاريخه هو نهاية القرن / السادس عشر او بداية القرن الخامس عشر / قبل الميلاد ، وفي هذه المناسبة لابد من الاشارة الى ان الربة / ميترا / المذكورة هي ربة هندية اوروبية ، وان مملكة الميتانيين في هذا العصر كانت تسيطر على سورية الشمالية ، وان ملوكها كانوا من المهاجرين من اصل هندي اوروبي ، وهم الذين

ادخلوا هذه الربة الى آسيا ، واوردوا ذكرها في معاهداتهم مع الممالك التي غزوها للدلالة على حسن نيتهم ، واذا كانت آلالاخ قد خضعت لمملكة الميتانيين القوية وجمعتها المصلحة المشتركة معها ، فقد بات لزاما عليها حسب العادات السائدة في الشرق القديم ، ومن باب اللباقة ان تعتنق دين الميتانيين المنتصرين(١) او ان تضيف الى آلهتها آلهة الغزاة المنتصرين ، ولا شك ان فرضية كون معبد آلالاخ البسيط هو معبد الربة ميترا (وهو اقدم المعروف) هي فرضية صحيحة تنسجم مع الشروط السياسية السائدة التي تجعلها مقبولة ، ويتضح من خلال ثورة آلالاخ ضد مصر انها كانت خاضعة للميتانيين جيرانهم الاقوياء .

هذا واما المكتشفات اللاحقة في آلالاخ فالقت ضوءا واسعا على الاتجاهات الدينية السائدة خلال هذه الفترة ، وعندما كنا نحاول الكشف عن البيوت الخاصة العائدة لسوية البناء الرابعة وقعنا على اطلال بناء صغير ، واعتقدنا لأول وهلة انه يعود الى سوية البناء المذكورة ، وفي نهاية الامر تحققت ان جزءا من هذا البناء الصغير قد جرى هدمه للافادة من المساحة التي ستتوفر لاضافتها الى بيت يعود الى عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ ، كذلك استطعت ان احدد بكل دقة تاريخ هذا البيت ، وانه يعود الى عصر النصف الثاني من سوية البناء الخامسة في آلالاخ مع الاقتراب من عصر سوية البناء الرابعة .

واما البناء الصغير هذا فكان يؤلف معبدا صغيرا بغرفة واحدة ، وقد قام على ارضية منخفضة مفروشة بالآجر ، واما جدران البناء فكانت عبارة عن جدران مائلة بانحدار ، ومطلية بتربة غضارية ، وفوق هذه الجدران قام حاجز من الآجر ، واما جدران المعبد فكانت سميكة بلغت /١٫٢٠/م ، وارضيته كانت من حجارة كلسية فرشت بالآجر ، وللمعبد باب واسع ذو قوائم ، وعتبة حجرية ، واما داخل المعبد فكان عرضه اقل من ثلاثة امتار / في حين بقي طوله مجهولا لاننا لم نستطع ان نكشف عن طرفه الجنوبي الغربي ، واما قلب المعبد فكانت ارضه مفروشة بالواح حجرية ، وجدرانه مطلية بطلاء جيد ومتقن ، وبالقرب من باب المعبد الداخلي وجدنا جوهرة صغيرة ذهبية على شكل صليب ، وبالقرب منها وجدنا نصبا للربة المعبودة ، وهو عبارة عن لوح حجري ثلاثي الشكل ليس

(١) وهذا مايفسر عمل الملك سليمان الذي اقام المعابد في القدس تكريما /للآلهة ـ عشتار ـ من اجل حليفه هيرام صاحب صور / وللآلهة معربة ـ للدلالة على استقلاله عن فرعون مصر .

على احد اطرافه صورة انسان عابس الوجه، منتصبا ولا مصقولا ، وقد ارتسمت على بعد مترين من هذا اللوح ، وفي الطرف الشمالي العربي من المعبد ، وجدنا قسما من ارضية مشابهة لارضية المعبد ، ولكن ليس فوق بناء ، ويبدو ان هناك معبدين متجاورين متقابلين خصصا لعبادة ربات توام .

بعد ان عرفنا ان سوية البناء الخامسة في آلالاخ تعود الى عصر حضاري متقدم ، فقد بدا مثيرا ان تظهر صورة ارباب هذا العصر بشكل خال من الدقة خلافا للتقدم المذكور ، ولكن الدمى الصغيرة الثلاثة المصنوعة من حجارة غير مصقولة التي تم العثور عليها في مواقع ابنية سوية البناء الخامسة المذكورة ، وكذلك الدمية الخاصة برجل وامراته ، فقد استطاعت جميعها ان تقدم لنا تفسيرا فيما يتعلق بصورة الارباب ، وفي موسم عام /١٩٣٩/ من التنقيب كشفنا عن باب مدينة آلالاخ العائد الى سوية البناء السابعة فيها ، واهم ما صادفنا في الداخل زوجين من الأعمدة ، ثم نظفنا المكان كاملا ، ثم / تابعنا / مسيرة الكسوة الخاصة بالواح الجدران التي تركنا فوقها ذاك البناء من الطين قائما سليما دون ان نمسه ، فبدت في اعلى البناء المذكور اكوام فضلات العصور السابقة ، وعندما جرى تسوية هذه الفضلات قدمت لنا تفسيرا عن الجدران المذكورة ، وإبّان الحرب العالمية الثانيةوسعت امطار الشتاء طبقة الأرض التي كنا ننقب فيها فانهار جزء كبير من الجدار الموهوم الذي تخيلناه ، وتم العثور في الطبقة الجديدة من الفضلات على تمثالين بازلتيين لرجل وامراة وجدا في غرفة تلامس باب مدينة آلالاخ من عصر سوية البناء الخامسة انظر الى اللوح / ١٠ . ب / ، ولا شك ان التمثالين يمثلان عملا فنيا ولكن من النوع المتواضع الذي لا يجذب ، ولكنه يبقى مفيدا من الناحية العلمية ، وعندما كنا نعمل معا ، لفت انتباهي زميلي السيد احمد / دونماس / الذي كان يساعد في التنقيب الى انه تم العثور في يوم من الايام في احد ابواب مدينة ديار بكر على زوجين من الدمى البازلتية يمثل احدهما امراة والثاني رجلا ، وقد ظهر شكل الرجل مطابقا لما هو مالوف في سورية الشمالية باستثناء اللحية ، في حين بدت صورة المراة انها توام لربة آلالاخ . ولما كانت مدينة ديار بكر واقعة في قلب البلاد الميتانية ، فان ارتباطها بغيرها من المدن المجاورة يصبح امرا بديهيا ، وعندما ربطت آلالاخ بالاتحاد الميتاني اعتنقت بشكل طبيعي ديانة قوم هم ادنى منها حضاريا واقوى منها سياسيا وعسكريا .

واما الحياة الاجتماعية في آلالاخ فقد اضطربت بسبب التبدلات السياسية الطارئة ، اذ بدا ومن خلال الاشياء التي وجدناها في بيوت وقبور هذا العصر ان تطورا طبيعيا قد اصاب حضارة عصر سوية البناء السادسة،إذ اصبحت الأواني الفخارية المسماة / الأواني القبرصية / اكثر تداولا ، واستمر الخزف الملون الفلسطيني الذي يميز الفترة الزمنية الاخيرة من العصر الماضي ، قيد الاستعمال ، واما الشيء الجديد الخاص بسوية البناء الخاصة بهذا العصر فكان نوعا من الاواني الفخارية الجذابة ، وهو عبارة عن اناء ذي لون اسود ، مصقول ومزين باشكال هندسية بيضاء تم تنفيذها بنقشها على الفخار الطري (بواسطة ادوات لها شكل المقص باطوال مختلفة وانابيب مصنوعة من القصب) ، والاشكال هذه مؤلفة من خيوط ودوائر وكان جوفها مطليا بعجينة بيضاء ، وهذه التقنية الجديدة في صناعة الاواني الفخارية تم اقتباسها من صانعي الاواني المعدنية ومصممي اشكالها (علما بأننا لم نعثر إلا على انائين) كان معدنهما متماثلا انظر الى اللوح / ٨ . ب / ، واما الأواني الفخارية المذكورة فلم تكن صناعة محلية بدلالة ان ليس لها في آلالاخ ما يماثلها فيما سبق من الزمن وانها اختفت من الاستعمال بعد أن ساد استعمالها بعض الوقت بين الناس في آلالاخ ، اننا نجهل مصدر هذه الأواني ، ولكن هناك نماذج منها (بأشكال مختلفة) تم العثور عليها في مدينة / تارس / Tarse /من جزيرة صقلية، كذلك تم العثور على اناء من الخزف مشابه وليس متماثلا مع الأواني المذكورة التي تم العثور عليها في بلاد مابين النهرين الشمالية من العصر المذكور ، هذا ولما كانت النماذج الممتازة ، من هذه الأواني الفخارية قد تم اكتشافها في حفر فضلات معبد سوية البناء الخامسة في آلالاخ ، كما وتم العثور على طاسة مصرية ، فان ذلك يساعدنا على القبول ان هذا النوع من الأواني الفخارية قد جرى استعمالها في زمن مبكر من عصر سوية البناء الخامسة في آلالاخ ، ولكن لم يتم العثور عليها أبدا في بيوت تاريخها اكثر حداثة ، ومن المرجح ان استيراد الأواني الفخارية السوداء المنقوشة يعني ان العلاقة وحسن التفاهم بين آلالاخ وحكومات سورية الشمالية كان أقوى مما عليه مع الحكومات الواقعة الى شرق آلالاخ ، وهذا ما يمكن المرء ان يلاحظه في عصر سوية البناء السادسة والذي استمر الى عصر سوية البناء الخامسة ، ولم تؤثر فيه سيطرة المصريين فترة من الزمن على مدينة آلالاخ . هذه السيطرة التي قضت على تحصينات المدينة (ان لم تكن هذه التحصينات قد تحطمت قبلا اثناء

الحصار) . ولكنها لم تؤثر على وجود السكان ، وعلى حركة التجارة القائمة التي يتولاها التجار .

واما مايتعلق بابنية المدينة فهناك بعض الغموض يجعل تمييز مايعود منها الى عصر سوية البناء الخامسة ، والسادسة من الأمور الصعبة ، واما عصر سوية البناء الرابعة الأثرية فيبدأ بتاريخ بناء القصر الملكي الذي هو البناء الهام في هذا العصر ، ويختلف هذا القصر عن غيره بوجهته المختلفة ، ويمكن ان نصفه انه يمثل بداية مرحلة جديدة ، ولكنه يشتمل على اقسام من بناء اقدم ، وهناك الى جانب القصر ابنية عامة جرى استعمالها عند قيامه ، ولكن بناءها كان اقدم منه ، اذ قامت في النصف الثاني من عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ ، والى جانب التداخل الواقع في ابنية هاتين السويتين فقد كان هناك ايضا بعض التبدلات في الحياة السياسية والاجتماعية في آلالاخ ، ذلك لان قيام قصر جديد معناه ظهور نظام حكم جديد يمكن أن نحدد تاريخه بعصر سوية البناء الرابعة ، في حين يعود تاريخ تأسيس هذا النظام الى عصر سوية البناء الخامسة ، والذي قام نتيجة حادث هام وقع في هذا العصر .

عمل فرعون مصر تحوتمس الثالث جاهدا في بداية حكمه على ان يثبت ويدعم سلطته امام دسائس اخته الملكة حتشبسوت التي عهدت اليه فعلا القيام باعمال صعبة التنفيذ جعلت قيام ثورة على الحكم المصري فيما بعد في سورية من الأمور الممكنة ، وعندما توفيت حتشبسوت بعد مضي عشرين عاما على حكمه معها أصبح يملك حرية العمل : فجهز حملة عسكرية احسن تجهيزها ، واحتل سورية الجنوبية ، وفي عام/١٤٨٨/ قبل الميلاد اجتاز نهر الفرات ، واحتل مملكة الميتانيين (هذا العدو المخيف) ، وفرض الضريبة على مملكة آلالاخ في عام ١٤٨٣ قبل الميلاد ، والتي استسلمت له بعد عام من فرض الجزية ، لقد كان من اهداف تحوتمس الثالث إنشاء امبراطورية ، وكانت سياسته ترمي الى التنظيم ،وليس الى التدمير ، وقد بدا ذلك واضحاً في مدينة آلالاخ التي احتلها سلماً بعد احتلاله لمدينة نينوى ، ولم نشاهد في آلالاخ اي أثر للتدمير أو التخريب ، وعلى العكس فانني اشك ان تكون ابنية النصف الثاني من هذا العصر العامة ، والتي بقيت قائمة الى العصر اللاحق كانت من اعمال النظام الجديد الذي قام في آلالاخ في عصر سوية البناء الرابعة ، او ان تحوتمس الثالث قد حماها ودعمها ،

وما استمرارية هذه الأبنية العامة الا دليل على توافقها مع الأحداث التاريخية التي نفهمها من الوثائق المكتوبة القائمة (١) . التي تؤكد ان تحوتمس الثالث نظم الاحوال في سورية الشمالية ، واقام فيها بعض الممالك الصغيرة اطلق عليها اسم / نحاسي Nouhassi / واطلق ايضا على اسم ملكها / تاكو / Takou وهو مؤسس السلالة التي تولت حكم آلالاخ خلال المئعام المقبلة ، ومن المرجح ان يكون / تاكو / هذا هو ملك آلالاخ ، التابع لمصر حيث اصبحت مملكته واسعة تمتد من الفرات الى البحر الأبيض المتوسط ، ومن الطرف الشمالي لسهل العمق نحو الجنوب عبر بلاد نحاسو وصولا الى جوار أفاميا ، ولم تكن هذه المملكة الواسعة إلا عبارة عن تجمع سكاني ضعيف لا يملك القدرة على ان يكون مستمرا مقيما ، وقد توقع تحوتمس الثالث المخاطر التي ستحيط بمملكة تاكو فاصدر قراره بتنصيب / تاكو / ملكا على عرش هذه المملكة التي بدت مصر حامية لها ، وان مليكها ذو مكانة مرموقة ، وان ازدياد سلطانه يكمن في تشييد الابنية العامة في عاصمة مملكته آلالاخ : التي درج فيها خلفاؤه من بعده على سلوك نهجه المذكور، ولا شك ان عصر تاكو ، وخلفائه ينحصر في عصر سوية البناء الخامسة ، وان عصر سوية البناء الرابعة يبدأ مع ظهور الملك /نيقميبا/ .

باستثناء ما يتعلق بالابنية المذكورة في آلالاخ ، فان تحديد تاريخ الطبقات الأثرية المتعاقبة الخاصة بسويتي البناء الخامسة والرابعة فيها ، كان تحديداً خاطئا في اغلب الاحيان ، لذلك فاننا لانستطيع والحال هذه تحديد تاريخ دقيق ما : هام الا في حدود تاريخ – سوية البناء الخامسة والرابعة وهذا الشيء هو عبارة عن منصب ثلاثي الأرجل /سيبة/ من البرونز ، ذو حلقة في الاعلى ، وتنتهي ارجله على شكل أرجل الحيوانات ، انظر الشكل رقم /١٤/، وليس فيه شيء هام باستثناء ما يمثله من علاقات وروابط تاريخية ، واما طراز المنصب المذكور فيجسد صناعة المعادن في منطقة كبيرة واقعة غرب بحيرة /وان/ ، وقد اشتهرت بمصنوعاتها المعدنية ، ولاشك ان العثور على هذا المنصب هو دليل على قيام علاقات تجارية قديمة بين آلالاخ وتلك المنطقة التي

(١) انني اقبل في هذا المجال براي – سيدني سميث – حول الرسالة رقم /٣١/ الخاصة بتل العمارنة التي كتبها – أداد – نيراري ، هذا الراي الذي يتفق مع ما كتبه – اداد – نيراي ابن ايدني – مي .

اطلق عليها فيما بعد اسم /اورارتو/ (Ourartou) . ومن المعروف قديما ان صناع المعادن في اليونان ، واخيرا في ايتروريا (L'Etruri) قد تاثروا بالفن الاناضولي الشرقي الخاص بهذه الصناعة ، وقد عثر فعلا بين الاواني البرونزية التي تم العثور عليها في اليونان وايطاليا على مستوردات اناضولية ، وفي هذه المناسبة يبدو من الصعب على المرء ان يدرك كيف استطاع اليونانيون ان يكونوا على صلة مع مركز صناعي هام بعيد عنهم واقع بالقرب من بحيرة /وان/، ولاشك ان العثور على المنصب المذكور الصغير في آلالاخ يقدم حلا منطقيا للموضوع هو ان آلالاخ كانت تستورد مثل هذه الاشياء من منطقة بحيرة /وان/ عن طريق المواصلات البرية ، وكانت تنقلها الى مرفاها / الميناء/ على ساحل البحر الابيض المتوسط ليتم تصديرها الى الاسواق الغربية في حوض البحر المذكور .

* * *

الفصل السابع

سلالة نيقميبا

سوية البناء الرابعة

يبدا تاريخ السوية الرابعة الاثرية في آلالاخ قبل عام ١٤٥٠ ق.م بقليل ، وينتهي حوالي /١٣٧٠/ قبل المسيح ، ونعلم عن هذه الفترة التاريخية من الزمن علما غزيرا لايعادله علمنا عن اي عصر آخر ، واما مايتعلق بالنصوص التاريخية فاننا نملك كمية وافرة من الرقم المكتوبة وجدناها في القصر الملكي الى جانب تمثال الملك /ايدري-مي/ Idri - Mi نقش عليه تاريخ حياته . واما المباني الاثرية التي كشفنا عنها فتضمنت القصر الملكي كاملا محفوظاً بشكل جيد ، وبقايا من المعبد ، ومساحة واسعة من وسط القلعة ، وباب مدينة آلالاخ ، والابنية المجاورة ، وعددا من البيوت الخاصة ، واكثر من اربعين قبراً(1) حوت على اوان فخارية واشياء اخرى ، وعلاوة على الرقم المذكور قدّم القصر كمية مدهشة من الاواني الخزفية ، واشياء عاجية ومعدنية .

هذا ولما كانت الرقم المذكورة التي عثرنا عليها تعود برمتها الى عصر الملك ـ نيقميبا ـ وليس بينها مايعود الى عصر اسبق ، فقد اضحى طبيعيا ان نعزو الى هذا الامير بناء القصر الملكي الذي وجدت فيه الرقم محفوظة ، واما موقع بناء القصر الجديد فتم اختيار نفس موقع القصر القديم له ، وانتهى على الارجح بناؤه في عصر سوية البناء الخامسة ، واستمر الملوك المتعاقبون من عائلة الملك

(1) ست عشرة آنية منها يمكن أن تؤرخ عن طريق جمعها مع البيوت ، وخمس وعشرون تم تاريخها استنادا الى شواهد داخلية تم العثور عليها تمثلت في انواع اخرى من الاواني الفخارية وجدت في القبور المذكورة .

الذين يدينون بعرشهم الى فرعون مصر تحوتمس الثالث على استعماله . وقد احتفظ ـ نيقميبا ـ بالقسم الاكبر من القصر لنفسه، واضاف اقساما جديدة للاقامة خصصت لاستعمالات العائلة المالكة ، ومن اجل تحقيق ذلك كان لابد من هدم بعض غرف القصر الملكي القديم ، والجهة الشرقية من (ساحة السلاح) الواقعة في قلب ساحة المدينة التي تواجه القلعة ، ولأسباب مجهولة جعل الملك (نيقميبا) اتجاه القصر الجديد الذي شيده مغايرا لاتجاه القصر القديم ، اذ اخترق من اجله ، جدران القصر القديمة في زاوية غير دقيقة ، واخترق ايضا ساحته الامامية المحاطة بالابنية من الجانبين ، والمحاطة من الجانب الثالث بالجدار الصدراني الخاص بباب الدخول الى القلعة المبنية في عصر سوية البناء الخامسة ، وهكذا قام القصر الجديد بشكل غير متناسق جعل واجهته المهيمنة تفقد كثيرا من فاعليتها ، وفي مرحلة لاحقة من الزمن ، وعلى الارجح في عهد الملك /ايليم ايليما ـ بن نيقميبا/ طرات زيادة ملموسة على مساحة القصر الجديد بلغت الضعف ، اذ اضيفت اليه خارج جداره الشمالي مجموعة من الغرف ، واضيف قسم هام يقع في مواجهة الجدار الشرقي خصص للسكن ، ومن اجل تحقيق ذلك جرى هدم جميع ما بقي من قصر عصر سوية البناء الخامسة ، ولم يترك منه سوى الجناح القديم الخاص بالمطبخ الذي يقابل ساحة القصر ، والقسم الشرقي منه الذي خصص للسكن المذكور وذلك بعد ان تم تعديله بشكل ينسجم مع قصر الملك ـ نيقميبا ـ ، ومن دراسة طابع القصر الجديد يمكن القول ان الملك ـ ايليم ـ ايليما ـ قد اتم عمل ابيه فاضاف الى غرف السكن في القصر جناحا (رسميا) خصص لمعالجة الامور العامة ، ويوضح مخطط الصورة رقم /١٥/ انظر كيف كان القصر الملكي في عصر الملك /ايليم ـ ايليما/ اي كيف كان شكله النهائي . واما غرف القصر القريبة العهد من عصر الملك ـ نيقميبا ـ فقد اشير اليها بالحرفين/ D , C / الفرنسيين الى جانب الرقم المخصص لكل واحدة ، واما ما عثرنا عليه تحت ساحة القصر من عهد / ل ايليم ـ ايليما / ـ رقم (21) فكان اقساما من جدار ذي تربة اسمنتية خاصة بالقصر الاصلي الذي يعود الى عصر سوية البناء الخامسة . الذي بقي الملك نيقميبا يستعمله ، ولكن جميع ماعثرنا عليه كان مفتتا لايمكن حصره ، ويتضح من مخطط بناء قصر ـ نيقميبا ـ ان هذا القصر قام بعد تعديل كبير تم ادخاله على بيت ثري من عصر هذا الملك ، وفي الاساس كان البيت المذكور مؤلفا من مجموعة من الغرف مرتبطة تحيط بساحته الرئيسية (4) ، واما الجناح الخاص بالملك/ايليم ـ ايليما/ فقد جعل منه/ صالات استقبال/ مشابهة لتلك الصالات

ومكاتب الموظفين التي رايناها في قصر ياريم ليم ، واما صالات الاستقبال هذه فكانت في قلب البناء واما الساحة التي تؤمن النور الى هذه الصالات فكانت واقعة في احد اطراف القصر .

وعندما يدخل المرء الى ساحة القصر السماوية عن طريق الباب الرئيسي القائم في جدار القصر الغربي يشاهد امامه وبانحراف قليل ابنية القصر الباقية من عصر سوية البناء الخامسة في آلالاخ ، واما طابع هذه الابنية فابرزته محتويات غرفها ، فقد حوت اكبر هذه الغرف انظر الارقام /C1, C5, D1/ من الشكل رقم /١٥/ على مواقد للطبخ وافران ومناصب توضع فوقها القدور وتوقد تحتها النار ، ومنَّان ، واجران حجرية ، وكل ما يساعد على اعمال الطهي واعداد الطعام ، في حين بدت على ارض الغرف هذه القدور التي تتحمل الحرارة منتشرة ، واما الغرف الصغيرة فتضمنت اباريق للاستعمال المنزلي ظهرت محفوظة على شكل مجموعات ، وفي غرفة صغيرة على هيئة الخزانة رقم (C6) انظر الى الصورة رقم ١٥ ، وجدنا جرة كبيرة للمؤونة مدفونة في قلب الأرض ، واما الدرج القائم (في الغرفة رقم 4) من الصورة رقم /١٥/ فدل على وجود طابق علوي ذي غرف متعددة يظن انها خصصت لمبيت العاملين في مطبخ القصر ، واما سائر الاطعمة التي تحضر في هذا الجناح من القصر اي في المطبخ ، وتنقل الى قلب القصر فكانت تمر عبر طريق /ممر/ مفروش ببلاطات فخارية امتد على طول جدار ساحة القصر انطلاقا من المطبخ وصولا الى مدخل القصر ، وقد طلي الطريق المذكور بمادة تمنع الانزلاق من الوحل الذي يتراكم عادة في شتاء سورية الشمالية ، وعلاوة على الطريق /الممر/ المذكور ، قام طريق آخر مشابه اضيق ومبلط يبدأ من باب صغير في الزاوية الشمالية الغربية من ساحة القصر وصولا الى مدخله ، والباب الصغير هذا ينفتح على فتحات باب القلعة الكبير ، وهو مخصص لعبور الجنود المسؤولين عن حراسة القصر .

هذا واما مدخل القصر فكان يؤلف عنصرا معماريا متميزا ، (اللوح٨ب) ، وبين دعامتين حملتا شرفة على الأرجح قام درج ذو سطح مؤلف من ثلاث درجات بازلتية تدعمه مصاطب كسيت رؤوسها المسطحة ببلاطات بازلتية مصقولة غرزت في مؤونة اسمنتية ، وفي أعلى الدرج المذكور ، وعلى سوية راس المصاطب قامت عتبة كلسية لباب بلغ عرضه ثمانية امتار ، واما فتحته الكلسيه فانقسمت بواسطة عمودين من الخشب تألفت اساساتهما من فقرات اعمدة بازلتية مصقولة ، واما قوائم هذا الباب ، وجدران الغرفة التي ينفتح عليها ، فكانت

مغطاة ببلاطات بازلتية بلغ ارتفاعها مترا واحدا،وهي قائمة على قاعدة من الحجارة الكلسية ، ومحجوبة بكسوة ناعمة من الاسمنت شبه الابيض ، وفوق الاقسام الحجرية كانت الجدران مبنية من مواد نصفها خشبي ، واما الاساليب المعمارية المتبعة في البناء في آلالاخ فكانت تلك الاصول التقليدية المعروفة فيها ، كذلك فان تفصيلات مخطط البناء فيها فكانت تذكر بمخطط بناء قصر / يلريم ريم / الذي يرقى عهده الى ثلاثة قرون اسبق ، واما العمارة السائدة في آلالاخ فكانت عمارة وطنية متطورة كما هو الحال في البلاد الآسيوية ، وعندما وجدنا ما يماثل هذه العمارة ، في بلاد اخرى تاكد ان هذه البلاد هي التي نقلت العمارة المذكورة من آلالاخ الى البلاد الآسيوية ، وليس العكس ، والأمثلة على ذلك قائمة وكثيرة اذ عندما كشفنا في عام ١٩٣٧ ، عن قسم من القصر الملكي في آلالاخ اي عن / الدرج المذكور والمصاطب الداعمة ، وعن غرفة الدخول / وجدنا هناك كتلة سميكة من الآجر تمتد من دعامة الباب الى الدعامة الاخرى ، ولم يكن من السهل ازالة وجوه الجدران ، ولما كان الآجر المستعمل في البناء غير حرّ ، ولكنه مغروس بقوة في مؤونته الفضارية ، فقد دفع بنا ذلك الى الاستنتاج أن هذا الآجر يؤلف جدارا اصليا بدا سطحه انه عانى كثيرا ، وبدا غير طبيعي ثم اغلق مدخل الدرج المذكور ، وفجاة شد انتباهي ان هذا القسم من القصر الذي كشفنا عنه كان طابعه بارزا يمثل طابع بناء كريتي ، ولكن في جزيرة كريت يكون في قمة مثل الدرج المذكور عمودان ينفتح بينهما باب . ثم رسمت حيث انقب في القصر دائرتين ، وقلت للعمال الذين يعملون معي ان يزيلوا العمارة الطبيعية الموجودة تحت الدائرتين المذكورتين ، وعندما ابدوا استغرابهم ، بهدم جدار قائم ، افهمتهم انهم سيجدون في الامكنة التي اشرت اليهم بها اساسا او قاعدة لعمود ، فاخذوا في الحفر ، واخذت قواعد الاعمدة في الظهور ، وهي قائمة على عتبة كلسية مازالت مختفية عن الانظار ، واما الجدار الذي كشفنا عنه فكان جدار طابق علوي من القصر ، وعندما احترق هذا الجدار احرق معه رباط الاعمدة الخشبي القائم فوق الاعمدة ، وسقط الجدار كتلة واحدة على العتبة . واعتقد ان هذا الحادث يصور بشكل دقيق الشبه القريب القائم بين آلالاخ ومدينة كنوسوس Cnossos في جزيرة كريت .

هذا ولايمكن للمرء ان يصل الى قلب القصر إلا بعد أن يصعد درجا يبدا من ساحة القصر ، ثم يدخل ايوان القصر المعد لحراسه ، ويصادف على اليمين بابا يقود الى دهليز /مدخل/ يقود الى الجناح الرسمي في القصر ، وباباً آخر واقعاً على الشمال يؤدي الى مدخل آخر رقم /3/ انظر الى الصورة رقم /١٥/

حيث يبدا دوج القصر / 20 - 19 / في حين يظهر هناك باب ثان يؤدي الى ساحة القصر الرئيسية ، واما ساحة القصر المفروشة بالاسمنت ، فقد قام فيها موقد مرتفع يساعد على اشتعال النار في الهواء الطلق (وهذا ما كان سائدا) ، وكانت الساحة مجهزة بشكل منهجي بابواب اربعة تقود الى مختلف غرف الطابق الارضي البالغة ثلاث عشرة غرفة ، واما في قصر / ياريم – ليم / فكانت افضل الغرف ، وغرف سكن الملك قائمة في الطابق العلوي ، واما جناح وسطح المطابخ في القصر فتضمن كثيرا من الغرف السكنية ، ولكننا لم نستطع ان نجزم ان جميع هذه الغرف الواقعة في الطابق الارضي قد تركت لخدام القصر اذ على العكس من ذلك فقد اتضح ان اربع غرف فقط منها ذات الارقام /7, 8, 11, 12/ انظر الشكل رقم /١٥/ من اصل الغرف الكثيرة : هي التي خصصت لتكون سكنا للخدم ، وأما باقي الغرف فقد جمعت في مسكنين مستقلين مساحتهما مختلفة ، وهذا التدبير يوحي ان في هذين المسكنين كان يقيم كل من كتاب موظفي القصر ، وافراد العائلة المالكة اليافعين . واما مجموعة الغرف الاخرى ذات الارقام /5, 9, 10/ انظر الشكل رقم /١٥/ فقد جعلت الغرفة رقم /5/ لتكون دورة مياه طبقا لما هو قائم حتى الآن في منطقة الشرق الاوسط ، واما تصريف المياه المالحة في القصر فكان يتم ضمن انابيب من الآجر ممتدة تحت الجدار حتى تصل حتما الى سور المدينة (وهذا الأمر لم نستطع متابعته) فتفرغ حمولتها في المنحدر المخصص لذلك ، واما الغرفة رقم /9/ التي كانت مفروشة بالاسمنت ، فكانت حماما اقيم في زاوية منه مغطس ماء مغروس في الارض ومصنوع من الآجر ، واما الغرفة رقم /10/ التي لم تكن لها اية مزايا خاصة ، فقد جعل منها غرفة نوم ، ولكنها حوت بعض اعداد من الرقم ، وفي مجموعة الغرف الاخرى الاكبر كانت الغرفة الصغيرة رقم /14/ تملك حجرة لدورة مياه ، ولما كانت جدران الغرفة رقم /15/ اسمنتية فقد اتخذت كصالة حمام ، ولكننا لم نعثر فيها على مغطس الماء المغروز في قلب الارض ، واما الغرفة رقم /18/ فلم نجد فيها شيئا يسترعي لانتباه في حين كانت الغرف ذات الارقام /17 ,16 ,6/ ، ملآى بالأواني الفخارية المبعثرة ، وكانت هناك ايضا مئات من الصحون الكبيرة نضدت فوق بعضها على شكل اكمات بلغت عشر ، او اثنتي عشرة اكمة /كومة/ ، واما هذه الاكمات فمالت بثقلها على الرفوف الخشبية القائمة على طول الجدران فانزلقت وعليها كميات كثيرة من الاباريق المصنوعة من الصلصال الجيد ،

المحمر الذي يطلق عليه في جزيرة قبرص اسم (الخزف ذو القاعدة الحلقية)وعلى الرفوف ايضا كثير من الطاسات المخصصة لشرب الحليب بيضاء ذات زخرفة سوداء وحمراء على شكل سلم ، وهناك اباريق للزينة اتخذت شكل بقرة ، وصنعت من طينة رمادية وابرز اللون الابيض زخرفتها ، واباريق اخرى من الفخار المحلي صقل بعضها كما صقلت الصحون ، او زينت بدوائر متداخلة من الصباغ الاحمر ، لقد وجدنا امامنا جميع الاواني المطبخية الخاصة بالقصر ووجدنا ايضا اشياء من نوع آخر كانت مخلوطة مع الاواني الفخارية ، ويبدو ان اشياء كثيرة مختلفة قد سقطت من الغرف العلوية في القصر عندما انهارت جدرانه إبان تدميره ، ومن بين هذه الاشياء التي سقطت علب عاجية لحفظ ادوات الزينة النسائية ، وكانت العلب مصنوعة على الطريقة المصرية ، ولكنها صناعة محلية ، وثلاث من هذه العلب العاجية كانت على شكل بطة ، وواحدة كانت عبارة عن راس امراة يحمل زينة مصرية انظر الى اللوح ١٢ / ٢ ب . جـ / ولؤلؤة كبيرة ذهبية دائرية الشكل تمت صياغتها على شكل حزوز رصعب باللازورد ، وبقشرة بيضاء على الطريقة السومرية القديمة . وقد عثرنا في ساحة القصر على وصلتين تصلحان لوصل اجزاء العصا الواحدة مزينتين باشكال مثلثية ، وقد بدت عملية التشبيك فيهما شبيهة بالتقنية المصرية انظر الى اللوح / ١٤ جـ / ، واما الطابع العالمي الذي اتسمت به الاشياء الكمالية التي ضمها القصر فبدا بارزا الى ابعد الحدود .

واما في الغرفة رقم /18/ فوجدنا فوق رماد جسور السقوف الخشبية وغرفة عليا فوقها مئات من قطع الاوشحة الملساء الذهبية والعاجية ذات اشكال مختلفة (مربعة ، دائرة معينية ، مثلثية) ، وهذه القطع من الاوشحة تنزل في اثاث البيوت باتباع تقنية ما زالت قائمة حتى الان في مدينة دمشق حيث يجد المرء في اسواقها مقاعد ، ودفوفاً (صفائح) منزلة بالصدف او النحاس مع رسومات متشابهة ، وفي احد البيوت الخاصة من عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ وجدنا قطعة وشاح من العاج نصف دائرية الشكل ومقسمة بشكل متقابل في كل طرف من اطرافها ، وكانت هذه القطعة الموشاة تؤلف قطعة من اثاث بيت ، او هي قطعة زينة بارزة مؤلفة من صفوف العاج والخشب الاسود المتناوبين ، وقد صقلت الصفوف لتبرز شكل جديلة ، وهذا النوع من الزينة قد تم تنفيذه على طريقة التقنية التي ذكرناها ، وهذه الزينة

ظهرت على خزانة ذات ادراج املكها انا تم صنعها في تركيا في اواخر القرن الثامن عشر الميلاد ومن المسلم به ـ ان المرء لا يتوقع ان تستمر المصنوعات الخشبية طويلا في ارض سورية الشمالية ، ولكن من السعادة ان هذه الاجزاء العاجية التي ليس لها قيمة في ذاتها تسمح لنا ، وبفضل العقلية المحافظة السائدة في بلاد الشرق الاوسط ان نتخيل صورة لاثاث قصر ملكي يعود الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد . ومن خلال قاعدتين صغيرتين لعمودين بازلتيين سقطتا من غرف القصر العليا ، استطعنا ان نتاكد ان غرفة على الاقل من الغرف الملكية كانت بمثابة صالة كبيرة هي / صالة الاستقبال ، ومثل هذه الصالة تم العثور عليها في قصر / ياريم ليم / . وظهرت واضحة في مخطط البناء الذي رسمه السيد ليفر (Laver) كما بدا ذلك واضحا في الصورة رقم /١٦ / .

هنا وفي الجناح الجديد الذي نعتقد ان الملك / ايليم ـ ايليما / قد اضافه الى القصر الملكي ، فان جميع اساليب البناء التي استعملت / اتبعت / في بناء القصر القديم ، قد اعيد استعمالها من جديد ، وتتالف من تلبيس البلاط البازلتي المصقول ، وان تكون الجدران نصف موادها خشبية ، وان تفرش الارض بالاسمنت الابيض ، ومن خلال السماكة غير الطبيعية في بعض جدران القصر يدرك المرء ان ارتفاع بناء القصر بلغ ارتفاع ثلاثة طوابق . واما الاقسام الرئيسية فتالفت من قسمين متماثلين تقريبا ، وفي نهاية الطرف الشمالي من القصر قامت الغرفة /24/ وهي صالة استقبال قسمتها الدعامات العادية ذات العمود الواحد . وتحتوي هذه الصالة على حجرة مخصصة للزينة ، واخرى رقم /26/ خصصت لتكون دورة مياه ، وغرفتين اخريين جعلتا لعمل السكرتارية ، واما الغرفة رقم /28/ من اقسام القصر الرئيسية الجنوبية انظر الى اللوح ١١ فقد حوت على صالة استقبال ، وحوت من جهة اخرى وفيما بعد من مكان الدرج على غرفتين صغيرتين ، وعلى حجرات رقم /31/ خصصت لتكون دورات مياه ، والى الخلف من الغرفة رقم /28/ التي قامت في طرفها الاخر ساحة القصر السماوية رقم /21/ قام ديوان السكرتارية الذي ينفتح على غرفة المحفوظات ذات الرقم /33/ ، وهي عبارة عن غرفة صغيرة لها مصطبة منخفضة من اللبن ، ومنذ ان راينا هذه المصطبة ادركنا ماهو العمل المخصص لهذه الغرفة الصغيرة ، وذلك لاننا عثرنا في مدينة / اور / ببلاد ما بين النهرين على غرفة صغيرة مماثلة لها ، وعثرنا فيها على رقم كثيرة ملقاة

فوق المصطبة ، واما هنا في آلالاخ فقد اصبنا بخيبة امل اذ كانت الرقم في الغرفة الصغيرة مفقودة ، ولكن عندما بدأنا التنقيب فيها بدت الرقم التي كنا نفتش عنها مبعثرة على الارض .

واما السلم الخاص بالغرفة رقم /27/ فكان من الطراز / النوع / التقليدي له نواة مركزية نصفها من الخشب ، واما دورتا السلم السفليتين فكانتا مجهزتين بدرجات خشبية على قاعدة كثيفة ، واما دورة السلم الثالثة فكانت محمولة على خشبات بدت تحتها خزانة .

وبالمناسبة لا بد من الاشارة الى أن جميع ما اضافه الملك – ايليم ايليما – من بناء على الجهة الشمالية من القصر كان مخصصا بكاملة للاغراض والحاجات المنزلية ، واما الغرفة الصغيرة الرئيسية ذلك الرقم /35/ فجعلت سقيفة وكانت ملآى بالجرار الحجرية الكبيرة طمر جزء من كل جرة في قلب الارض ، ووجد قسم من هذه الجرار سليماً ، واما الغرفة رقم /34/ وهي الغرفة المجاورة فكانت لها ارضية اسمنتية تنحدر نحو انبوب التصريف المركزي ، وهذا الترتيب ، وتنظيم بناء هذه الغرفة على هذا النحو يوحي بان الغرفة المذكورة رتبت لاستخدامها في اغراض ربما تتعلق بعملية فرز الزيت او الخمر اللذين حوت عليهما الجرار ، واما البهو الطويل في القصر فكان يقود الى غرفة متواضعة رقم /36/ (عثرنا فيهاعلى بعض الرقم) لم يبق منها الا اطلال لم نستطع من خلالها ان نصل الى شيء سوى مخطط هذه الغرفة التي من المحتمل انها تؤدي الى سلم واقع في قلب برج قائم قوي يشكل زاوية من بناء القصر ، واما الطابع الرسمي الخاص باقسام القصر الهامة فكانت خلوه من اية مادة يمكن العثور عليها ، وجل ما وجدنا هو ابريق من الفخار لا يتناسب وجوده والشروط الخاصة بالاقسام السكنية الهامة من القصر ، والى جانب الرقم العديد التي كشفنا عنها ، فقد كشفنا في القصر عن راس كبش وحيد مصنوع من الجير الابيض وجدناه في الغرفة رقم /29/ التي سقط اليها ؛ انظر الى اللوح /١٢–آ/ . واما ارتفاع الراس المذكور فبلغ اكثر من ثلاثين سنتمترا، وقد ثقب بشكل شاقولي باداة تشبه عنق الزجاجة ، واما الغاية من ذاك الثقب فتبقى مجهولة ، واما قمة راسه فكانت نتوءاً مصقولا ، وهذا ما يوحي بان الراس قد احكم تثبيته في شيء آخر من مادة مختلفة ، او غطي بها . وفي جميع

الاحوال ، يبقى الراس المذكور من اعمال الفن التطبيقي ، وطالما هو كذلك ، فهو جذاب ، واما وجه الراس هذا فتالف من قسمين مسطحين التقيا في زاوية ضعيفة ، واما عيناه فبرزتا ، واما اذناه فظهرتا صغيرتين غير طبيعيتين ، واما قرناه الكبيران المحيطان بالوجه ، وحلقتا القرنين : فبرزت تماما ، واما شكل الراس فيوحي انه بسيط الى ابعد الحدود ، واما تناسق الراس فبدت زينته منسجمة مع الواقع ، وهذا دليل على ان العمل الفني الخاص بالراس كان من عمل فنان حاذق لا يتوقع المرء ان يجد مثله في سورية الشمالية في العصر المذكور، واما جناح مطبخ القصر وبالدقة تحت ارض الغرفة رقم /C.3/ فوقعنا على شيء صغير الحجم ، ولكنه كبير الاهمية ، ويرقى بتاريخه الى ما قبل عهد الملك / نيقميبا / ، وكان قد تم دفنه تحت جزء من بناء من الآجر بناه الملك المذكور لربط قصره الجديد بالقصر القديم ، واما الشيء الذي وقعنا عليه فكان خاتما دائريا من حجر اللازورد ، ونقشت على وجهيه احرف مثيرة يخال المرء انها صورة طبق الاصل عن الاحرف الهيروغليفية الحثية انظر الى اللوح / ١٤ ب / ويعود تاريخ الخاتم الى ما قبل عام /١٤٥٠/ قبل الميلاد ، واما الكتابة المنقوشة على الخاتم فهي اسبق من اي كتابة حثية هيروغليفية نعرفها ، ومن المرجع ان هذا الخاتم وما حواه يصور مرحلة تكوين الكتابة المذكورة ، وهذه الحالة هي بمثابة ، دعامة للراي القائل ان الكتابة الحثية لم تنشأ في بلاد الاناضول ، وانما نشأت في سورية الشمالية . في حين كانت جميع الرقم التي تم العثور عليها في قرية العطشانة / آلالاخ / من كتابة مسمارية ، ولكن عثر في كسرة من هذه الرقم على نموذج من الكتابة الحثية الهيروغليفية المذكورة ، واما الكسرة هذه فتم العثور عليها في قصر الملك / نيقميبا / ، ولم يكن الابريق الفخاري الذي عثرنا عليه في القصر المذكور سوى مصفاة عادية من ادوات المطبخ . ومن ذلك نقول انه إبان تحطيم القصر الملكي فان الكتابة الحثية كانت شبه مفهومة ، ومعروفة عند الافراد العاديين في آلالاخ .

ومن خلال البيوت الخاصة التي كشفنا عنها بدا ان معظمها ابنية كبيرة تعود لافراد أغنياء ، وهذا امر طبيعي لان هذه الابنية شغلت اجمل حي سكني في المدينة واقع على امتداد سور المدينة الشمالي الشرقي ، ويتمتع بمنظر سهل العمق الفسيح الجميل ، وقام بين هذه الابنية شارع صغير متعرج فصلها عن سور المدينة ، وعلى امتدادات متفاوتة قامت بين البيوت ازقة زاويتها قائمة ،

وقادت الى قلب المدينة ، وجميع البيوت هذه كانت مؤلفة من طابقين ، وتنفتح غرفها على الجهات الثلاث ان لم يكن على الجهات الاربعة . ولكل بيت باحة رئيسية او صغيرة ، ينفتح عليها مباشرة او بواسطة غرفه المجاورة ، وبصورة عامة فان جدران الابنية المذكورة كانت سميكة ، ومبنية من الآجر ، لقد عرفنا ذلك جيدا ، وعرفنا ايضا ان البناء خلا من اي مواد خشبية ، ولما كانت اساسات البناء تتالف عادة من بقايا الآجر او الحجارة . فان الحجارة لم تستعمل ابدا فوق السوية الارضية ، وفي احد هذه البيوت كان هناك باب عريض استثناءً مجهز على الارجح بعمود قائم في وسطه ، وله جوانب بازلتية مصقولة ، ولكننا لم نجد في البيت المذكور اي قطعة من الحشوات / الكسوات / الحجرية التي يصادفها المرء عادة في ابنية المعابد والقصور الملكية ، وللتعويض عن ذلك ابرز الدهان ما تضمنته الغرفة الوحيدة في هذا البيت من زخارف جدارية ذات عناصر معمارية مماثلة لما يراه المرء في الابنية المذكورة ؛ وتتالف هذه العناصر من حشوة من الحجر البازلتي فوقها عناصر نصفها من الخشب . واما الجسور فدهنت باللون الاحمر ، وعرّقت باللون الازرق الاسود ، واما وجه الآجر فكان ابيض موحدا . ويبدو ان قليلا من غرف الطابق الارضي من هذا البيت او القصر جرت العناية بها على النحو المتقدم ، اذ ظهر ان معظم هذه الغرف اعدت للاستعمالات البسيطة . وكان في كل بيت من البيوت المذكورة حجرتان لدورة المياه ، وكل هذه الحجرات كانت مبنية في مواجهة سور المدينة الامر الذي يسهل عملية انشاء التمديدات الصحية ، ويجعل اقنية تصريف المياه المالحة تمر تحت شارع صغير عبر اساسات الاسوار ، وتقوم في البيوت كلها غرفة تحتوي على فرن وموقد نار يؤلفان المطبخ في حين كانت هناك ارض اسمنتية قوية تدل على وجود صالة حمام على الارجح ، ولكن في حالات كثيرة لا يكون الفرض من استعمال الغرفة محددا لذلك كان يكتفى في مثل هذه الغرف بطبقة رقيقة من سائل الكلس ترش على ملاط جدارها ، ولا تكلف كثيرا من النفقة ، ومن المرجح في البيوت الخاصة كما هي الحال في القصر الملكي ، ان تكون الغرف الممتازة قائمة عادة في الطابق الاول من البناء ، وان غرف الطابق الارضي في معظمها تكون مخصصة لخدمات القصر .

هذا وفي احد هذه البيوت عثرنا على قاعدة عمود حجري سقطت في الطابق الاول فيه وفيها من الخواص المعمارية ما يدل على انها تعود الى صالة

الاستقبال . وفي المناسبة لا يستطيع المرء الا ان يردد القول ان الاقسام الرئيسية في قصر نيقميبا التي خصصت للسكن لم تكن في الحقيقة الا تحويلة بيت وسعت من بيت خاص من الطبقة الفنية في هذا العصر . واما ما يتعلق بالبيوت الاصغر فان ما بقي منها كان متهدما محطما لا يساعد على تصور مخطط لها . ولكن من خلال بقايا غرفها الصغيرة الشبيهة بالعلب ، وجدرانها الرقيقة ظهرت انها ابنية ذات طابق واحد لها سقف مسطح يساعد على السكن ، والنوم واما اهمية هذه البيوت الصغيرة فهي احتواؤها على قبور كثيرة وجدت تحت ارضيتها ، في حين خلت البيوت الكبيرة من مثل هذه القبور ، اذ كان الاغنياء في مدينة آلالاخ يدفنون موتاهم خارج المدينة في مدافن نظامية ، في حين كان الفقراء فيها ممن لا يستطيع تحمل نفقات الدفن يدفن موتاه في ارض بيته ، او في ساحته الصغيرة ، وكانت مثل هذه القبور متواضعة جدا ليس فيها تابوت يحوي (١) جثة الميت بلباسه العادي ، وكانت الجثة المذكورة تمدد على جانبها في جوف الارض واليدان امام الوجه والركبتان مثنيتان الى الوراء كانهما لرجل نائم ، وبالقرب من كتف الجثة وجدنا دبوسين من اجل اغلاق مئزر الميت ، ووجدنا محابس ، وخاتما اسطوانيا ، واما في جثث النساء فوجدنا في اعناقها اللآلىء والتمائم ، وبالقرب من جثث الاطفال وجدنا عظيمات صغيرة ، ونادرا ما وجدنا لعبا للاطفال . تلك الاشياء كانت اشياء تخص الاموات ، والى جانبها كانت القرابين التي تقدم لهم ، وتتالف من آنية فخارية تحتوي على الطعام والشراب اللذين يحتاج اليهما الميت بصورة عامة ، وبالمناسبة لابد من الاشارة الى ان القبور المذكورة خلت من قطع السلاح ، إما لان الجنود الموتى دفنوا في مناطق غير مناطقهم ، او ان السلاح في العالم الثاني المثالي لا يحتاجه احد ، . واما ما يتعلق بقواعد الدفن والى اي جهة من الجهات الاربعة يجب توجيه وجه الميت فلم تكن ثمة قاعدة ، وهذا يؤكد ان هناك اضطرابا في معتقدات الناس ، واما عادة تكفين الموتى قبل دفنهم في باطن الارض فلم يكن لها في آلالاخ ذاك التعبير الديني الذي كان سائدا في بلاد ما بين النهرين بعد عصر السلالة الثالثة لـ /اور ـ Our / ، هذا التعبير المتمثل في وجوب الحفاظ على وحدة موتى العائلة الواحدة في مدافنهم ، واما سبب الخروج في آلالاخ عن قواعد الدفن المعرفة في بلاد

(١) واما التابوت الخشبي الذي يعود الى سوية البناء الخامسة فهو الوحيد الذي تمّ العثور عليه في السوية المذكورة .

مابين النهرين فكان سببه اقتصاديا ، اذ كان الاطفال الصغار الموتى يوضعون في جرار تغرز في جوف الارض كما هي العادة ، وهذا النوع من الدفن كان لا يتطلب شيئا من الطقوس الدينية ، واما هياكل هؤلاء الاطفال فكانت تبقى في جرارها ولا تحرق ، لان عادة حرق الموتى كانت في آلالاخ غير معروفة .

هذا وفي ظل سلالة الملك نيقميبا كان من الامور شبه المسلم بها ان يجدد بناء معبد المدينة دائما ، ولكننا وجدناه في حالة من الخراب الكثير جعلت الحديث عنه حديثا مقتضبا ، وقد تكوّن المعبد من مدخل واسع وعميق قليلا يتقدمه ما يشبه الرواق السماوي ، واما بابه غير الطبيعي العريض الواقع في وسط مقدمة المعبد ، فكان يقابل باب المعبد الداخلي القائم في الجدار الصدراني الذي حوى مشكاة / فجوة / لوضع تمثال عليها ، واما رقة جدران المعبد فدلت على انه مؤلف من طابق واحد كان على الارجح اعلى من الدهليز ، وفي احد اطراف المعبد قام درج يقودالى سقف سطح خاص بغرفة وغرفةاخرى. وفي مثل هذه الحال كان المعبد يشبه في قسم منه معبدا تم العثور عليه في مدينة بيسان من فلسطين ، ولكن ذلك لا يقدم برهانا قويا يساعد على توحيد نموذج العبادة هنا في فلسطين مع نموذج العبادة الذي اعتنقته سلالة نيقميبا في آلالاخ . وجل ما نستطيع التاكيد عليه هو ان عبادة / ميسرا Mithra / التي فكرنا بانها مميزة في العصر السابق وجدناها في عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ متروكة مهملة لاسباب كثيرة ، ومن المرجح ان هذه العبادة التي تتصف بالميتانية ، وتعتنقها السلالة الملكية في آلالاخ التي تدين بعرشها لفرعون مصر ، فان هذه العبادة كانت تسالم فرعون المذكور ، ويقف اصحابها الى جواره في الملمات ، ومن خلال اطلال المعبد المذكور الكثيرة الهزيلة فاننا نستطيع القول ان اساسات هذا المعبد ترقى بتاريخها الى بدايات عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ ، ولم يطرا على بنائه اي تعديل خلال هذه الفترة ، اذ بقي ثابتا حتى جاء بناؤو عصر سوية البناء الثالثة فهدموا جدرانه واستخدموا حجارتها في اساسات مشروعاتهم الجديدة .

لقد امتدت في غرب القصر الملكي ساحة واسعة معقدة بالابنية وحوت على باب المدينة الشمالي الشرقي ، وعلى الحصن او القلعة ، وجميع هذه الابنية كانت اقدم من القصر الذي خلق باتجاهه المحيّر الاضطراب في مخطط الطرف

الشرقي من باب القصر ، وقد ورث الملك / نيقميبا / عن اسلافه جميع هذه الاشياء وحافظ عليها ، وبعد وفاته وخاصة في عصر سوية البناء الرابعة وقعت تبدلات هامة في قلب القلعة ، وسأتحدث عنها فيما بعد .

واما باب المدينة فقام بناؤه على اسس جديدة في الدفاعات العسكرية تختلف عما كانت عليه إبان سوية البناء السابعة ، اذ قام فيه برج صغير لم تتجاوز ابعاده في جميع الاتجاهات سبعة امتار ، ولم يبرز خارج جدار المدينة الكبير اكثر من متر واحد ، وتم ثقبه بفتحة واسعة بلغت المترين اغلقها باب واحد لم يكن قائما بين الاعمدة ، وانما قام مباشرة امام الجدران الجانبية ، وفي داخل هذا البرج مباشرة كان هناك ممشى للدخول ينعطف بزاوية قائمة مرتين ثم يستمر على امتداد بلغ خمسة عشر مترا بين ابنية الطابق الواحد لينتهي عند / ساحة السلاح / الواقعة امام القلعة ، واما البرج الكبير ذو الابواب الثلاثة من عهد الملك / ياريم – ليم / فلم يقو على صد الاعداء من الدخول اليه ، وقد يكون السبب في ذلك ضعف مخطط بنائه الذي اشرنا اليه ، واما بناؤو سوية البناء الخامسة فقد تبنوا في هذا المكان من البرج الكبير ، وفي باب المدينة الجنوبي الغربي اسلوبا جديدا في الدفاع بحيث جعلوا الرجال المدافعين يعتمدون على نوع من البناء فيه مواد جديدة اكثر من الآجر والخشب ، واذا تمكن المهاجمون من اختراق البرج كالزوبعة فانهم سيجدون امامهم الجدار العاري الذي يوقف هجومهم ، وسيحد المنعطف المضاعف ايضا من حركتهم ويحصرهم حتى يجعلهم يتقدمون في مكان ضيق جدا ، ويتعرضون الى رمايات مستمرة من المدافعين عن البرج الذين اعتلوا اطراف السقوف وسينتهي المهاجمون الى ممر فيه ثلاث اتجاهات ، / علما ان عرض الممر لا يتجاوز ثلاثة امتار ونصف المتر / ، ليلقاهم فوج كبير من الجنود المنتشرين حول ساحة السلاح . صحيح ان الباب المذكور لم يكن بناء هاما ، ولكن الباب الجديد الذي حل محله قد تم تشييده بفهم علمي كبير وواسع ، وانسجاما مع مخطط القصر الاولي فان شكل ساحة السلاح فيه كان مستطيلا بلغت ابعاده ثلاثة امتارعلى عشرين مترا ، في حين عدلتها الملك نيقميبا الذي علت قصره الساحة المذكورة فجعلها مثلثا مختلف الاضلاع ، وفي الناحية الجنوبية الغربية من القصر قام باب ثلاثي يقود الى المدينة ، واما في الجهة الغربية من المثلث المذكور فقام الجدار العاري من القصر ، واما في الجهة الشرقية فقامت مقدمة القلعة .

وبالاستناد الى هذا التنسيق اصبحت المنطقة العسكرية بكاملها مفصولة عن باقي اجزاء المدينة ، وتؤلف ارضا تستطيع ان تقاوم ثورة الاهلين في الالاخ ، او اي غزو خارجي ، وفي ايام السلم وعند ما كانت ابواب المدينة تفتح فانجميع الداخلين والخارجين من المدينة كانوا تحت رقابة حراس القلعة .

واما القسم الكبير من بناء القلعة فقد زال من الوجود بعدما اصابت التعرية قمة تل / العطشانة / الالاخ . واما شروط البناء في القسم الشمالي الشرقي من القلعة فكانت افضل ، واما الجدران فلم يزد ارتفاعها عن سوية الارض عن ثلاثين سنتمترا ، واما تفصيلات غرف القلعة فكانت دقيقة الى ابعد الحدود اذ تالفت مقدمة ساحة السلاح من جدار مضاعف حوى غرفا صغيرة ذات ابعاد صغيرة ، واما وسطها فحوى المدخل الذي لم تكن فتحتاه على استقامة تامة ، وقد زينتهما دعامات بازلتية جميلة ، وتقود المقدمة المذكورة الى باحة داخلية بلغ طولها من الجهة الشمالية الغربية الى الجهة الجنوبية الغربية ما يقرب من اربعة عشر مترا (في حين لم نستطع ان تكشف عن حدها الجنوبي الغربي) وكانت تحيط بها ابنية القلعة ، وعندما كشفنا عن مدمار الجهة الشمالية الغربية من الباحة المذكورة اصابتنا الدهشة اذ كان اعتقادنا اننا ننقب في موقع القلعة عندما كشفنا عن غرفتين كبيرتين تقابل الواحدة منهما الاخرى وهما من طراز / صالة الاستقبال / ، وتتصلان ببعضهما ، وكل واحدة منهما مجهزة بغرف صغيرة اضافية مرتبطة علاة مع / صالات الاستقبال / كما هي الحال في القصور الملكية .

واما بناء الغرفتين المذكورتين فاتسم بمزايا كثيرة تالفت من جدرانمتقابلة اسمنتية ، ومن انقطاعات بين مسافات الاعمدة ، وتاكدت بالبداهة ان الغرفتين ليستا من نفس العصر ، اذ دلت احداهما على انها قسم من بناء بسيط يعود الى عصر سوية البناء الخامسة ، في حين اضيفت الغرفة الثانية الى البناء المذكور بعد فترة زمنية متاخرة ، الامر الذي ادّى الى تقوية كاملة لهذا الجزء من القلعة ، وهذا التبدل الحاصل لم يكن سببه تداعي البناء القديم الذي لم نجد له دليلا ، وانما سببه تسوية جديدة ادخلت عليه ، لا نستطيع ان نحدد زمانها بدقة ، ولكننا نقول انها وقعت في عصر سوية البناء الرابعة . هذا وكانت هناك محاولة لربط التغيير الواقع على جزء من القلعة بآخر يتعلق بتاريخ قيام سوية ساحة السلاح (علما باننا لم نستطع ان نحدد ذلك ، ولا

الشواهد كانت مرضية) وامتداد ارضها على اطلال قصر / نيقميبا / المحترقة والانتهاء من ذلك نقول ان القلعة احترقت ايضا ، ومن المؤكد ان احتراقها له علاقة بذلك الحريق الهائل الذي التهم القصر الملكي في زمن لاحق انتهى فيه عهد سوية البناء الرابعة ليحل مكانه عصر السوية الثالثة ، واما جدران القلعة في السوية الثالثة فقد انتصبت مباشرة فوق اطلال قلعة سوية البناء الرابعة ، وشملت كامل مساحة قصر الملك / نيقميبا / ، ولكنها فصلت عنها بارض وسيطة قامت فوق اطلال محترقة ، واعتقد ان الارض المذكورة هي التي عاصرت تحويل القلعة . وتشكل هذه الواقعة دعامة تاريخية كبيرة خاصة بالعصر المذكور ، اذ انها غنية بالوثائق التاريخية خاصة ، اذ كان بين مثلت الرقم التي عثرنا عليها في آن واحد في القصر وفي الغرف الواقعة الى الطرف الشمالي الغربي من « ساحة السلاح » ، (رقيم بدا انه يعود الى مكتب اداري خاص بموظف في القصر) ، ويمثل هذا الرقيم العلاقة الوحيدة الواردة في سيرة حياة الملك / ايدري – مي / ، ولكن قبل ان نبحث في التاريخ لنتاكد ان الرقيم المذكور وهو السند له علاقة مع سوية البناء الرابعة في الالاخ .

عندما كشفنا عن معبد سوية البناء الاولى الذي تهدم في عام ١١٩٤ قبل الميلاد على اثر الغزو الكبير لشعوب البحر وجدنا ساحته الامامية ملآى باشياء تعود الى الفترة النهائية من حياة هذا المعبد ، وكان من بينها كرسي بازلتي لا شك انه يعود الى تمثال ، وفي غرفة صغيرة من ملحق المعبد ، وفي القسم الشمالي الشرقي من الساحة ، كشفنا عن حفرة مسطحة كبيرة في الارض ملآى بالاتربة والاحجار الكبيرة بلغ وزن اكبرها طنا ونصف الطن ، ووجدنا تحتها تمثالا مكسرا تحطم راسه ووضع الى جانب جسمه مع قطعتين صغيرتين ، احداهما هي جزء من اللحية ، والثانية جزء من القدم ، ولا ينقص الجسم الا قسم من القدم ، وهذا التمثال يعود الى الكرسي البازلتي المذكور الذيوجدناه في ارض المعبد ، ويرتكز تماما على قاعدة الكرسي المحفورة ، ولم نجد شيئا محفورا على اطرافه التي حجبتها اذرع الكرسي ، وفي المناسبة نستطيع ان نقول ان التمثال كان منتصبا على هذا الكرسي ، عندما هدم المعبد ، ولكن رجليه تحطمتا عندما هوى بقوة من على كرسيه الذي اندمجت فيه الرجلان المذكورتان ، وقد تكون الضربة التي اسقطت هاتين الرجلين هي نفسها التي فصلت راس التمثال عن جسمه ، وبعد ان تم سلب ونهب المعبد ، فان من المعقول ان يكون احد

الافراد قد رجع الى المعبد ، واخذ ما بقي من التمثال وطمره بسرعة في قلب الارض على امل ان يعود فيما بعد ويجد التمثال . ولكن مع الاسف الشديد فان جميع الالاخ كانت قد انتهت ولم يبق منها شيء والفرد المذكور الذي طمر التمثال الذي يمثل الملك / ايدري – مي / لم يعد ابدا ، وعندما انهارت جدران المعبد كشفت للأعيان عما حوت واخفت من اشياء تبعثرت وانتشرت في الارض ، وحتى تاريخ عام ١٩٣٩ وعندما نقبنا في المعبد فان احدا لم يكن يعرف ما حوى هذا المكان او فتش فيه ، وانه لشيء مثير ان يرقى تاريخ هذا التمثال الى ما يقرب من عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، وانه بقي محفوظا في المعبد حوالي مئتي عام ، وبعد هذه الفترة الزمنية بقي التمثال المذكور موضع احترام واجلال لذلك الرجل الذي جازف بحياته من اجل حمايته والحفاظ عليه . صحيح ان التمثال عمل فنّي ، ولكنه عمل فني متواضع ، فهو بكل صراحة يمثل وجها قبيحا مضحكا ، ولكنه وجه محلي مالوف لا يمت بصلة الى الوجوه المصرية ، او وجوه بلاد ما بين النهرين او اية بقعة اخرى من البلاد المتحضرة المعروفة في ذاك الوقت ، وبالاستناد الى الاستثناء الوحيد الخاص براس الكبش الذي وجدناه في قصر الملك / نيقميبا / ، ويرقى بتاريخه الى تاريخ هو أسبق بثلاثين عاما عن التمثال المذكور الذي يعد من اقدم القطع الاثرية المنحوتة التي جادت بها الالاخ ، فان هذا الراس او هذا الدليل يهدف الى البرهنة على ان المدرسة الفنية في سورية الشمالية التي تولت فيما بعد اعمال الزينة المحفورة في القصور السورية الحثية قد قامت في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، او بداية القرن الرابع عشر قبل المسيح ، ومن الممكن ان تكون الالاخ قد احتفظت بهذا التمثال بكل رعاية ليس لانه يمثل صورة بل لانه يمثل بداية قامت عليها مدرسة فنية محلية في الالاخ واستمرت . واما التمثال المذكور فقد حفر على مادة منغنيزية بيضاء جميلة رققت بواسطة مثقب البوبي ، ثم صقل التمثال بواسطة المقص وصقل ، واما تمثال الملك / ايدريمي / الذي نحتت صورته وهو جالس يتدثر ثوبا مضطرب الشكل ليس فيه ثنيات ، ولا ينسجم مع شكل الجسم ، وكانه عبارة عن مشد سميك يوحي بانه قميص داخلي ومعطف مخمل ، او انه عبارة عن شيما Schéma لا يمت بصلة الى الاثواب الحقيقية ، واما غطاء الراس فبدا بزينة مخروطية الشكل عليه تزيينات جميلة مترابطة فيما بينها بعصبة واحدة بسيطة ، واما لحية وجنتيه وذقنه الطويلة فكانت ملتحمة ، واما حاجباه وعيناه فرصعت بقطع من حجارة سوداء تعاكس بياض المنغنزيوم الذي حفر

فيه التمثال ، الذي جرى بالتاكيد دهنه كاملا في بداية الامر لان لحية الملك في التمثال يجب ان تكون مجعدة بشكل دقيق ، وهذا لم يتم على الحجر الذي نحتت فيه صورة الملك ، وانما تم استدراكه عن طريق التلوين ، واما الوجه السابق للتمثال بدءا من الخدود وصولا الى الثوب فكانت مغطاة بمئة واربعة خطوط محفورة على الوجه المذكور .

كان الكرسي البازلتي المذكور كرسيا كبيرا ، وله مسند عال ويحمل ذراعيه اسدان نحتا بشكل بارز وبرز راساهما ، ويبدو ان بضع درجات قامت امام هذا الكرسي وتم نحتها في كتلة حجرية مستقلة تكسرت وضاعت ، واما الكتابة او الخطوط المحفورة على التمثال فتضمنت تاريخ الملك وقد تولاها كاتب اسمه شاروا / Charrova / الذي يعتقد انه من / رجال الحكومة القدماء / في المملكة لان اسمه ورد في وثيقة حكومية سابقة ، واما اسلوب حديث هذا الكاتب عن نفسه ، ودعاؤه للآلهة بان تنزل البركة على راسه ، فذلك نوع من الغفران لا يناله إلا رجل من طبقة رفيعة ، لقد كتب شاروا النص بلهجته الخاصة ، وتعمد استعمال عبارات قديمة ، ومن المؤسف ان كلا من الكاتب الذي اعد النص ، والنحات الذي نحته على الحجارة لم يكونا ماهرين ، كما ويبدا النص غامضا لا يمكن تفسيره ، واما الاستاذ / سيدني سميث / الذي نشر النص المذكور فقد توقع ان تلحق بهذا النص تصحيحات كثيرة تبدو ضرورية ، اذ ظهرت آراء مختلفة حول بعض النقاط الواردة فيه ، كان ابرزها ما يتعلق بتاريخ ولاية / ايدري – مي / للعرش ، هل سبقت ولايته ولاية الملك نيقميبا للعرش ام تلتها ، والاجابة على ذلك تتعلق بجزء من الكتابة المخصصة لاسم وارد في النص المحفور[1] ، وبجزء آخر مخصص للتعريف بالهوية الشخصية ، ومن الملاحظ لدى كل من العائلة المالكة في الالاخ ، وعند الدويلات السورية الاخرى ، ان بعض الافراد فيها كانوا يرغبون دوما ان ترد اسماؤهم ضمن اسماء من أجيال مختلفة ، وعلى سبيل المثال ورد اسم الملك نيقميبا انه ابن ايدري مي ، ووالد ايليم ايليما ، في حين ورد ان الملك / ايدرى – مي / انه ابن ايليم ايليما – وذلك حسب الطريقة المتبعة في تحديد هوية الشخصين من آل / ايدرى – مي / او الشخصين من آل – ايليم – ايليما – كذلك ورد

(١) قرأ – سيدني سميث – اسم ملك ميتانيا بكلمة : شوتا – نا – ، في حين يقترح غيره كلمه : / با – را – آت – تا – نا / ، واذا ما حركت قليلا هذه الاشارات اصبحت /باد – سا – شا – تان / والد شوتار ، وهو ملك ميتاني اقدم .

اسم الكاتبعلى انه الولد او الابن الصغير لصاحب وباني القصر الملكي ، واما في حقل فقه اللغة ، فان الخبير العالم به هو الذي يستطيع وحده ان يعبر عن رايه وفكرته ، واما في الموضوع التاريخي المثار فان من الواجب ان تربط اهميته التاريخية بالشواهد الاثرية التي تبقى حسب رايي شواهد دقيقة لا يمكن دحضها ، وهي التي تؤيد ان الملك / ايدرى مي / عاش بعد الملك / نيقميبا / وبوصفي اثريا فانني لا اتردد في ان اتبع اسلوب الاستاذ / سدني سميث / (الذي شرح كيف يستطيع ان يبرر رايه من الوجهة التاريخية) ، وهكذا لخصت تاريخ السوية الرابعة في الالاخ دون الالتفاف الى حجج خصوم هذا التاريخ اللغويين .

عندما نصب تحوتمس الثالث الملك / تاكو / مؤسس سلالة / نيقميبا / على العرش ، جعله واليا على اراض اوسع من تلك الاراضي التي حكمها خلفاؤه ، لقد كانت آلالاخ عاصمة مملكة / موكش / التي حوت القسم الشمالي من سهل العمق ، وحوت الى الغرب مجرى نهر العاصي الاسفل وصولا الى شواطيء البحر الابيض المتوسط ، ثم الى منطقة / آما ـ او / وهي المنطقة ، الجبلية الواقعة في جنوب السهل المذكور ، واما مملكة حلب ، وبلاد / نيا / حيث تعيش الفيلة ، فكان حكامها اعوانا دائمين لملك / موكش / ، وبالاضافة الى هذه الممالك يبدو ان فرعون المذكور اضاف اليها منطقة / نوخاشي / التي تشكل منطقة سهوب واقعة الى الجنوب من حلب ، والى الشرق من نهر العاصي، وهكذا قامت في هذه الاراضي الواسعة مملكة كبيرة وقوية ، ولكن كان من الصعب بقاؤها موحدة .

هذا وطالما بقيت مصر قوية قادرة على دعم ملوكها الاتباع في المقاطعات الشرقية ، فقد كانت مطمئنة من ولائهم لها ، ولكن عندما ضعفت ، اصبح من المتعذر عليها ان تستمر في فرض سلطتها على هذه المقاطعات ، وعندما توفي تحوتمس الثالث حوالي عام / ١٤٤٧ / قبل الميلاد بدا طبيعيا قيام ثورة في سورية بتحريض من مملكة الميتاني ، واما ملك آلالاخ في هذا الوقت فكان يدرك جيدا انه بحاجة ماسة الى معونة مصرية تساعده ، فهو لا يجازف بالعمل مع حلفاء ماكرين اكثر من دولة ميتاني ، وعندما استطاع فرعون مصر /امينوفيس/ الثاني ان يهزم عدوه في جنوب نهر العاصي ، تقدم نحو / نيا / التي استقبلته ، وفي هذه الاثناء اعتلى العرش نيقميبا الذي كان بالتاكيد احد افراد العائلة المالكة في الشرق ، ولكنه لم يطالب بلقب ملك يضفيه على ابيه / ايدرى ـ مي / ومن

المحتمل ان يكون نيقميبا هذا هو ابن اخ احد الحكام التابعين الذين استمروا على ولائهم لفرعون مصر ، وبدوره استمر نيقميبا على الاعتراف رسميا انه حاكم تابع لمصر بدلالة تلك الرسومات المصرية التي زاين بها خاتمه الملكي انظر الى اللوح / ١٤ / علما بان هذه المظاهر لم تكن مظاهر شكلية ، واما المعبد الذي بناه نيقميبا لالهة المدينة فلم يكن من الطراز الميتاني او المصري ، ولكن نيقميبا الحاكم التابع الحقيقي لفرعون مصر كان ملزما بتكريم ارباب وادي النيل ، واما نفوذ مصر وسلطتها في الشمال السوري فقد اخذت بالتراجع امام اضطراد ونمو قدرة الميتانيين ، وانطلاقا من هذه النقطة ، وحوالي عام /١٤٢٠/ قبل الميلاد طلب تحوتمس الرابع الزواج من ابنة / آرتاتاما / ملك ميتاني ، وعقد معه حلفا ، وهكذا اضحى لزاما على نيقميبا ان يتصرف بحكمة ، وفي اللحظة التي بدت فيها القابه الملكية لا تشمل حلب ، فاننا من خلال ذلك نستطيع ان نستنتج أن مملكته هذه التابعة اصبحت مستقلة ، وان نيقميبا اصبح قادرا على ان يرتبط فقط بمملكة / موكش / القديمة ، وبالاستناد الى هذه العلاقة التبعية ، وبوصفه حاكما لآلالاخ القوية فقد ابرم نيقميبا هذا معاهدة مع / ايرميرمير / حاكم مدينة تونيب ، وقد وردت المعاهدة المذكورة مسجلة على رقيم وجدناه بين اطلال القصر الملكي في آلالاخ ، واما منطقة / تونيب / فكانت واقعة الى الجنوب من منطقة / موكش / مباشرة ، وفي هذه الاثناء اخذ نيقميبا في تقوية نفسه ، وتعزيز موقعه ، ومن بين الرقم المكتشفة كان هناك رقيم تضمن وصفا لعملية ارتقاء شخص من آلالاخ الى مرتبة اجتماعية تسمح له بالحصول على اسم حوري ، كما وتضمنت ذكرا لارباب الميتانيين يوحى ان آلالاخ كانت خاضعة مباشرة لميتاني ، والى جانب ذلك هناك رقيم آخر تضمن خلاصة دعوى مفادها ان المدعو / ايريب ـ كازي / وهو من اتباع الملك نيقميبا ، تقدم بشكوى ضده أمام : / شوشا تار / ملك ميتاني ، مدعيا انه من سكان هانيكالبات اي من اتباع شوشا تار ، ولكن نيقميبا ربح الدعوى وعاد المدعي / ايريب ـ كازي / الى خدمة نيقميبا . وفي مثل هذه الحال فان حاكم آلالاخ اكد استقلاله المتين ، واما العالم / سيدني سميث / فيؤكد أن نيقميبا المذكور كان حاكما تابعا لشوشا تار ، وانا اعتقد ان نيقميبا استطاع أن يحقق التوازن بين فرعون مصر وملك ميتاني ، فاعتقد كل منهما ان نيقميبا تابع مخلص له ، وفي المناسبة كان لا بد لنيقميبا أن يكون دبلوماسيا محنكا حتى يستطيع القيام بتشييد قصر جديد له ، في حين لم يكن هذا واردا في مفهوم العلاقات الملكية القائمة ، ولكنه يدل على الاقل على سلطة نيقميبا الملكية القوية .

خلف الملك نيقميبا على عرش آلالاخ ابنه / ايليم ـ ايليما / ـ الذي كان اطمع من ابيه ، واقل حنكة منه في الأمور السياسية ، وقد نجح في توسيع مملكة

ابيه حتى ضمت اراضي حلب ، و / نيا / اللتين لم يسيطر والده عليهما من قبل ، اما كيف استطاع / ايليم – ايليما / ان يحقق هذا النجاح فلا نعرف عنه شيئا ، ولكننا نقول ان التوسع المذكور لم يكن نتيجة غزو للاراضي المذكورة ، لان / ايليم – ايليما / كان لا يستطيع ان يقاوم الاتحاد الحوري الذي يتولى رئاسته الآن / ارتاتاما / الميتاني / ، وتؤلف حلب حكومة حورية فيه ، ومن خلال رقيم تم العثور عليه في آلالاخ / قرية العطشانة / عرف ان حاكمها كان تابعا حوريا . ويصبح من المعقول والحال هذه ان هذا الحاكم استفاد من معاهدة قامت بين / ارتاتاما / و / تحوتمس / الرابع ، فوسع مملكته . ويبدو من هذه المعاهدة ان مصر تخلت عن اطماعها في سورية الشمالية ، فاخذت ميتانيا طريقها لتصبح قوة كبرى ، واما الحاكم الخادم الوفي الفرعون مصر في آلالاخ فكان لا يبدل ملكا بملك آخر ، ويخضع له إلا القاء لمن عال يتقاضاه / لاشك ان الحصول على مدينة يستحق قداسا / ، وعلى كل حال فقد استطاع / ايليم – ايليما / ان يصبح /ملك حلب / ، وان يضيف الى مقر والده في آلالاخ بناء كبيرا يسوس منه امور مملكته التي توسعت .

وعندما كشفنا في عامي / ١٩٣٨ – ١٩٣٩ / عن القصر الملكي الخاص بعصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ لم نتردد لحظة عن الاعلان ان دمار القصر جاء نتيجة ثورة قام بها الاهلون ، تم فيها حرق القصر كاملا . واما بناء / ايليم – ايليما / الجديد المنفصل عن القصر المذكور ، وله الجدران المضاعفة ، وليس لجناح مطبخه اي اتصال مباشر مع القصر ، فانه عانى ايضا من المأساة عند وقوعها ، ولما لم نعثر بين لانقاض على جثث المدافعين عن القصر ، فان هذا يوحي انه سقط دون مقاومة ، واما كنوزه المحفوظة في الغرف العليا فقد نهبت ، واما الوثائق فتم ايداعها على مايبدو في مكان امين ، وهذا ما وجب على السكان ان يفعلوه على الارجح ، ذلك لان جميع الاسناد الخاصة بالملكية وجميع الوثائق الحقوقية ذات النفع العام كانت تحفظ في القصر ، ومع هذا فان نقلها الى مكان آخر يبدو انه تم بعد تفكير وتدقيق وتأمل(١). واما في غرف القصر المخصصة للخدمات فوجدنا كل شيء في مكانه ، لذلك يستطيع المرء ان يدرك من خلال هذه الوقائع ان النار قد اندلعت في آن واحد في امكنة متعددة من القصر في حين لم يؤخذ خدمة القصر

---

(١) وكثير من هذه الوثائق تركت في صالة الوثائق نتيجة اقتراع خاطف ، وضاع بعضها عند الخروج من البناء ، وهناك كومة كبيرة من الوثائق هذه بدت على شكل سلة تم العثور عليها في باحة القصر الامامية ، وهذا ما يفرض ان القصر كان ما زال يحترق ملتهبا ، وان الناجين لم يستطيعوا العودة لحمل الكومة المذكورة معهم .

على حين غرة ، وبقدر ما نعرف فان الحريق المذكور لم يصب اي بناء آخر في مدينة آلالاخ إبان حرق القصر الذي اصابه الدمار وازاله من الوجود .

واما استنتاجنا هذا فقد تاكد من نص رقيم خاص / بالملك / ايدري – مي / تضمن ان ثورة قامت في آلالاخ اودت بحياة الملك / ايليم – ايليما / ، وعندما استعاد / ايدري – مي / عرشه الضائع ، عمد الى تشييد قصر جديد له لان قصر ابيه كان قد زال ، وفي هذه المناسبة يضيف الاستاذ / سيدني سميث / الى ان وفاة / ارتاتاما / قد شجع ، / ايليم – ايليما / على التحرر من السيطرة الميتانية ، ولما كانت حلب حيث ولدت الثورة هي تقليديا مركز حوري ، لذلك فان كل هجوم ينطلق منها على الميتانيين لا يكون إلا هجوما / شعبيا / يعبر عن نقمة الشعب .

واما في موكيش فان الفرد من سورية الشمالية كان هو السائد على غيره من الافراد الآخرين دائما ، وان سكان موكيش لم يكونوا ابدا ملتزمين بالتعاطف مع مصر ، وهكذا بدت سياسة الملك في موكيش مغايرة لاتجاه السكان فيها ، واما / شوتارنا / خليفة / ارتاتاما / فلم يلاق صعوبة في التحريض على القيام بثورة على حاكم تابع لمصر وقع في ازمة او ضائقة مادية .

واما /ايدري – مي/ فيبدو انه كان في آلالاخ عندما بلغه اندلاع ثورة في حلب اردت بحياة والده / ايليم – ايليما / فقرر الهرب مع عائلته نحو الجنوب ، واتخذ مساره على طول نهر العاصي حتى وصل الى مدينة / ايمار / مسكنة اليوم / التي كانت تؤلف جزءا من مهر اقطاعة والدته ، وذلك بعد ان ادرك ان الثورة ستعم كل مكان ، ويبدو ان هربه هذا جعل الاهلين في آلالاخ يعمدون الى حرق قصره ، واما اخوته الذين كان كل واحد منهم حاكم مدينة فكانوا موالين للميتانيين ، ولكنهم لا يظهرون عداءهم لاخيهم ، وهذا ما جعله يشك فيهم ويبتعد عنهم وعبر عن ذلك قائلا : (وهكذا ركبت حصاني واخذت عربتي وحارسي ووصلت الى /ايمار/ ثم عبرت المنطقة الصحراوية ودخلت بين المحاربين المقيمين في /سوتو/ /Souto/، وقضيت الليل مع حارسي في عربتي المغطاة ، وفي اليوم التالي تابعت السير حتى بلغت بلاد الكنعانيين ، قريبا من مدينة آميا (Ammia) التي كان يقيم الذين رأوني فعرفوا انني ابن مليكهم / ايليم – ايليما / فتآمروا ضدي ، فحزمت

وجمعت اعواني من مناطق اخرى، واتخذت مقرا لي بين محاربي عبيرو (Apirou) مدة سبع سنوات، ومن خلال هذه الأحداث يبدو ان الأمير /ايدري – مي/ كان يرمي من وراء هربه نحو الجنوب أن يضع نفسه تحت حماية فرعون مصر ، ولكنه لم يكن يجرؤ على ان يستقر في اي مكان يجد فيه رجالا من مواطني بلده الذين يعرفون انه ابن الملك / ايليم – ايليما / الذي ثاروا عليه ، علما بان مقاطعة اميا (Ammia) كانت ما تزال تحت الوصاية المصرية التي كانت عاجزة عن توفير الحماية للأمير المذكور ، الذي من المفيد أن نشير الى انه لجأ الى قبيلة عبرية تقيم في اقصى شمال بلاد كنعان (أي في شمال الأراضي التي اصبحت فيما بعد اراضي /آشوروزبولون/، وذلك قبل اجيال كثيرة من غزو يوشع للبلاد من الجنوب. بقي / ايدري – مي / سبع سنوات بعيدا يشاور ويأمل بالمعجزات(١) ، ويبدو ان التي قد تحققت اخيرا . . . ، ولكن الأمير لم يقل شيئا عن كيفية تحقق ذلك، وما هو اساس ذلك، وفي المناسبة يبدو من المفيد ان هذا الأمير كتب تاريخ حياته بعد سنوات طويلة من توليه الحكم ، وفي شروط مختلفة جدا ، وكان على الأمير ان يسرد التاريخ المذكور متحفظا ، وأن يتحاشى الحديث عن مصر التي عرف عنها أنها اصبحت خلال عزلته الطويلة ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها ، وأن غاية ما يتمناه هو الظهور انه الحاكم المطيع لمليكه الميتاني ، فكتب الى هذا المليك سوتارنا الملك القدير ملك المحاربين في بلاد الحوريين رسالة يرجو فيها قبوله في عداد موالي المليك(٢) ، ويضيف الأمير المذكور قائلا (يبدو أن رجائي كان

(١) ويقول : (التي جعلت تنبؤات العصافير واضحة ، وفحصت امعاء الخواريف) ، وبالمناسبة يشير : سيدني سميث ـ الى أن الايمان بتنبؤات العصافير كان منتشرة عند الحثيين) ، وقد تم العثور في قرية العطشانة على رسالة تشير الى عصافير تضمنها مثل هذا الرسم ، ويبدو ان مثل هذه التنبؤات كانت تؤلف قسما من فن الحكم في سورية كما كانت في روما /الهاروسبيسا/ ، ويتضمن اللوح / ١٤ ـ لا / نموذجا من اللبن لامعاء حيوانية تم العثور عليها في /السوية السادسة/ من تل العطشانة ، وقد انقسم النموذج المذكور الى مربعات اشير فيها الى حبيبات وثقوب ، وكان هذا النموذج بمثابة مفتاح يستطيع تفسير التنبؤات المذكورة من خلال عيوب الكبد السطحية ، ومن المرجح ان يكون الملك / ايدري ـ مي / قد احتفظ بمثل هذا النموذج .

(٢) وقد اشار في مخطوطته اولا الى عودته الى بيته ، ثم الى المعاهدة التي عقدها مع /سوتارنا/، والتي احتلت من حيث الواقع المقام الاول ذلك لان جميع اوليات المعاهدة كانت قد رتبت مسبقا ، ولم يبق منها الا الشكليات التي ارجئت حتى تستكمل في الالاخ ، علما بان المعاهدة و / القسم العظيم / كانا وحيدي الطرف .

مقبولا لدى ملوك محاربي بلاد الحوريين) وقد تم تثبيت شروط القبول بصورة كتابية لم تفوت الذكور / اصبحت ملكا / : وبعد هذا اخذ الأمير المذكور الذي اصبح ملكا يبني السفن وينقل فيها جنوده حتى يصل الى بلاد / موكيش / بحرا ، ثم يعود فيفرغ حمولة سفنه في المرفا (الميناء) الذي اقامه عند مصب نهر العاصي في اسفل جبل الأقرع ، ثم يضيف :(لقد اخذت الثيران والخرفان ترد الي تباعا بلا انقطاع رمزا للصداقة والمحبة ، واصبحت بلاد / نيا ، وآماد ، وموكيش ، ومدينة الالاخ عاصمة ملكي التي عادت تدين بالولاء والطاعة ولاء رجل واحد ، واما اخوته فصالحوه واشتد عضدهم به في حكوماتهم ، واما هذا الترحيب العام الذي لقيه هذا الأمير الذي بقي منفيا زمنا طويلا فكان امرا طبيعيا وكذلك الدعم الذي لقيه من الملك سوتارنا الذي ايد عودته ، واما ما يتعلق بحلب فليس هناك شيء بصددها سوى انها كانت جزءا من مملكة (ايليم – ايليما) واصبحت الآن خارج مملكة / ايدري – مي / ، ويبدو ان ذلك كان احد الشروط التي فرضها الملك / سوتارنا / عليه ، وهناك شرط آخر فرضه الملك / سوتارنا / هو ان يقوم / ايدري – مي / بدور محدد / واضح / في الحرب الدائرة بين الحوريين وحثيي الاناضول الذين كانوا قبل ارتقاء زعيمهم / سوبيلوليوما / العرش مشتتين فوضويين تحت رحمة اعدائهم . واما الحكومات الداخلة في الاتحاد الحوري فكانت تفصلها عن الحثيين جبال طوروس ، ولا تستطيع مهاجمتهم الا من خلال بعض المضائق التي تبدو منيعة صعبة المنال . واما ملك الالاخ فكان الوحيد في الاتحاد الذي يستطيع مهاجمة الحثيين من احد اطرافهم لانه كان يملك منفذا على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، ومرفا وسفنا ، ويملك مضيق بيلان الذي يستطيع بواسطته ان يستعمل الطريق الساحلي بدءا من مرفا الاسكندونة وصولا الى سهول كيلكيا . وعلى شواطيء هذا المرفا الكبير قامت سبعة مرافيء ومدن صغيرة محصنة ، وفي هذه المناسبة يقول / ايدري – مي / ما يلي :

استطعت ان اغزو وانهب بلاد الحثيين الذين كانوا متفرقين لا يستطيعون مهاجمتي ، فحققت ما اردت ، وحملت من بلادهم كل ما يمكن حمله من بضائع تجارية واموال وملكيات خاصة ، وتقاسمت هذه الغنائم مع افراد جيشي ، ومع اخوتي من الضباط ، ومع الضباط الذين اوليتهم ثقتي ويؤلفون عدتي ، ثم عدت الى بلاد موكيش ودخلت الالاخ عاصمة ملكي ، لقد استخدمت البضائع التي

استطعت حملها ، والمواد التي استوليت عليها ، واما البضائع التجارية والادوات المنزلية التي كانت تحت امرتي في بلاد الحثيين فقد ارسلتها من هناك الى الجنوب ، لقد بنيت بيتاً لي ، وجعلت من عرشي عرشاً مماثلا لعروش الملوك الاخرين ، وجعلت من الضباط خدامي في المملكة مثل اولئك الضباط الخدم في حكومات الملوك ، وجعلت اولادي يظهرون بمظهر اولاد الملوك ، وضباط قصري بمظهر ضباط القصور في البلاد الاخرى .

قلت فيما تقدم من ابحاث ان بناء قلعة آلالاخ قد تم تجديده في المرحلة الاخيرة من سوية البناء الرابعة ، وذلك بعد ان تم تدمير قصر الملك /نيقميبا/ ، وكيف جعل الملك / ايدري – مي / من تجديد البناء المذكور قصرا منيفا ، وكيف ترك موقع القصر القديم خاليا ليصبح جزءا من / ساحة السلاح / الواقعة امام القلعة ، وكل هذه الاصلاحات جاءت منتظمة مع ما جاء ذكره في قصة تاريخ حياته التي خطها بيده ، لقد هدم هذا الملك الشاب قصر ابيه ، واقام بدلا عنه قصرا جديدا وهكذا تبدو تواريخ الاحداث منسجمة ومتلاحقة دون خلل ، ومع هذا فان / ايدري – مي / يشير الى عمله الجديد في تشييد قصر له يختلف كثيرا عن الاعمال السابقة ، انه تقليد كامل لقصور اخوته في الاتحاد الميتاني ، في حين كان الملك / نيقميبا / قد اكتفى ببناء بيت له كبير خاص وليس قصرا في اجمل بقعة سكنية في آلالاخ اذ اعتبر نفسه اكثر من ملك ، واما الملك / ايليم – ايليما / فقد ادخل تعديلات على بيته ، ولكنه بقي يحيا في وسط شعبه ، وعندما ثار عليه هذا الشعب كان بيته تنقصه دفاعات تحميه ، واما الملك / ايدري – مي / الذي اتخذ عبرة من الاحداث التي سبقته ، فجعل من الاموال التي غنمها من بلاد الحثيين سندا ماليا قويا ليس فقط من اجل إعمار بيت اسلافه ، ولكن من اجل تحقيق الامن والسلام له في الدرجة الاولى ، اذ عاش الملك المذكور كما يجب ان يعيش الملوك في رعاية وحماية جيشه ، في قلعة حصينة هي في منأى عن كل هجوم يقوم به الافراد المناوؤن ، وبنى قصرا له في قلب القلعة .

هذا واما التبدلات السياسية التي وقعت في هذا العصر فتجسدت في الاواني الفخارية المستعملة اذ تم العثور في /يورغان تبه/ التي هي مركز مدينة قديمة اسمها /نوزو/ قريبة من مدينة كركوك شرق نهر دجلة على نموذج مطلي من اناء فخاري حدد تاريخه بتاريخ الرقم التي اكتشفت الى جانبه ، وهو التاريخ الواقع بين / ١٤٥٠ – ١٣٥٠ / ، قبل الميلاد ، واما النماذج الاكثر قدما فترتبط

بولاية : / شوشاتار / ملك ميتاني ، كذلك تم العثور فجاة على ما يماثل الفخار المذكور في تل براك على نهر الخابور الاعلى ، الذي يعود بتاريخه على الارجح الى عصر شوشاتار ، ويمتاز هذا النوع من الاواني الفخارية بخاصية تتمثل في زخرفة من الرسم الابيض على الاناء ، وله قاعدة سوداء او سمراء يمكن اعتبارها دليلا على تأثير الفن الميتاني . واما في آلالاخ / قرية العطشانة / فتم العثور على جزء من اناء فخاري يعود على الارجح الى زمن متاخر من عصر سوية البناء الخامسة ، اي الى ماقبل مجيء الملك /نيقميبا/ الى الحكم ، كما وتم الكشف عن كسر فخارية ، اثنتان او ثلاثة منها تعود الى عهد الملك/ايليم – ايليما/ ، وتم العثور عليها في الخندق الذي حفره الملك بغية اضافة جناح على قصره ، واما في المرحلة الاخيرة من سوية البناء الرابعة ، وبعد دمار القصر المذكور اصبح هذا النوع من الاواني الفخارية يصادف كثيرا ، واصبح عاما في عصر سوية البناء الثالثة ، وغزيرا في سوية البناء الثانية (وفي هذه الفترة اصبح من المنتوجات المحلية) في حين غاب في عصر سوية البناء الاولى . واما وجود هذا النوع من الفخار في آلالاخ فواضح يدل على ان صناعته بدات اول الامر في الشرق قبل عصر الملك نيقميبا بقليل ، وان التجار حملوا بعضا من نماذج آنية الفخار المذكور الجديدة الى آلالاخ ، واما الملك /نيقميبا/ فكان معاصرا للملك /سوشاتار/ الميتاني ، واذا كان نيقميبا حقا حاكما تابعا للميتانيين ، فمن الطبيعي جدا ان تكون الاواني الفخارية المذكورة المميزة معروفة في هذا الوقت في آلالاخ كما كانت معروفة في كل من تل براك على الخابور ، وفي مدينة /نوزو/ ، واما الواقع فليس هناك بين الكسر الفخارية المكتشفة في آلالاخ كسرة استطاعت ان تدل على كيفية احتفاظها باستقلالها بين الاواني الفخارية الجديدة ، واما اولى دلائل خضوع الملك /ايليم – ايليما/ – الى الميتانيين ، فكانت فرصة لظهور قطع من الاواني الفخارية المذكورة في آلالاخ ، وعند وفاة الملك المذكور فان ثلاثة عشر اناء فقط من اصل الآلاف الاواني الفخارية المخصصة لحفظ السوائل التي احتواها قصره كانت مماثلة لنموذج الاواني الفخارية من مدينة /نوزو/ ، واما الاواني المخصصة لحفظ المراهم العاجية فكانت من نموذج مصري ، واما وجود هذه الاواني الفخارية / الخزفية / في آلالاخ قبل فترة سبقت تاريخ تشييد قصر عصر سوية البناء الرابعة فيؤكد ان الملك /ايدري – مي/ كان خاضعا لاسياده الميتانيين .

بلغت مدة حكم ايدري – مي ثلاثين عاما عندما امر بكتابة النص على تمثال له وذلك بمناسبة تنازله عن العرش الى ابنه /آداد نيراري Adad Nirari بدا الملك /ايدري – مي / حكما صعبا ، ولكنه تكلل اخيرا بالنجاح ظاهريا ، اذ بعد إغارة الميتانيين الناجحة على المرافىء الحثية ، وقيام سلام بين مصر وميتانيا ، لم يبق والحال هذه للحكام التابعين لسوتارنا اعداء يواجهونهم ، فلم تقع بعد ذلك اية حرب .

اما العمل الأساسي الذي قام به ملك /آلالاخ/ في هذا الوقت واعتزّ به ، فكان تحويله البدو الرحل الذين كان اسمهم / السوتو / وهم العنصر / غير المستقر/ في المملكة الى سكان حضريين مقيمين ، وقد يكون العمل المذكور هو من باب العرفان بالفضل لبعض من هؤلاء البدو من العشيرة التي آزرته إبان محنته وغربته عن آلالاخ ، او انه نوع من الحنكة السياسية هدف الملك من ورائها الى تثبيت هؤلاء الرحل في الارض حتى يصبحوا عناصر موالية له دائمة بدلا من تركهم اناسا رحلا يقيمون تحت الخيام ، ويرحلون عند اول بادرة خطر تلوح ويختفون ، وهذا ماصرح به الملك المذكور عندما قال /ارجو ان اكون قد تمكنت من بناء مملكتي/ لقد بنى الملك /ايدري – مي/ لنفسه حصنا على الطراز القديم ، واحترم التقاليد الدينية ، وتخلى عن السلطة لابنه /آداد – نيراري/ ، فجعله يشاركه مسؤولية الحكم ، واما كيف عبر عن ذلك فكان بعبارة موجزة وردت على الشكل التالي / لقد اوليت مسؤولية الحكم الى ابني / .

وهكذا اتخذ الشيخ /ايدري – مي/ قراره السليم بالتنازل عن العرش، وعندما حل عام ١٣٨٥ قبل الميلاد لاحت في الافق البعيد الذي بقي هادئا ثلاثين عاما غيوم ثقيلة ، اذ بعد ان بقي حثّيو الاناضول اعداء الحوريين منطوين على انفسهم طيلة جيل كامل ، ودحرهم الميليتانيون ، دحروهم من آلالاخ ، ونهبت مدنهم دون اذى في الارواح ، وقسا عليهم الزمن كما قسا على مليكهم / ثوضاليا / الثالث الذي اغتاله ولده ، واصبح العرش الحثي خاليا ، لملك هو حقا قادر وقوي ، وعندما تنازل الملك / ايدري – مي / عن عرش آلالاخ كما تقدم ذكره كان الملك الحثي / شوبيلوليوما / قاتل ابيه ثوضاليا / والذي لم يمض على وجوده في الحكم إلا سنتين كاملتين استطاع خلالهما ان يقوي من مركزه : بعد العدة للهجوم على سورية الشمالية ، وقد استعمل في حملته على سورية السياسة والقوة معا وسنحت له الفرصة عندما وقع صراع بين حكام المدن الحوريين ، والميتانيين الذين بقيت لهم الكلمة العليا زمنا طويلا ، فزحف

الجيش الحثي نحو الجنوب عبر المضائق في جبال طوروس ، ودحر الميتانيين ، ولم يكن ذلك الا البداية ، وفي هذه الاثناء كان واضحا لدى حكام المدن في سورية الشمالية ان ملك الحثيين / شوبيلوليونا / هو في طريقه الى غزوهم والقضاء عليهم ، وان اي تحالف فيما بينهم لن يقوَ على صد هجومه ، فكيف وهم متفرقون ، لقد خطر ببالهم ان يطلبوا النجدة من مليكهم القديم فرعون مصر الذي عثر بين وثائقه الخاصة بالعلاقات الخارجية المكتشفة في تل العمارنة من مصر على رسالة توضح الموقف وهي صادرة عن ملك قطنة Qatna في سورية الوسطى ، الى فرعون مصر آمينوفيس الثالث يقول فيها :

(سيدي اريد ان اعبر لك عن خالص حبي واحترامي ويشاركني في هذا الشعور ملوك : نحاسيا ، ويني ، وزنزار ، وتوناناز ، الذين هم فصلا الى جانبك ومن اتباعك) واما مدينة قطنا هذه التي لا تبعد كثيرا عن مدينة قادش فكانت واقعة ضمن النفوذ المصري ، واما نحاسيا ونيا ، فقد اخذتا منذ امد بعيد تحاولان الابتعاد عن النفوذ المذكور ، لقد كان ملك قطنا لبقاً يتصرف بمهارة كوسيط بين مصر والممالك في سورية(١) الشمالية التي يهددها الغزو الحثي المذكور ، واما / آمينوس / الثالث فرعون مصر الذي اصبح رجلا شيخا ، فكان لا يهتم في نهاية حكمه الهادىء الا بمظاهر الابهة والعظمة وذلك بتشييد المعابد ، واقامة الحفلات الرسمية ، لذلك فان فكرة اعداد حملة عسكرية مصرية وارسالها الى سورية الشمالية لقتال الحثيين كانت فكرة / مستبعدة / وغريبة ، وعندما مات آمينوس الثالث في عام /١٣٧٥/ قبل الميلاد ، وخلفه على عرش مصر / آمينوس / الرابع المعتوه العنيد الذي اهتم قليلا بمصر ، ولم يهتم مطلقا بسورية ، وعندما اعتلى العرش المذكور بعث له ملك الحثيين / شوبيلوليوما / مهنئا ساخرا مستهزئا ، وانه يعد العدة لخلعه عن العرش المذكور ، واما الملك /اداد – نيرار / ابن الملك / ايدري – مي / في هذه الأزمة فكتب ايضا الى فرعون مصر / الذي لا ندري ان كان آمينوفيس الثالث أو الرابع / مذكرا بما قدم لمصر من خدمات ، ويرجوه ان يخف الى نجدته ، كما وذكره بما قام به / تحوتمس / الثالث من اعمال تضمنت توسيع مملكة جده / تاكو / ودعم سلطته ، وان الحثيين في هذا الوقت

(١) لم يعرف بالضبط أين توجد كل من / زنزار / و / توناناد / ، ولكنهما هما حتما ضمن حكومات الشمال السوري .

يهددون جميع الممالك التي كانت تابعة تقف الى جانب مصر ، وان الملك الذي يطلب الوفاء من اتباعه عليه ان يكون وفيا لهم ، ثم اضاف قائلا : (اذا كان سيدي لا يريد حقا ان يغادر مصر فليتفضل بارسال رسول من اعضاء مجلسه على راس حملة عسكرية مؤلفة من جنود وعربات عسكرية ، واما فرعون المذكور فبقي اطرش لا يحرك ساكنا ، واصبح الحثيون سادة الموقف ، وفي هذه الاثناء مات الملك / آداد / ـ نيراري / وخلفه تاكو ـ اوا Takouaua / كملك على موكيش / ، وكان كل شيء قد انتهى ، وكان ذلك عام /١٣٧٠/ قبل الميلاد الذي زحف فيه / سوبيلوليوميا / وازال الملك / توسراتا Tusratta عن عرش ميتانيا التي زالت من الوجود ، ولم يقو من بعدها حكام المدن التابعون على تنظيم اية مقاومة ، واما الملك الحثي فقال في هذه المناسبة ما يلي (لقد استوليت على بلاد حلب ، وموكيش / ، واما / تاكو ـ اوا / ملك ـ نيا / فقد جاء الي في بلاد موكيش / مستسلما يطلب : السلام / وهذا الملك هو الذي على الأرجح قاد جيشه الى ابعد مقاطعة شرقية في مملكته حتى ينضم الى تجمع جيوش الحكام التابعين للملك /توسراتا/ الذي امر بذلك بغية مقاومة الحثيين الذين اصبحوا على الضفة الشرقية من نهر الفرات ، ومع ذلك فان /تاكو ـ اوا/ هذا لم يشترك في المعركةالتي دارت ، خاصة بعد ان بلغه أن / سوبيلوليوما / قد دحر /توسراتا/ والتفت الى الغرب واحتل حلب واستولى على بلاد /موكيش/ ، وفي هذه الاثناء ترك /تاكو ـ اوا/ جيشه ، واسرع يحث الخطى حتى يفاوض الملك الحثي المنتصر ويطلب منه /الصلح/ الذي يعني الاستسلام دون قيد او شرط ، واما بلاد /تاكو ـ اوا/ فقاومت قبل أن تسقط بيد الملك الحثي الذي قال مايلي: (كان يقف وراء /تاكو ـ اوا/ اخوه /آكي ـ تيشوب/ Aki-Téchoup الذي جعل من بلاد /نيا/ ومدينة /نيا/ بلادا مستعدة للحرب والمقاومة واقام على ادارتهاستةحكام من النبلاء اجتمعوا عند / آكيا/ ملك /اراختو/ Arakhtou المدينة الواقعة على نهر الفرات مع عرباتهم الحربية وجنودهم ، وحصنوا من جديد مدينة / اراختو / واظهروا استعدادهم للحرب قائلين : (فلنقاتل الملك الكبير ، ملك بلاد الحثيين) الذي دحرهم في مدينة /اراختو/ ، واسر كلا من / آكيا / ملك بلاد اراختو /و/ آكيت تيشوب ـ أخ ـ / تاكو ـ اوا / والحكام النبلاء وامر بسوقهم الى بلاده الحثية) .

وهكذا انتهى عصر سوية البناء الرابعة في آلالاخ .

الفصل الثامن

آلالاخ تحت حكم الحثيين

سويتا البناء الثالثة والثانية

عندما كشفنا في عام /١٩٣٨/ عن قصر نيقميبا في آلالاخ تاكد لنا ان مهمتنا اصبحت صعبة بسبب طابع البقايا التي كانت تغطيه ، اذ كانت جدران القصر متقاربة ، وحتى جدران اساساته ، كانت هناك جدران ممتدة على طول الطرف الشرقي من القصر ، تراوحت سماكتها بين ٢ر٤٠ م و ٥ م ، وكانت اساساتها السفلية مؤلفة من كتل حجرية ضخمة ، ومن حجارة كلسية ، وفي أعلى هذه الأساسات قامت كتلة مبنية باللبن الاسود عليه بقع كلسية لينة ، وقد صعب تمييز لون هذه الكتلة عن التراب ، وكان ارتفاع الكل المؤلف من اللبن والحجارة ٣ر٦٠ م ، واما البناؤون فحفروا الاساسات على شكل خنادق بلغت عمق ارض قصر سوية البناء الرابعة ، وبلغت اعمق من ذلك احيانا اذ وصل البناؤون في حفرهم سوية /ساحة السلاح/ القديمة الخاصة بعهد الملك /ايدري ـ مي/ التي بلغ ارتفاعها عن سوية البناء الرابعة ماتراوح بين ١ر٤٠م ـــ ١ر٥٠م ، وعندما قامت الجدران الجديدة وبينها الفراغات ، والغرف ، كما ظهر على المخطط تم ملء الفراغات بشكل كثيف باللبن الى عمق بلغ ١ر٥٠ م ، واما ارض الغرف الحقيقية فكانت أرضا متعرجة ، وكل ما استطعنا الكشف عنه فيها لم يكن إلا كتلة من اللبن متجانسة ظاهريا ، ومساحة واسعة من ارضية لم يظهر فيها تفصيل بناء ما ، وبعد ان جفف الهواء اللبن استطعنا بصعوبة ان نفرق بين / الغرف / ، وأما الجدران فكانت تسمى بجدران الاساسات بقدر ما ترتفع عن سوية الارض .

والحق يقال ان البناء قد قام على قاعدة صلبة وذلك بعد ان جرى ملء طرفه الاسفل بالحجارة ، واما الجدار الجنوبي الشرقي الذي يطل على مدينة الالاخ فكان مجهزا بمضادات دعم كبيرة مربعة الشكل وضعت على ابعاد منتظمة، ويبدو من خلال هذا التنسيق ، ومن ضخامة البناء ان البناء كان عبارة عن حصن ، وعندما بدت هذه الشواهد مضطربة استنتجت ان هذا البناء قد قام في عصر سوية البناء الثالثة واستمر استعماله طيلة عهد سوية البناء الثانية .

خلال جميع مواسم التنقيب اللاحقة التي قمنا بهـا في غرب قصر الملك /نيقميبا/ فاننا كشفنا فقط عن جدران جديدة ذات طابع واحـد ، اذ كـان الحصن يملأ بمساحته نهاية الطرف الشمال الغربي من المدينة ، ولم نستطع والحال هذه ان نكشف ابدا عن الحدود النهائية للقصر المذكور باستثناء مساحة صغيرة من الجدران واقعة في الطرف الشمالي الشرقي ، في حين لم تتجاوز مساحة ماكنا ننقب من بناء القصر (٧٨×٧٨) = ٦٠٨٤ مترا مربعا انظر الى الشكل رقم ٢٠ ، وكان ذلك اوسع بنـاء تم اكتشـافه في آلالاخ . واما مخطط اسـاس البنـاء المذكور الخـالي من الأبواب فكـان مخيبًا للآمال ، لانه لم يقدم لنا أية اشارة تدل على كيفية اتصال غرف القصر فيما بينها ،وتدل ايضا على الاعمال التي تتم في هذه الغرف ، وجل ما يمكن استخلاصه من المخطط المذكور هو موقع الدرج ، وباحات سماوية كبيرة او صغيرة ، واما الغرف التي استطعنا تمييزها فكانت غرفا ثلاثة واقعة في الزاوية الجنوبية من القصر ليس فيها حشوات آجرية بغية رفع سوية الارض ، ولكنها كانت ملأى بجرار فخارية غرزت حتى اعناقها في جوف الأرض ، انظر الى اللوح (١٥ ب) ، واما الغرف الثلاث المذكورة فكانت صوامع لخزن مواد الجنود التموينية ، وبقيت لهذه الغاية طيلة عهد سوية البناء الثانية ، وكان ذلك امرا طبيعيا ، وكذلك كانت الحال فيما يتعلق بالجرار (التي بقيت مطمـورة في جوف الأرض محفوظة باستمرار) ، وهي تعود على الاغلب الى عصر سوية البناء الثالثة .

من خلال الشواهد الخاصة بهذه المساحة من بناء القصـر تأكد رأينـا الاولي المتضمن ان البناء الذي كشفنا عنه كان حصن القصر ، ويرقى بتاريخه الى عصر سوية البناء الثالثة ، وهو احد بنائين يحددان طابع سـوية البناء المذكورة ، واما البناء الثاني فكان معبد المدينة من عصر سـوية البناء الرابعة

وكان قد هدم من اساسه ، وجرى استعمال اساسات جدرانه في اقامة اساسات بناء معبد جديد ، واما ما يتعلق بالتعديلات الداخلية الجارية في المعبد الجديد فبدت مختلفة عما سبقها ، وعلى الرغم من ان المعبد الجديد قد قام في مكان المعبد السابق ، وقامت جدرانه الخارجية على النمط / الطراز / القديم ، فان طبقة المعبد السفلية ، والحصن كانت مبنية من كتلة كثيفة من الآجر بلغ ارتفاعها المترين وهذا ماجعل المرء لايستطيع الوصول اليها الا بواسطة سلم ، واما داخل المعبد فقد قسمه جدار معترض الى قسمين مختلفين ، والى الخلف من المعبد (اي في الجهة الشمالية الغربية) منه ، قامت غرفة واسعة قليلة العمق امام بناء من الآجر الكثيف الواقع في الزاوية الجنوبية من المعبد ، كما وقام ممشى ضيق . واما جدران المعبد فكانت سميكة ، وهذا دليل على ارتفاع بنائه ، واما امام الجدار الجنوبي الشرقي من المعبد فقام رواق ذو مدخل متوسط واسع جدا قسمته دعامتان آجريتان وثلاث فتحات ، وفي مقابل الفتحة الوسطى من هذه الفتحات قام مذبح من الآجر ارتفع في ساحة فرشت ارضها بملاط ابيض جميل .

كانت الأرض الاسمنتية هذه بمثابة العون الكبير في ترميم البناء لانها امتدت تحت الرواق المذكور حتى بلغت جدار مقدمة المعبد ، والجزء الصغير من نهاية الطرف الشمالي الشرقي من الرواق ، وليس الطـرف الجنوبي الغربي منه . ثم توقفت الأرض فجاة امام الدعامة الجنوبية الغربيـة الخاصة بالفتحات الثلاث المذكورة ، وفي هذا المكان لم نجد إلا كومة كبيرة من حطـام الحجارة ، وسلماً يقود الى المعبد ، ويملأ الطرف الجنوبي الغربي منه ، ثم يدور نحو اليمين لينتهي الى باب في جدار المعبد . ولما كان ميل السلم الطبيعي محددا في آلالاخ فيكون من المؤكد ان يبلغ الميل المذكور سوية ارض المعبد ، واما داخل باب جدار المعبد المذكور فقام دهليز صغير ، يقابله باب يقود الى غرفة واقعة في مؤخرة المعبد . واما / الممشى / الطويل الضيق الواقع الى يمين الـدهليز فكان بمثابة سلم ثان يصعد به المرء الى الغرفة العلوية في المعبد الذي كان ولاشك بمثابة بناء له شكل برج بلغ ارتفاعه ارتفاع طابقي بناء ، واما محرابه فكان قائما في الغرفة العلوية المذكورة . واما مقدمة الساحة التي قام فيها مذبح المعبد فكانت تحتوي في احد اطرافها على رواق او بالحري على صف اعمدة ، وقامت وراء الرواق ساحة خارجية على الارجح ، ولم نستطع الكشف عن الحدود

لانه كان اجرد في هذا المكان ، واما في الطرف الجنوبية الشرقية لهذا الرواق فقام محراب ثان لا يختلف كثيرا عن المحراب الاول الشمالي الشرقي منه ، واما مدخله فكان يقود الى الجدار الشمالي الغربي ولكن اتجاهه كان معاكسا ، الذي احتوى على فتحة واسعة انقسمت بواسطة دعامة مركزية ، وتقود هذه الفتحة الى غرفة مبلطة قام في وسطها موقد من الآجر ، وعلى اليسار قام سلم يدور نحو اليمين ، وايضا الى اليمين امام الجدار الخلفي من البناء لينتهي الى الغرفة العليا فيه ، وهكذا يبدو واضحا ان الغرفة الهامة كانت ترقد في الطابق العلوي ، في حين كانت غرفة الطابق الارضي لاتستعمل الا لطقوس قليلة وصغيرة.

واما شكل المعبد المذكور فكان مشابها كثيرا لمعبد آخر يعود بتاريخه الى تاريخ لاحق ، ولكنه على الارجح يتوافق وشكل معبد تقليدي آخر موجود في مدينة كركميش له رواقد ذو اعمدة ، وثلاث فتحات ، وغرفة وحيدة في الطابق الارضي ، وله في الخلف سلم يقود الى الطابق الثاني ، وهذا التشابه يقود الى القول ان هذا النموذج من المعابد هو النموذج الاصلي للبناء الحثي المسمى بيت هيلاني الذي هو على الاكثر آشوري ، واما بناء بيت هيلاني هذا فكان بناء دينيا ، ويحتوي في الاعلى على غرفة علوية خاصة بالملك ، وعلى الارجح كانت مخصصة لنذور الملك ، لقد توقعت فيما سبق ان من المحتمل العثور على نموذج هو طبق الاصل عن / بيت هيلاني / في معبد سوية البناء الثانية عشرة /ارجع الى بحث تاسيس المملكة من هذه الترجمة/ ، ولكن عندما كشفنا عن هذا النموذج في سوية البناء الثالثة ، لم نستطع الا ان نستنتج ان ظهوره من جديد هو بفضل الحثيين الذين نسبوه الى انفسهم في عصر السوية المذكورة . وقد عزز هذا الاستنتاج ذلك الرقيم الذي عثرنا عليه في منطقة المعبد بين اساسات معبد سوية البناء الثانية ، وهذا دليل على ان تاريخ الرقيم اسبق من تاريخ بناء المعبد الحالي ، ولكن الرقيم المذكور بدا محترقاً ، وقد لونته النار ، ولما كان معبد سوية البناء الثانية لم تدمره النار ، فقد غدا طبيعيا ان تكون النار قد دمرت معبد سوية البناء الثالثة ، وان الرقيم المحترق يعود قطعا الى عصر سوية البناء الثالثة ، واما فائدة هذا الرقيم فلا تتجسد فيما حوى من معلومات ولكن فيما يمثل من طابع مميز اذ هو من نموذج حثي ، ولم يعثر على ما يماثله خارج عاصمة الحثيين /بوغازكوي/ ، واما ظهوره هنا في الالاخ في منطقة غير حثية بعيدا فيدل على امور هامة .

لاول مرة عثرنا في سوية البناء الثالثة في الالاخ على اختام حثية على شكل كرة مسطحة، وظهرت على وجهي كل خاتم كتابة هيروغليفية ، وهذه الاختام هي اختام شخصية تعود لموظفين حثيين مقيمين في الالاخ ، كما وتم العثور على رقم اخرى تشير الى تبدل في الاصول العرقية الخاصة ببعض السكان ، وخاصة مايتعلق منها بالطبقة الغنية من الناس ، ليس فقط في اشكال اسمائهم ، ولكن في القاب الطبقات الاجتماعية التي اقترنت بلهجات مختلفة عن المالوف ، ولم يقتصر التبدل المذكور على الطبقات الاجتماعية بل تعداه كما يتضح من جداول توزيع الحبوب على السكان الى اسماء اشهر السنة التي حل محلها اسماء الأشهر البابلية او الآشورية ، والى الاوزان ووحدة المقياس التي بدت مختلفة عما كان مالوفا في عصر سوية البناء الرابعة .

هذا واما هذه الوقائع الاثرية فيمكن التعبيرعنها بعبارات تاريخية سياسية: اذ عادت الالاخ الى سلطة الملك /شوبيلوليوما/ الذي لم يكن يدمر شيئا حبا بالتدمير ، كما كان الغزاة الاشوريون ، وانما كان الشيء الذي اثاره هو محاولة الملك /آكيت ــ تيشوب/ معاودة الحرب معه ، فاستخلص من المحاولة المذكورة ان رجال /موكيش/ الموالين له قد لا يبقون معه اذا قامت الحرب ، واذا رايناه يصب جام غضبه على الملك /تاكو ــ اوا/ فسببه هو شك / شوبيلوليوما /هذا في الملك الذي كان عميلا له ولاعدائه : في آن واحد ، وهذا امر نحن نجهله ،لذلك كان طبيعيا ان يبادر /شوبيلوليوما/ فورا الى خلع الملك /تاكو ــ اوا/ عن عرش آلالاخ الى الابد ، وان لاتنجو عائلته من الغضب المذكور بدلالة ان قلعة آلالاخ والقصر الذي يشكل جزءا منها قد ابتلعتها النيران ، في حين لم تصب النار المعبد والبيوت الخاصة ، وهذا دليل على ان النار كانت مخصصة لحرق القلعة فقط ، لقد بنى الملك /سوبيلوليوما/ الحصن الكبير في آلالاخ (ليسكن فيه حاكم المدينة على الارجح) ليسيطر على مدينة آلالاخ ، واعاد بناء المعبد من جديد ليضفي عليه الطابع الحثي ، وجلب لكهنته الواحا خاصة من /بوغازكوي / عاصمة بلاده ، وكان يهدف من وراء ذلك ان يجعل من آلالاخ مركزاً سوريا للديانة الحثية . كما وجلب موظفين حثيين لادارة الحكم في آلالاخ وتطبيق الاسلوب الاداري الحثي في الادارة المذكورة ، ونعرف ايضا ان (سوبيلوليوما

المذكور قد نصب ابنه ملكا على حلب ، ولكننا لا نعرف ما اذا كانت منطقة / موكيش / كانت داخلة ضمن حلب ، (والارجح انها داخلة) وفي هذه الحال اصبحت منطقة / حلب ، وموكيش / بكاملها تحت سلطة الابن المذكور ، وان لم تكن الحال كذلك ، فان الامر المؤكد هو وجود حاكم حثي موثوق يعتمد عليه في كل من حلب و /بوغازكوي/ اي ان الادارة الحكومية العاملة الحثية كانت تعمل باشراف رئيس حثي .

لقد اضاعت آلالاخ استقلالها في هذا الوقت ، وبرزت دلائل الحكم الحثي فيها عندما فرض عليها حاكم حثي يدير امورها ، وهذا ما جعلنا امام حدث اثري هام ومثير الى جانب الاشياء المستوردة الى آلالاخ ، مثل الاختام التي لايجوز ان يستعملها الا الموظفون الاجانب ، والوثائق التي يكتب بها الكتاب هنا ، فلم يظهر في آلالاخ شيء جديد يدل على تبدل جري طرا على عادات الناس وتقاليدهم ، واما ابرز امور عصر سوية البناء الرابعة فكانت الاواني الفخارية المدهونة من نوع فخار /نوزو/ التي سادت الاسواق واصبحت العلامة المميزة الدالة على حياة الترف في كل بيت خاص في آلالاخ ، واما اصل هذا النوع من الاواني الفخارية فهو كما عرفنا من اصل ميتاني دخل مدينة آلالاخ في عهد السيطرة الميتانية عليها ، ثم اخذ صانعو الفخار في آلالاخ يصنعونه محليا دون ان يغيب عن الاذهان مكان صناعته اول مرة ، واما شعبيته ، وانتشاره الواسع ، فكان نوعا من تحدي شعب آلالاخ للحاكم الحثي تجلى في لحية غاز حثي رسموها على الاواني الفخارية كرمز يعبر عن التحدي والكراهية ، والى جانب انواع الفخار / النوزي/ المتداولة كان هناك نوع آخر من الاواني الخزفية ذات / الطلاء الأبيض/ وكان معروفا في جزيرة قبرص ، ولم تكن صناعته محلية ، ولكنه كان يستورد من اماكن في الشمال ، ولم يهتم به الحثيون ، واما شهرته فاخذت في التراجع امام منافسة الفخار /النوزي/ له ، وقد عثرنا على أجزاء من اناء خزفي محلي يوحي ان صانعه اراد من ورائه ان يبعث تلك الصناعة التقليدية الخزفية القديمة الجيدة التي قامت في آلالاخ قبل الف عام . واما مايتعلق بالحياة المدنية الحكومية فلا شيء يدل على حدوث ثورة فيها ، والشواهد على ذلك تكاد تكون معدومة ، وقد يكون سبب ذلك قصر مدة الحكم الحثي في آلالاخ ، واما اهم الابنية خلال الحكم المذكور فكان المعبد والحصن ، وليس هناك اي شيء آخر يذكر ، واما البيوت الخاصة من عصر سوية البناء الرابعة عامة فما

زالت يسكنها الناس ، واذا كانت قد بنيت في عهد سوية البناء الثالثة فقدبقيت ماهولة بالسكان ، وتستعمل كما يستعمل الحصن تماما . واما مابقي من الابنية فقد جعلنا نقتنع انها لم تختف طويلا ، والدليل على ذلك يمكن استنتاجه من واقعة العثور على اوان فخارية تم اكتشافها في سوية البناء الثانية ، ويعود تاريخ قسم منها الى منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وهكذا ينحصر تاريخ سوية البناء الثالثة بين اعوام /١٣٧٠و١٣٥٠/ قبل المسيح .

يعتمد التاريخ المذكور على دلائل اثرية ، وينسجم مع مانعرفه من تاريخ هذه الفترة الزمنية ، اذ مات في عام ١٣٤٧ قبل الميلاد او قريبا من هذا التاريخ الملك /سوبيلوليوما/ ، ومات ابنه خليفته بعد اسابيع ، وآل عرش هذا الملك الى ابنه (مورشيل الثاني) ، وفي هذه الاثناء ثارت المقاطعات الخاضعة للحكم الحثي ، فعاد الحثيون وغزوها من جديد ، وقضوا سبع سنوات في معارك طاحنة مستمرة حتى خضعت لهم ، وكانت حلب ، وكركميش في عداد المقاطعات الثائرة ، وكان يتولى الحكم فيهما اولاد الملك المذكور ، وحذت آلالاخ حذو حلب فثارت هي ايضا ، وعبرت عن نقمتها المستمرة ضد المحتل الحثي في استمرار استعمال الاواني الخزفية من نوع فخار / النوزو / ، وكانت ثورتها ثورة عارمة حرقت معبد سوية البناء الثانية الذي يجسد النصر الحثي في آلالاخ .

سحقت الثورة واستعاد الملك / مورشيل / حلب ، واقام عليها ابن اخيه حاكما ، وسقطت آلالاخ ايضا عندما سقطت حلب الجارة القوية . ولكن سقوط آلالاخ كان سليما اذ لم نعثر فيها على اي دليل يدل على دمار لحق بابنية المدينة نتيجة هجوم وقع عليها ، واما حرب استقلال آلالاخ فكان امرا مشكوكا فيه ، وهكذا عاد حكم حثي جديد لم يكن بالنسبة للمواطن العادي في آلالاخ سوى تبديل في الحكومة ، في حين استمرت الخدمات العامة في سيرها الطبيعي كالسابق ، ومن ذلك يمكن للمرء ان يستنتج في عصر سوية البناءالثانية ان الحكومة الجديدة في آلالاخ سلكت نهجا ديموقراطيا ، ولم تعد تتدخل في شؤون الناس الخاصة إلا بدقة ، وفي اضيق الحدود .

خلال هذه الفترة قام معبد جديد في سوية البناء الثالثة التي قام عليها المعبد السابق ، ولم يكن فيه اي طابع حثي ، اذ كان مؤلفا من طابق واحد يذكر بتلك المعابد التي تم تشييدها في زمن الاستقلال ، وقد بقيت سويات

المعبد والساحة الحثية ثابتة دون تغيير او تبديل ، ولكن لم يمض زمن طويل حتى ارتفعت الارض بالبناء واصبح رواق المعبد القديم من صلب بناء المعبد الجديد ، وجرت احاطته بسور وملؤه بارضية المعبد العليا ، وقامت في مكان الدرج الداخلي للمعبد درجات توضعت في قلب الجدار الجديد الخاص بمقدمة المعبد ، مع فتحة واسعة تقود الى دهليز يشبه المشى[1] ، وفي مواجهة هذه الدرجات قام باب ذو عمود مركزي (ولكنه زال ، ويمكن التعرف عليه من خلال آثاره الظاهرة على الواح العتبة) يقود الى غرفة الايوان الواقعة فوق درج البناء الحثي / المعبد / القديم ، ويبدو من واقع الامور في المعبد الجديد ان الطقوس الدينية قد تبدلت وان المعبد الذي كان يوقف /ينذر/ لآلهة واحدة اصبح ينذر لاكثر من آلهة ، واما المذبح الواقع في الهواء الطلق ويقابل المعبد فقد جرى ترميمه في مكانه السابق بعد ان جرى تعديل ابعاد ساحة المعبد الامامية ، التي اخترقها جدار جديد قام في الطرف الجنوبي الشرقي منها .

اننا نجهل ما آل اليه المعبد الثاني الذي شغل الطرف الشمالي الشرقي من الساحة الامامية في قصر سوية البناء الثالثة ، ولم نجد اثرا له ، ولما كان هناك معبد ملحق بسوية البناء الأولى، فان من المرجح ان يكون ثمة شبه بينه وبين معبد سوية البناء الثانية ، ومن المحتمل ايضا ان يكون هذا التوافق مماثلا لما وقع في آلالاخ فيما بعد عندما جرى حفظ تمثال الملك / ايدري – مي / الذي لم يمسه الغزاة الحثيون (او انه جرى اخفاءه عنهم) وعندما اصبح الحكم في آلالاخ اكثر / ليبرالية / في عصر سوية البناء الثانية ، اعاد السكان الورعون التمثال المذكور الى مكانه السابق ، ومن المرجح ان يكون هناك بناء ملحق قام في الطرف الشمالي الغربي من المعبد ، وجرى بناؤه في زمن متاخر ، ووقعت فيه بعض عيوب البناء التى اصطدمت بزاوية المعبد التي جزت البناء الآجري فيها بغية احتواء العيب المذكور ، ولم يبق من هذا الملحق شيء كثير يساعد على تكوين فكرة واضحة عن خواصه المميزة ، ولكنه كان بناء دينيا ، اكتشفنا في زاويته الشمالية بقايا خزانة جدارية (لم يبق منها سوى قاعدتها) جرى حفظ كنوز المعبد فيها ، وكان من بينها تمثال صغير من حجر اللازورد محلّى بالذهب ، وبدا من نموذجه وطريقة صنعه انه من صناعة بلاد ما بين النهرين ، والى جانب ذلك كان هناك اناء زجاجي ازرق فاخر يقلد الحجر اللازوردي ذا العروة المسكوبة على شكل اسد نائم ، وهناك قطع من اوان زجاجية ملونة مصنوعة من الزجاج الفينيقي ذي الميزة

(1) ومن المحتمل ان تكون هذه الغرفة قد احتوت الى يمينها درجا يقود الى سقف الإيوان المسطح ، وهناك العديد من هذه الامثلة في المعابد القديمة التي لم نكشف لها عن اثر .

العالية ، ودمية صغيرة لانسان حفرت على العظم ، واشياء مرصعة بالعظم تضمنت راسا واجنحة وذنب علبة خشبية مطلية اتخذت شكل البطة ، وهناك ايضا راس انسان مصنوع من /الفريت/ المزجج .

انه لامر طبيعي ان تتمخض فكرتي الاولى عن الاشياء الثمينة المذكورة وعن الاعتراف بان هذه الاشياء تمثل فن العصر المذكور ، ولكنها لا تصنعه بالقوة ، واما قطعة الطاسة الزجاجية الزرقاء مع عروتها المسكوبة على هيئة اسد نائم ، وحمالة الاناء الزجاجي الازرق الفاخر الذي ذكرته فقد تم العثور عليهما في سوية البناء السادسة ، ويمكن ان يكون تاريخهما هو تاريخ عصر السوية المذكورة بكل تاكيد ، ولكن يبدو من الصعب بعد اربعمائة عام القبول ان عاملا فنيا في آلالاخ استطاع ان يصنع اناء زجاجيا دقيقا مماثلا للاناء المذكور ، ومصنوعا من نفس المادة ، ومن المرجح ان يكون هذا الاناء قد جرى صنعه في عصر سوية البناء السادسة ، وتم حفظه ضمن كنوز المعبد مدة اربعة قرون ، وفي المناسبة لا بد من الاشارة الى اننا لم ندهش عندما وجدنا في كنوز كنيسة حديثة اشياء استطاع الايمان والتقوى ان يحفظها اكثر من خمسة قرون ، وهذا مايؤكد طبيعة الانسان الثابتة في مثل هذه القضايا الدينية ، فقد تم العثور في معبد في مدينة / اور / من اواخر الفترة البابلية اللاحقة على تمثال للالهة تحمل في عنقها طوقا محلّى ببعض اللآلىء ، ويعود الى عهد الملك / سارجون / اي قبل خمسة عشر قرنا . ومن المحتمل ان يكون وقوع مثل هذه الحوادث هو من الامور الفريدة النادرة ، لأن السائد عند الناس هو وجوب اعتبار تاريخ العثور على شيء ما في المعبد هو تاريخ مشكوك فيه ، وهكذا فان احتواء معبد ما على كنز ما ليس هو حتما الدليل على العصر الخاص بالمعبد ، وبقدر ما تختلف تواريخ محتويات هذه الكنوز بقدر ما يكون ذلك مفيدا لأن هذا الاختلاف يدل على استمرارية التقاليد الدينية ، والعناية المقدسة التي حفظت كنوز المعابد النذرية باستمرار .

لابد من الاشارة الى ان مبدا المحافظة هذا قد ساهم في انقاذ قسم كبير من الزخرفة الهندسية الخاصة بمعبد سوية البناء الثانية سليمة لم تتبدل ، واما اطلال المعبد التي كشفنا عنها فكانت تمثل الصورة المخيبة للآمال التي قدمتها عن البناء الأصلي المذكور ، اننا لم نكشف الا عن اساسات المعبد ، او بالأحرى عن اساسات جدرانه ، وعندما ظهرت مادة البناء مؤلفة من اللبنات بدا شكل

هذه اللبنات سينا الى ابعد الحدود ، وهذا ما يجب أن يذكرنا ان اللبنات كانت تؤلف نواة المادة البنائية ، ومهما كان نوع زخرفة بناء المعبد الاصلي ، فكانت فعلا هي المطبقة ، واما وجوه جدرانه فكان يغطيها الخزف (وقد عثرنا على شاهد في قصر الملك / ياريم ليم / يؤكد ذلك ، او تغطيها الواح خشب الارز التي بليت ، والى جانب هذه الزخرفة كانت هناك انواع اخرى من الزخرفة المنقولة ، وتنتقل خاصة اذا سقطت المدينة والمعبد بيد العدو ، او يتم نقلها بشكل روحاني الى مشروع بناء معبد جديد اعد ليحل محل معبد قديم ، واما سوية البناء الاولى فقد تم تزيينه في مرحلته الاخيرة بتماثيل على شكل الأسد نحتت من البازلت كانت جميعها محطمة وناقصة ، كما زين المعبد باشياء اخرى اصابها عطب شديد ، وهي على الرغم من شح مادتها فقد اعيد استخدامها ، ولما كانت قطعة من هذه الاسود ، او الاشياء الاخرى قد تم الكشف عنها في اساسات اقدم مراحل معبد سوية البناء الاولى فمن البداهة ان الاسود تعود بتاريخها على الاقل الى عصر سوية البناء الثانية ، او الى عصر اسبق ، وفي مثل هذه الحال يكون جميعها قد استخدم في معبد سوية البناء الثانية ، وقد صنعت الاسود المذكورة من حجارة ذات زوايا ، وانتصبت في زوايا المعبد ، وجرى نحت جسم الأسد على وجه الجدار الجانبي من المعبد ببروز خفيف ، في حين نحت الراس والرجلان الاماميتان على شكل دائرة محدبة برزت على وجه المعبد اللوح /١٨/ . ومن المرجح ان تكون الاسود المذكورة هي دعامات ابواب المعبد ، من الحجارة ذات الزوايا . ومكانها الطبيعي هو باب الدخول الى المعبد الذي يكون محروسا ، كذلك من المرجح ايضا ان تكون مقدمة المعبد قد زينت بأحجار منحوتة ناتئة تشبه رخامات توضاليا Tuthaliya التي سأعد وصفا لاحقا بها عند حديثي عن معبد سوية البناء الأولى ، وبعد أن تم ترميم الأطلال التي كشفنا عنها قدر المستطاع تحولت واستعادت بعض رونقها ، واما الاسود المذكورة فانها علاوة على اهميتها كابنية شاهدة على تاريخ الفن ، فانها ، وهي التي انتصبت على الأبواب خلال الفترة الزمنية / السورية ـ الحثية / ، فانها مثابة اتفاق طبيعي تمثلت فيه تلك الظاهرة الفنية في سورية الشمالية .

يعود تاريخ معظم الاسود هذه إلى الفترة الواقعة بين / القرن العاشر والقرن السابع / قبل الميلاد ، وهناك نموذج وحيد من هذه التماثيل هو اقدمها(١) وكان قائما على باب مدينة كركميش الجنوبي ، ولكنه كان معطوبا ،

(١) هذا هو رايي ، ولكن السلطات ليست من رايي .

وهكذا توفرت لدينا الآن مجموعة من تماثيل الاسود المنحوتة لا يمكن ان يكون تاريخها لاحقا لتاريخ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ومن المفيد ان نعرف مدى الاختلاف فيما بينها من حيث الاسلوب ، واما النحاتون في هذه الحقبة الزمنية فلم يكونوا قد توصلوا بعد الى اتفاق فيما بينهم اذ كانوا ما زالوا في طور التجربة النحتية ، وعلى الرغم من أن عملهم كان واحدا فقد بقيت اعمالهم اعمالا شخصية /فردية/ وليست تكرارا لنموذج معين في النحت ، واما تماثيل الاسود المذكورة التي تم العثور عليها في آلالاخ / قرية العطشانة / فكانت البشير الاول لجميع تماثيل الاسود السورية الحثية ، وفي هذه المناسبة يمكن ان نذهب بعيدا ، ونقول ان جميع تماثيل الاسود والثيران ذات الوجوه الانسانية التي كانت تحرس قصور الملوك الآشوريين قد نبعت قطعا من المدرسة الفنية السورية التي يمكن لنا ان نكشف عن بداياتها في منحوتات معبد سوية البناء الثانية في آلالاخ .

استناداً الى ما تقدم ذكره نقول ان الحثيين بنوا الحصن الكبير في آلالاخ في عصر سوية البناء الثالثة وأعادوا استخدامه من جديد في عصر سوية البناء الثانية .

يجب ان نفهم من ذلك أن الجدران الكثيفة الخاصة بالحصن المذكور الذي اقامه الملك /شوبيلوليوما/ لم تعانِ من اي خلل اثناء الفترة الزمنية القصيرة التي تعود الى سوية البناء الثالثة ، واستخدمه السكان المتعاقبون بكل ثقة وطمأنينة نظرا لقوته ، وقد وجدنا فيه شواهد تدل على قيام بعض التحسينات القليلة جرى تنفيذها في عصر البناء الثانية ، وكانت محدودة تتناسب مع الفترة الزمنية التي لاتتعدى قرنا واحدا ، وباستثناء سقائف الغرف التي حوت جرارا كبيرة للمؤونة فاننا لم نعثر على اي دليل يساعد على رفدنا بمعلومات تتعلق بالاعمال التي كانت تتم في غرف الحصن المذكور ، ولا بمعلومات تاريخية مفصلة ، وكل مانعرفه هو ان الحصن ، / بما فيه مقر الحكومة ، والملك على الارجح/ استمر في الخدمة زمنا طويلا .

واما سور مدينة آلالاخ فجرى ترميمه كاملا ، وفي عام ١٩٣٧ عندما كنا بصدد الكشف عن البيوت الخاصة بالسويات العليا وصلنا الى القسم الداخلي من سور المدينة من عهد سوية البناء الثانية ، وبعد ان تابعنا سيره على امتداد بلغ ٤٥ مترا فتحنا فيه مقطعا وفتحنا مثله في المنحدر الشديد الخاص ببداية التل الذي ينتهي الى سهل المدينة ، ولما كان مثل هذا المنحدر قائما على الدوام

فيكون والحال هذه في مواجهة مستمرة مع التقلبات الجوية الدائمة التي تجعله اقرع عاريا خلال ثلاثة آلاف عام ، وان قسما كبيرا من خط الدفاع عن المدينة خلال هذه المدة الطويلة قد انزلق واختفى ، بعد ان ترك اثرا يمكن بواسطته تحديد اوصاف الخط المذكور .

واما تحصينات سوية البناء الثالثة فقامت على جدار مضاعف من اللبنات ارتفع بدءا من حافة المنحدر الشديد المصنوع من التراب والرماد المغطى بتربة غضارية كثيفة ، واما السكان في عهد سوية البناء الثانية فحطموا هذا السور (ولم يتركوا من قواعده سوى خمس قواعد استمرت باقية تحت سوية ارض المدينة الجديدة) ، وكوّموا آجره المحطم وثبتوه على وجه المنحدر القديم بغية توسيع قاعدته تسهيلا لعملهم الجديد ، اذ كان عليهم تغطية حطام الحجارة وغيرها المنضد بغطاء من التربة الغضارية ، او بالآجريات التي كانت هي الافضل، ولكن هذه التغطية اختفت منذ امد بعيد ، ولم نجد منها سوى بقية من نواتها السميكة التي تجعلنا نخمن كيف نفذت التغطية المذكورة لاول مرة ، وقد اقاموا على هذا السور الموسع ليس سورا واحدا بل ثلاثة اسوار متوازية . واما اعمق جدار فيها ، فكانت سعته /٥/ امتار ، وعمارته لبنات تستند على معادلة لقمة جدار سوية البناء الثالثة ، ثم تظهر ارض بحصية مفروزة في تربة غضارية يجب ان تكون بمثابة ارض المشى الواقع بين الاسوار المذكورة بعرض مقداره ٠٥را متر ، ثم يجيء السور الثاني ذو ثخانة قدرها ٣ امتار ، وقد استند قسمه الداخلي فقط على ارضية السور القديم ، ولما كان ذلك لايوفر اساسات كافية، فقد عمد البناؤون الى حفر خندق يواجه النصف الخارجي من سور عزموا على اقامته وملئه بتربة غضارية كثيفة بغية تكوين حصيرة من اللبن . لقد كان المكان اجرد اقرع ولم نجد فيه سوى آجرتين كانتا في مقابل طرف المشى المفروش بالحصى ، وعلى بعد قدره /٢٠را/ م . (وذلك على ضوء ملاحسته لنا اساسات التربة الغضارية) قام خندق آخر جرى ملؤه بتربة غضارية كونت اساسات السور الثالث من اصل الاسوار الثلاثة التي تقدم ذكرها ، ولما كان الجزء الاكبر من الخندق المذكور قد اختفى فاننا لم نستطع والحال هذه ان نحدد سماكة السور ، ومع هذا فاننا نستطيع القول ان تحصينات المدينة في عصر سوية البناء الثانية كانت اقوى واهم مما كانت في اي عصر اخر ، واما السور ذو المنحدر الشديد فكان من الاسوار التقليدية ، واما الاسوار الثلاثة

التي ذكرناها بسعتها البالغة اكثر من ١٢ مترا فكانت فريدة من نوعها ليس لها سابقة .

من دراسة جدار السور والبيوت الخاصة في مدينة الالاخ يتاكد المرء من ان هذا العمل الكبير الخاص بتحصينات المدينة يرقى بتاريخه الى تاريخ اسبق من عصر سوية البناء الثانية ، او الى بدايته على الارجح . واما سور سوية البناء الثالثة ، والحصن الذي بناه الملك /شوبلوليوما/ فقد بقيا صامدين ، واذا كانت ثورة الالاخ ضد الحثيين التي تمثل مرحلة الانتقال الى سوية البناء الثانية قد انتهت ، واذا كانت الشواهد كما اعتقد تدل على عودة مدينة الالاخ سلما الى الحثيين بعد الثورة عليهم ، وليس عنوة واقتدارا ، فان كل ذلك يدل على ان سور /شوبيلوليوما/ الملك بقي طيلة الزمن المذكور سليما وكافيا للدفاع عن المدينة ، كذلك ومن المحتمل جدا ان يكون حاكم الالاخ الذي عينه الملك /مورسيل/ كان لايثق بولاء سكان سورية الشمالية له ، فقرر ان يجعل من الالاخ حصنا منيعا ذروته يقف سدا منيعا في وجه كل ثورة عامة ، فاذا كانت الحال كذلك ، فيصبح للحاكم كامل الحق فيما اتخذ خاصة وفكرة الثورة ضد الحاكم في آلالاخ لم تخمد ، ومع هذا فاننا لانملك اي مستند عن الاحداث التاريخية الخاصة بهذا العصر تجعل امر التعجيل بتحصينات المدينة من الامور الفورية العاجلة .

يبدو ان الحال في آلالاخ في هذا العصر كانت هادئة ومزدهرة ، واما البيوت الخاصة التي كشفنا عنها (اعرف انها كانت واقعة في احسن حي سكني) فكانت واسعة وجيدة البناء ، وللعديد منها ساحة ، وتنفتح غرفها على ساحة صغيرة وسطى . واما سماكة جدران هذه البيوت وكذلك سلالمها فتدل على ان ارتفاع جميعها كان لايتعدى في جميع الاحوال ارتفاع طابقين ، واما النوع الآخر من البيوت فأمتاز لان باب الدخول الرئيسي فيها كان يقوم على جانبيه عمودان كبيران من اللبن ، واما حجرات دورات المياه فيها والارض المفروشة بالاسمنت والمطابخ ذات المواقد والافران فكانت معروفة الهوية ، واما باقي الغرف فيها فكان من الصعب معرفة لماذا خصصت ، وبصورة عامة فان الجدران التي لم يبق منها سوى الاطلال كان ارتفاعها لايزيد عن ٣٠ سنتمترا عن سطح الارض ، وكثيرا ماكان التعرف عليها صعبا لولا اساساتها ، وفي عصر هذه البيوت طرات تبديلات اجتماعية : اذ اصبحت عادة دفن الموتى في ارضية

بيوت السكن اكثر انتشارا ، فقد كانت القبور تقوم احيانا تحت ارضية الغرف السكنية (ويبدو انه لم يكن هناك ضابط يضبط عملية اختيار احدى هذه الغرف لتكون ارضيتها قبرا) وتقوم احيانا في ساحة سماوية واقعة وراء البيت، واما تخصيص مثل هذه الساحات للمقابر فلم يكن امرا عاما ، ولكن هذه الساحات لم تكن قطعا نادرة ، وتتجلى فائدتها الكبرى في انها حوت على الابار المخصصة للفضلات التي كثرت في هذا العصر اكثر من اي عصر آخر ، وقد سنحت لي الفرصة كثيرا ان اتحدث (عن الابار المخصصة للردميات، ولكن بعبارات موجزة ، وليس بعبارات مفصلة دقيقة الوصف) . واما عمق الابار المذكورة فتراوح بين ٥ر٤ م و ٦ امتار ، وكانت فقط مخصصة لاحتواء الفضلات وغيرها كما كانت عليه الابار الخاصة بمعبد سوية البناء الخامسة ، والتي عثرنا فيها على النذور التي طرحها المعبد ، ولكن هذه الابار كانت احيانا آنية لتصريف المياه ، وبذلك تستطيع ان تحتوي على قطع فخارية تبقى قليلة ، واما ابار التصريف هذه فكانت غالبا خاصة ببيوت قائمة في وسط المدينة ، في حين كانت الابنية القريبة من اسوار المدينة تطرح فضلاتها ومياهها المالحة الى جانب سور المدينة ، واما وجود بئرين او ثلاثة ابار من ابار التصريف المذكورة (من نوع او آخر) قائمة خلف ساحة بيت ما فان ذلك لا يشكل عقبة تمنع المرء ان يدفن موتاه في هذه الساحة خاصة وعملية الدفن هذه كانت لا تتطلب كبير عناء . واما محتويات القبور وآبار الفضلات من الاواني الفخارية وغيرها فكانت ذات قيمة عالية الثمن بسبب ندرتها اكثر من قيمة تلك الاواني المطبخية الكاملة التي يمكن العثور عليها في بيوت جرداء مثل بيوت سوية البناء الثانية ، لقد قدمت القبور والآبار المذكورة نماذج كاملة من الاواني الفخارية ، في حين قدمت البيوت كمية هامة من الكسر الفخارية ،وقدمت الدلائل التي تمكننا من تحديد تاريخ هذه الكسر .

واما الخزف الابيض الذي كان متداولا كثيرا في عصر سوية البناء الرابعة فقد اختفى الآن من التداول ، ولم يبق منه حتى كسرة يمكن ان نعزو تاريخها بلا تردد الى عصر سوية البناء الثانية ، في حين بدا من الممكن ان هناك قطعة او قطعتين من الخزف المذكور تعود الى سوية البناء المذكور ، لقد عمل الخزف من نوع فخار /نوزو/ على طرد الخزف الابيض من التداول ، وحل محله ، ومن المحتمل ان يكون رواج استعماله القسري كان نوعا من تحدي السكان في الالاخ

السلطة الاجنبية الحاكمة ، لقد اصبح خزف نوزو هو المادة الكمالية الاولى التي يهتم بصناعتها العمال الحاذقون المحليون ، في حين اصبحت اهتماماتهم السياسية ترد في المقام الثاني ، ولابد من الاشارة الى ان الخزف المذكور غير مدين في شكله المميز الى اي من الخزف الحوري او الميتاني ، وقد اوضحت كيف نشا هذا الخزف الساحر في الشرق ، وشجع الملوك الميتانيون تداوله على مايبدو ، وتم تصديره ، او اعيدت صناعته في جميع البلاد الخاضعة للنفوذ الميتاني بدءا من مدينة /نوزو/ الواقعة الى شرق نهر دجلة وصولا الى الالاخ القريبة من ساحل البحر الابيض المتوسط ، واما الاواني الخزفية ذات الشكل الواحد ، والزينة الواحدة فقد عم استعمالها جميع هذه البلاد الواسعة ، واما اسلوب صناعتها فكان واحدا الى حد لا يستطيع المرء كما اعتقد ان يميز استنادا الى الشواهد الداخلية الخاصة بهذه الاواني الخزفية بين قطعة خزفية تم العثور عليها ، او اخرى مصنوعة تعود في اصلها الى مدينة /نوزو/ الواقعة على نهر الخابور ، او الى حوض نهر العاصي الاسفل ، واما في عصر سوية البناء الثانية في الالاخ فقد عثرنا على مجموعة من الكؤوس باشكال واحدة وصناعة واحدة مماثلة للاواني /النوزية/ العادية ، ولكن زينتها لم تكن شرقية ، ولكنها مستقاة من الفن الكريتي اللوح /١٦٠ آ/ ، لقد كانت الزينة الواحدة اساسية في جميع الاواني الخزفية في هذا العصر مع تغييرات طفيفة ، وهي تشبه الزينة التي نراها على آنية خاصة /بالقصر/ القائم في مدينة كنوسوس ، واما الصعوبة هنا فتتجلى في ان تاريخ آنية القصر المذكور هو اقدم بمئة وخمسين عاما عن آنية الالاخ ، واذا كان صانع الخزف في الالاخ قد استعمل في صناعته بعض الاشكال الكريتية المختلفة ، فان ذلك يعقد الامر ويجعل من المتعذر علينا ان نتصور كيف يمكن سد هذا الفاصل التاريخي البالغ /٥٠٠/ عام خاصة وان كلا من مدينتي كنوسوس والالاخ لم تصنع احداهما خزفا وسيطا خلال هذه المدة ، واما من حيث الواقع فاننا نعرف ان الزينة القائمة على الاواني الخزفية قد غابت بعد عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، ولكن التماثل العام الخاص بجميع نماذج الاواني الخزفية في الالاخ يوحي بانها جميعا نابعة من مصدر واحد . وفي المناسبة فانني لا استطيع الا ان اتصور ان اناء كريتيا جميلا قد جرى حفظه في الالاخ ، وبين كنوز المعبد على الأرجح او ضمن مجموعة خاصة ، وان صانع الفخار في الالاخ في عصر سوية البناء الثانية قد شاهد الاناء المذكور الجذاب ، وتأثر بزينته ، فرسمها على الآنية التي كان يصنعها معتقدا ان

سحرها /الايجي/ نسبة الى بحر ايجه في هذا الزمن سيجعل تجارتها رائجة ، ولم يكن الصانع المذكور مخطئا ، اذ كان الاناء المذكور هو النموذج الوحيد الجاهز الذي يمكن انتاجه في مجموعات ، وكان واضحا ان كل فرد في الالاخ ممن يعجب بنفسه كان يسعى جاهدا الى اقتناء مثل هذا الاناء ، واما في البيوت الغنية فعثرنا على اطقم من صحون المائدة اطلقنا عليها اسم / اوان قرية المطشانة الخزفية/ لان نوعها كان خاصا بمنطقة العمق .

هذا واما ان الفن الخزفي الايجي اصبح شعبيا : فيؤيد ذلك واقعة استيراد الاواني الخزفية الميسانية الى الالاخ انظر الى اللوح /١٦.ب/ ، في حين لم يكن البضائع الميسانية مستعمرة اي مركز تجاري في الالاخ في ذلك الوقت كما كان لها في اوغاريت الواقعة الى الجنوب من الالاخ ، وتشكل مرفا على ساحل البحر الابيض المتوسط الشرقي ، بينما كانت الالاخ واقعة في الداخل ؛ ومن المحتمل ان تكون قد قامت البضائع المذكورة مثل هذه المستعمرة في منطقة الميناء عند مصب نهر العاصي على البحر الابيض المذكور ، وتؤلف منطقة الميناء هذه مرفا الالاخ الطبيعي على البحر ، وهو الذي يستقبل البضاعة الواردة الى الالاخ من حوض بحر ايجه ، واما رجال التجارة اليونان فلم يكن لهم اية مهمة تجارية داخل البلاد ، اذ تنتهي مهمتهم عند افراغ حمولة سفنهم في مرفا الميناء لتتولى وسائط النقل البرية الاسيوية نقلها الى اليابسة الى الداخل، وفي المناسبة لابد من الاشارة الى ان الالاخ لم تكن مركزا للتجارة الايجية ،ولكن الالاخ كانت تعرف فوائد التجارة ، وماتجره من ارباح طائلة : فتولت عملية الوساطة التجارية بين الشرق والغرب ، ونالت نصيبها من هذه الارباح ، سواء من تجارة بحر ايجه ، او من مواد تجارية صادرة من بلاد مابين النهرين وبحيرة (وان) بالقرب من القوقاز الى اليونان عبر الالاخ وصولا الى مرفا الميناء على البحر الابيض المتوسط ، واما الاواني الميسانية فكانت لاتزال من المواد التي تدل على الفخامة،اما اجمل ما عثرنا عليه من هذه الاواني فكان اناء كبيرا ذا حلقتين مزينتين بواسطة الدهان بحرية من صناعة قبرصية،وتم حفظه في المعبد. ومن المسلم به ان التجارة الميسانية كانت عاجزة عن التعبير (عن اسلوب اي طريقة الالاخ) في صناعة الخزف ، ويمثل هذا الاسلوب الفن الكريتي القديم الذي دمره الميسانيون ولكن التجارة ، المذكورة لم تكن الا بمثابة بعث لتجارة ما وراء البحار التي انقطعت بعد ان غزا الميسانيون مدينة كنوسوس . لقد اشرت سابقا الى العلاقة القائمة بين فن العمارة ، والخزف في الالاخ من عصر سوية البناء

السابعة من جهة ، وبين ما يماثل ذلك في جزيرة كريت من جهة ثانية ، وقد ايد هذا الكلام ماتم اكتشافه صدفة في سوية البناء الثانية في الالاخ ، واصبح يقينا واقعا في امتداد احد بيوت سوية البناء الثانية (البيت 39 C)الذي تضمن كثيرا من الاواني الفخارية ، وتالف من غرف كثيرة طرازها من طراز غرف قرية / المطشانة / ، وقامت في الامتداد المذكور بئر للفضلات معاصرة لبناء البيت المذكور ، وكان علينا ان نبرهن ان قطعة من إناء فخاري اكتشفناها في قرية المطشانة تتطابق فعلا مع قطعة اناء آخر وجدناها في قلب البيت المذكور ، واما في قلب البئر فكشفنا عن مصباح من الحجارة من طراز مصابيح /القصر/ الكريتي ، انه تاج ، او طست قنديل ذي عمود حفر على قطعة جميلة من المرمر الاحمر انظر الى اللوح /١٧ب/ وقد قسم القنديل الى اثنتي عشرة تربيعة صغيرة تتصل فيما بينها وتتصل بتربيعة مركزية اكبر ، ويمكن لها ان تستقبل اثني عشر مثقبا ، واما اطراف التربيعات وكذلك الشكل البارز (من الوجه الخارجي للقنديل) فقدما مجتمعين ذلك الرسم الكريتي المفصص المميز ، واما شكل القنديل في مجموعه،وخاصة طرفيه المتدليين البارزين فكان لهما مايماثلهما في قناديل مدينة /كنوسوس/ ، هذه القناديل التي صنعت من نفس مادة القنديل المذكور ، ومن الطبيعي عندما اكتشفنا هذا القنديل ان اقول اننا امام مادة مستوردة مباشرة من جزيرة كريت ، وفي مقابل هذا الامر فان المرمر الاحمر الذي صنع منه قنديلنا ، والكثير من قناديل كنوسوس غير متوفر قطعا في البلاد اليونانية ، وانما يوجد في آسيا الصغرى،ويطلق عليه اسم المرمر الليدي، وعلاوة على ماتقدم يبدو ان القنديل قد تم تصديره الى الخارج وهو غير منحوت ، وهذا كلام يصعب تصديقه خاصة والقنديل موصوف بانه جميل جدا ، لذلك لايعقل والحال هذه ان يكون النحات الكريتي الذي نحته لم يوله كامل اهتمامه وعنايته ، وارسله ناقصا الى الشرق ليباع هناك . وفي المناسبة لابد من الاشارة ونحن في صدد الحديث عن القناديل الكريتية ان يكون بعضها مستوردا من البلاد الاسيوية وليس من جزيرة كريت ، وان يكون نموذجها هو في الاصل نموذج نابع من القارة الاسيوية ، وفي جميع الاحوال اننا امام عمل نموذجي لفن كريتي يجب ان يرقى تاريخه بالمقارنة الى ماقبل عام ١٤٠٠ قبل الميلاد ، لقد تم حفظ القنديل المذكور في الالاخ حتى اصيب بعطب فالقي به بين الاطلال خلال الفترة الواقعة بين اعوام ١٣٥٠ و ١٢٧٥ قبل الميلاد ، وعلى الارجح في نهاية هذه الفترة وليس في بدايتها ، لذلك لايكون من الحكمة والحال

هذه الى تفترض ان اناء من الصلصال المدهون قد عاش طويلا واستخدم كنموذج لصانع الفخار في الالاخ .

انا كنت متصلب الرأي فيما يتعلق بخزف قرية العطشانة / الالاخ / فذلك لاسباب ، اذ عندما تم العثور على النماذج الاولية لهذا الخزف في الالاخ اعترف الجميع فورا بأن زينتها هي زينة كريتية ، وكان في عداد ذلك السيد / آرثور ايفانس / Arthur Evans الذي نشر النماذج المذكورة في مجلة الدراسات الهيللينية ـ لعام ١٩٣٥ ، ولما كان تاريخ سوية البناء الثانية في الالاخ مازال مجهولا ، فلم تبرز /تظهر/ الصعوبة التاريخية ، وبهذا والحال هذه ان النماذج المذكورة او الرسومات التي تم الكشف عنها في الالاخ كانت اكثر او اقل معاصرة للرسومات الاصلية في كنوسوس ، وعندما تم تحديد تاريخ سوية البناء الثانية المذكورة احدث ذلك شرخا واسعا في التاريخ . اذ اصبحنا في مواجهة واحدة من المواضيع الكثيرة التي تبرز بين الحينة والحينة امام العالم الاثري ، وخاصة تلك المتعلقة بالاحداث ذات التفكير المنطقي المتناقض الذي يتطلب المعالجة والتصحيح . واما الحل فيجب ان ينطلق بالتماس نظرية قد تكون مرفوضة بصورة عامة ، ولا يمكن البرهنة على صحتها ، ولكن يجب الا تصطدم بقرينة الاحتمالات ، ويبدو ان فخار قرية العطشانة /الالاخ/ قد قدم حلا مرضيا لمثل هذه الحالات ، وهو وجوب اتباع الطريقة الاثرية في حلها . واما تعميم استعمال الفخار في الالاخ الذي اوجدته الاواني الفخارية من /نوزو/ والالاخ في بيوت الطبقة الراقية ، فان توزيع كسر هذه الاواني كان مثيرا ، اذ حوى البيت رقم 37.A من الصورة رقم ٢٤ على كسر كثيرة في غرفة الدخول ، وعلى كسر واحدة في مكان آخر ، واما البيت رقم /37C/ فتضمن في احدى غرفه رقم /2/ على كسر بحالة جيدة ، وعلى كسر كثيرة في غرفة الدخول ذات الرقم /1/ . وجميع هذه الكسر كانت متجمعة في القسم المركزي من الغرفة التي تقابل الباب المؤدي الى الشارع ، واما القطع الكبيرة من هذه الكسر التي وجدت في هذه المساحة ، وجد مثلها في الشارع الذي يواجه الابواب والبيتين /A, C/ ومابينهما ، وفي هذا القسم من الشارع وخاصة في الغرفتين رقم /1, 2/ من البيت رقم / 37.C / وجدنا كمية من رؤوس السهام وفي الغرفة رقم /5/ منه الغرفة الضيقة وجدنا خزانة ملأى بكرات صلصالية المقلاع ، وكرات من الباليست Baliste ، وبدت وكأنها ترسانة سلاح ، واما جدران البيوت فبدت عليها آثار الحريق ، ومن الواضح ان سكان الالاخ في هذا الحي من المدينة قد فشلوا في ثورتهم ، وان البيوت نهبت وحرقت ،

ولم يكن ذلك بسبب حادث عارض ، وانما بسبب اعمال السلب والنهب اذ جمعت الاواني الفخارية من نوع نوزو والالاخ وحطمت في قلب الشارع ، ويجب ان نشير هنا الى ان معبد سوية البناء الثانية في هذا الظرف لم يحرق ، في حين لا يجد المرء في سوية البناء الاولى اي اوان فخارية من / نوزو / و / الالاخ / ، وفي تقريري الاولي عن موسم التنقيب في الالاخ اشرت الى ان هناك دلائل تدل على قيام ثورة داخلية ضد فئة متعالية على الناس ، وهي على الارجح الطبقة الحاكمة الغنية التي كانت تفضل استعمال المواد غالية الثمن التي بدورها اختفت عندما اطيح بالطبقة المذكورة ، وهكذا يصبح من الممكن ان نضم هذا الحدث التاريخي / الثورة / الى وقائع خاصة بالتاريخ السياسي ، واما الآن وبعد ان توفر لدينا من المعلومات ما لم يكن متوفرا عندما اعددت التقرير الخاص بنهاية عصر السوية الثانية الذي سأتحدث عنه لاحقا ، فانني اقول ان عصر سوية البناء الاولى لا يمكن ان يبدأ إلا حوالي عام /١٢٧٠/ قبل المسيح .

بعد فترة هدوء وسلام طويلة سادت منطقة الالاخ استطاع الحثيون خلالها ان يعززوا مراكزهم في سورية ، اهتم رمسيس الثاني فرعون مصر اثناءها ببعث مملكة الفراعنة قوية تستطيع السيطرة على الغير كما كانت في عهد السلالة الثامنة عشرة . فتقدم بجيشه في السنة الرابعة من حكمه حتى بلغ نهر الكلب الواقع الى الشمال من بيروت ليجد هناك بناء نحته رمسيس الاول في قلب الصخر ، وفي السنة التالية (اي في عام ١٢٨٦ قبل المسيح قاد حملة عسكرية كبيرة ضد مدينة / قادش / ، وفي هذه المعركة قاتل ملك حلب الى جانب الحثيين[1] وكذلك مملكة موكيش الصغيرة ، وبعد مضي اربع او خمس سنوات عندما اخضع رمسيس الثاني فلسطين الشمالية لحكمه تقدم بجيشه نحو سورية فثارت حلب على الحثيين ، وعقدت معاهدة صلح مع مصر ، ونحن نعرف جيدا ان حلب لم تكن هي وحدها الثائرة ، ومع انه لم يرد ذكر لمملكة موكيش في هذه الثورة ، (ويبدو ان النص المسماري الخاص بالثورة قد ورد ناقصا) إلا انه من المؤكد انها انضمت الى صفوف الثائرين ضد الحثيين ، وعندما تولى الملك الحثي الكبير/مواتالي Muwattalli الحكم سحق الثورة المذكورة ، فوقعت حلب وحلفاؤها

(1) في منحوتات رمسيس الكبيرة التي تزين معبد ابو سنبل يبدو الاسيويون الهاربون من معركة قادش وهم يجتازون نهر العاصي سباحة ، ويبدو جنود ملك حلب وهم يحملونه ورأسه متدلى الى الاسفل ليتمكن من اخراج الماء الذي بلعه اثناء عبوره النهر المذكور .

قبل عام /١٢٨٠/ ، قبل المسيح ، وبعد موت مواتالي معاهدة مع الحثيين اعترفت لهم بالسيطرة الحثية ، وفي عام /١٢٧٢/ قبل الميلاد عقد الملك الحثي الجديد حاتوسيل Hattusil مع فرعون مصر رمسيس الثاني /المعاهدة الكبيرة السلام والاخوة/حققت السلام بينهما ، لم يتحدث النص المصري الخاص بالمعاهدة المذكورة عن الحدود بين البلدين في حين أبان نص / بوغازكوي / أن الملك الحثي يستمر في سلطته على بلاد الآموريين / مملكة آمور Amor / الواقعة في منطقة نهر العاصي العليا حيث تبقى فيه آلالاخ خاضعة للسيطرة الحثية .

بعد مرور بعض الوقت على معركة قادش ، بدلت /موكيش/ موقفها من الحرب بين الحثيين والمصريين ، وقد استطعنا ان نتاكد انه كان في آلالاخ في عصر السلالة الثانية عشرة المصرية حزب موال لمصر ، اصلح من نفسه وعزز موقفه عندما نصب تحوتمس الثالث الملك تاكو الموالي له على عرش موكيش ونحاسي ؛ وفي هذه الفترة كان جميع الملوك من سلالة نيقميبا على استعداد للاعتراف ولو اسميا بهؤلاء الحكام الموالين لفرعون مصر ، واما في ظل سيادة الحثيين على آلالاخ فان العائلة المالكة القديمة فيها قد اعتزلت الحكم ، وليس هناك مبرر للقول انها ابعدت او اقصيت عن الحكم ، ومن المرجح جدا ان تكون العائلة المذكورة قد جعلت من نفسها جزءا من الطبقة الارستقراطية في المدينة ، والتف حولها الكثيرون من الاتباع المرموقين ، واما الثورة التي قامت ضد الحثيين في آلالاخ فمن الطبيعي أن تكون على راسها العائلات الكبيرة التي حرمتها الحكومة من امتيازاتها واما البيوت التي استخرجنا منها الشواهد ، فكانت البيوت الواسطة الواقعة في افضل حي سكني من المدينة ، وخاصة تلك البيوت التي تملكها الطبقة الارستقراطية المحلية في آلالاخ ، واما الوقائع التي حصلنا عليها من التنقيبات الجارية فبدت اكثر توافقا مع الراي القائل ان طبقة النبلاء القديمة في آلالاخ قد انضمت الى الحزب الوطني في حلب ، وفي الوقت الذي شعرت فيه الحكومة الحثية بضعفها بعد هزيمة جيوشها في معركة قادش اجرت مفاوضات مع مصر ، وان الطبقة الارستقراطية هذه هي التي حرّضت على الثورة ضد الحثيين ، هـذه الثورة الثورة التي لم تكن من راي اكثرية السكان في آلالاخ ، ولكن الملك الحثي / مواتالي / تمكن من القضاء على الثورة المذكورة بسرعة .

هذا وسواء كان الحثّيون ، او اتباعهم في مدينة آلالاخ هم الذين انتقموا من محرضي الثورة هذه ، فان عصر سورية البناء الثانية في هذه الحال قد انتهى خلال الفترة الواقعة بين / ١٢٨٥ و ١٢٨٣ / قبل المسيح .

الفصل التاسع

نهاية آلالاخ

سوية البناء الأولى

عندما بدانا التنقيب في مدينة آلالاخ كان انطباعنا الاول عن سوية البناء الاولى انها تمثل عصرا هزيلا استمر بعض الزمن ، ومثل عهد انحطاط المدينة، وبالرغم من ذلك كنا مدفوعين شيئا فشيئا الى تصحيح هذا الراي ، وكان هناك بعض من مواقع بيوت تمثل طبقتين متميزتين من الابنية، في حين كان هناك ايضا بعض من بيوت خضعت لاصلاحات وتعديلات تطلبت فترة زمنية هامة . ويجب ان يعرف المرء ان معبد المدينة قد اعيد بناؤه في بداية العصر المذكور ، ثم أعيد بناؤه وفق اسس مختلفة ، ثم اهمل نهائيا ليتهدم خلال فترة هي في الواقع فترة الانحطاط ، ولما كان واضحا ان آلالاخ تهدمت في عام /١١٩٤/ قبل الميلاد ، فقد اعتبرت بداية القرن الرابع عشر قبل الميلاد هي نهاية عصر سوية البناء الأولى، ويؤيد ذلك الفخار المستورد من الخارج ، وخلال العصر المذكور شاع استعمال الأواني الفخارية الميسانية في آلالاخ انظر الى /اللوح١٦ب/، واصبح استعمالها عاما لم يخل منها سكن من اية طبقة اجتماعية ، وحتى القبور لم تخل منها — وبالاستناد الى ما نعرفه عن تاريخ هذه الأواني فان من المستحيل ان نعزو تاريخ جميعها الى القسم الاخير من القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ومهما كان الامر ، فاننا ملزمون بالاستناد الى الشواهد التي تم العثور عليها في آلالاخ ان نعدّل من قناعة الكثيرين من الاثريين الكلاسيكيين المتضمنة ان الأواني المذكورة قد توقفت صناعتها في عام /١٢٣٥/ قبل الميلاد ، اذ انّ من المؤكد ان هذه الأواني بقيت شائعة الاستعمال حتى سقوط مدينة آلالاخ في تاريخ عام /١١٩٤/ قبل المسيح ،

وان صناعتها والحال هذا يجب ان تبقى قائمة حتى هذا التاريخ ، لان الاواني المذكورة كانت تستورد الى الالاخ ولا تنتج محليا . ولكن بعضا منها كان تاريخه اسبق من عام /١١٩٤/ قبل الميلاد ، وان العثور عليه في عصر سوية البناء الاولى يتطلب تفسيرا لهذا الوجود الذي لا يبتعد كثيرا عن نهاية العصر الرابع عشر قبل الميلاد .

إن غياب الاواني الفخارية من نوع / فخار نوزو / و / العطشانة / من التداول في الالاخ ، وحلول الاواني الميسانية محلها لهو امر يجب ان تكون له دلالته الاجتماعية والسياسية ، كما يجب ان يكون مثل هذه الدلالة لذلك الازدياد الكبير في نسبة دفن الموتى عن طريق حرقها ، خاصة وان دفن الاموات وليس حرقهم كان قاعدة كلية في الالاخ خلال تاريخها الطويل . واما عملية دفن واحدة عن طريق حرق احد الاموات فعزيت بتردد الى عصر سوية البناء الرابعة (ومن المحتمل ان تكون العملية ظهرت في سوية البناء الثالثة) وظهرت عمليتان اخريان في سوية البناء الثانية ، او ربما في الثالثة ، واما الخطأ الذي يقع في هذه السويات فكان امرا محتملا،اذ ان بعضا من قبور الموتى كان يخربه حفارو القبور اللاحقون، او الافراد الذين يحفرون الخنادق من اجل اساسات الابنية ، ولكن قسما كبيرا من هذه القبور بقي قائما ، واما حال سوية البناء الاولى ، وكذلك حال قبور مرحلة سابقة تعرضت الهدم والتخريب طيلة قيام الالاخ ، فان العدد الكبير من القبور المذكورة قد اندثر بعد ان ارتفع تل / العطشانة / الالاخ خلال ثلاثة الاف عام الاخيرة ، واما قبور الاموات فكانت قليلة العمق وتوازي ارض المسكن . واما المطر ، والريح ، وسكة الحراثة فجرفت في طريقها جميع ابنية المرحلة الاخيرة في الالاخ ، ومعظم اساسات المرحلة الاولى فيها ، وقد عثرنا على خمس حالات تامة او شبه تامة من حالة دفن الاموات بعد حرقهم تعود الى عصر سوية البناء الاولى ، ولكننا صادفنا باستمرار اثارا لمثل هذا النوع من القبور كان محتواها قد اختفى ، واما قبور الاموات المدفونين حسب العادة السائدة فكانت محفورة بشكل اعمق ، ولكننا لم نعثر إلا على ثلاثة منها كانت باقية وبمحتواها ، وهكذا تبدو عادة حرق الموتى ثم دفنها التي كانت امرا نادرا في عصر سوية البناء الاولى ، قد اصبحت في النهاية عادة مألوفة مثل الدفن العادي ، وهذا التبدل هو ايضا من الامور الاجتماعية المعبّرة .

من المقبول بشكل عام ان عادة حرق الموتى قد وفدت الى سورية من اسيا الصغرى ، واصبحت عادة شائعة فيها بعد الغزو الذي وقع عليها في تاريخ عام /١١٩٤/ قبل الميلاد ، وان هذه العادة كانت مجهولة في كركميش قبل هذا التاريخ ، واصبحت خلال الفترة / السورية ـ الحثية / قاعدة كلية ، في حين ظهرت قبل عام /١١٩٤/ قبل الميلاد في قرية / العطشانة / الالاخ ، ولكن بدايتها كانت محدودة لا تتعدى حالات قليلة منعزلة ، واما في القرن الثالث عشر قبل الميلاد فاصبحت مألوفة ، وانتشرت على نطاق واسع بين الناس، لذلك يجب ان تفسر هذه الظاهرة الاجتماعية بالاستناد الى ما يلي : عندما اخذ في القرن الرابع عشر قبل المسيح عدد قليل من الافراد تسود في بلادهم عادة حرق الاموات يفدون الى مملكة / موكيش / ويدفنون امواتهم حسب العادة المذكورة التابعة من طقوسهم القديمة ، وعندما ازدادت هجرة هؤلاء الناس في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، وبدا افرادها الوافدون من الشمال / هكذا يجب ان نصفهم / يشكلون نسبة كبيرة من السكان اصبحت عادة حرق الموتى عامة ، وهذا ما عرفتنا به القبور التي قامت في / موكيش / ، وحتى تكون على بينة اقوى يجب ان نتفحص شواهد اخرى .

لقد تم هدم معبد عصر سوية البناء الثانية في الالاخ ، وقامت على اساسات جدرانه القديمة اساسات جديدة حجرية تتالف من بلاطات تزن الواحدة منها نصف طن ، ثم وضعت فوقها بلاطات بازلتية مصقولة ، ثم قامت الجدران فوقها مؤلفة من اللبنات والخشب ، واما ابعاد البناء / المعبد / الجديد فكانت مماثلة للمعبد القديم ، ولكن مخططه كان مختلفا ، ولا يشتمل إلا على غرفتين ، واما في الساحة الامامية من المعبد الجديد التي حوت على بئر مضاعفة من الآجر نفذت باتقان ، فقد قام باب يمكن للمرء ان يحكم من خلال عرضه البالغ /٢٫٤٠/ م انه حوى على الارجح عمودا في وسطه ، وينفتح هذا الباب على غرفة عميقة قليلا ، واما في مقابل المدخل فقام باب المعبد الذي بلغ عرض فتحته /٤٫٢٠/ م ، وقد قسمها عمودان الى قسمين متساويين [1] . واما الجدار الصدراني في المعبد فحوى على ثلاث فجوات كانت الوسطى منها على صف مستقيم مع فتحات المعبد الثلاثة وغرفة الانتظار ، وكانت مفتوحة ومكسوة بلوحات خشبية .

واما الفجوتان الاخريان فكانتا موشحتين ببلاطات بازلتية وفوقها لوحة وضعت خلف الدعامات الوسيطة ، علما بأنني لم اصادف سابقا مثل هذه

(1) وعلى الارجح قام على الجانبين اسدان منحوتان ، ولكننا لم نجد لهما اثرا .

الفجوات الثلاثة المغلقة ، وكانت فارغة ، وفعلا كانت الفجوة الجنوبية الغربية في المعبد متهدمة حتى سوية الارض ، واما الاشياء التي وجدناها مغروزة في قلب بناء الآجر القائم وراء الفجوة الشمالية الشرقية من المعبد فتالفت من خنجر برونزي ووعاء زجاجي كثير الالوان ، ووعاء من الاباتر ، وعدد قليل من الأواني الفخارية وجميع هذه الاشياء كانت بمثابة مستودع تاسيسي ، وفي المناسبة فانني اتصور ان تكون فجوات المعبد قد حوت على قرابين نفوت للمعبد عند تاسيسه ، وعندما دمرته النيران كليا اعيد بناؤه بسرعة ، ولكن بمواصفات جديدة اذ تمت تعلية سوية المعبد الجديد بشكل غابت فيه بلاطات جدران المعبد القديم البازلتية المصقولة في جوف الأرض ، كما وغابت الفجوات الثلاثة من المعبد القديم ، واما باب المعبد الجديد فتم تضييقه حتى بلغ /٢٫٤٠/م ، ومن المحتمل ان يكون له عمود في الوسط / ، واما غرفة الانتظار في المعبد الجديد فقسمتها جدران اعتراضية الى ثلاثة اقسام ، تضمن كل قسم منها ممشى مع غرفة صغيرة ، ومن اجل سد اختلاف سوية الأرض الممتدة بين المعبد والساحة الأمامية ، جرى امام بناء المعبد تشييد ارضية من الحجارة ارتفع في وسطها ثلاث درجات واطئة قامت على جوانبها الاسود المنحوتة التي تم انقاذها من معبد سوية البناء الثانية ، ولم تعد هذه الاسود تستخدم كأحجار اساسية / حجر الزاوية / كما استخدمت سابقا ، حتى ان واحدا منها بدا ولم يبق منه سوى الراس والأرجل الامامية دون الجسم بحيث لم يعد صالحا للاستعمال ، واما هذه الأسود فاختفت في ارضية البناء ، ولم يبق ظاهرا منها سوى رؤوسها ، ومن المحتمل ان يكون طنف منخفض قد علا هذه الأسود التي لم تعد الآن سوى عنصر تزييني وليس عنصرا بنائيا . واما ترتيب الدرجات المذكورة مع ارضية لها من كل / جانب / فيذكر بمقدمة قصر الملك / نيقميبا / ، ويقدم صورة عن الشارع الكبير الخاص بقصر ومعبد القرن العاشر قبل الميلاد في كركميش ، وعندما ازلنا عمارة الدرجات اتضح لنا ان واحدة من البلاطات التي تكون حضن المعبد كانت نصبا ملكيا خاصا بالملك الحثي الكبير / توضاليا / **Tuthaliya** في عام (١٢٥٠) قبل الميلاد : /اللوح١٥ـآ/ ، وبدا النصب المذكور ووجهه يلامس الارض وقد صار الى اسوا مصير / حال / .

امتدت امام المعبد ساحة بلغت ابعادها /١٣٫٥٠ م × ١٢٫٦٠ م ، وقام في الطرف الجنوبي الشرقي من المعبد مدخل معمد وغرف في الزاوية الجنوبية ، واما في الجهة الشمالية الشرقية فكان هناك بناء مستقل شغل مساحة المحراب

الثاني من معبد عصر سوية البناء الثالثة وبقدر ما كنا نستطيع ان نتبين حقيقته من خلال بقاياه الهزيلة التي بقيت بدا لنا ان شكله لم يكن شكل معبد ، بل كان البناء المذكور يؤلف مجموعة غرف تنفتح على ممشى ، وفي احدى هذه الغرف التي حفرت وبنيت فيها بئر بحجارة كبيرة وجدنا فيها بقايا تمثال الملك / ايدري ـ مي / اللوح ١٢ ـ آ) مجموعة وموضوعة في مكان امين ، ووجدنا في الغرفة التالية تمثال عرش الملك / ايدري ـ مي / محطما ، ووجدنا مذبحا بازلتياً تزينه رؤوس الوز / اللوح ١٩ ـ آ / وخاتما نحتت عليه رسوم هيروغليفية حثية ، وملعقة عاجية لسكب الخمر وغيره امسكت يد انسان بها ، وتمثالا من الكلس مشوها يمثل ربة جالسة ، وفي الساحة الامامية من المعبد ، ليس بعيدا عن جرن بازلتي مطمور في الارض ، ظهر فيها راس رمح برونزي مقوس بديع زينت قاعدته براسي اسدين بنقش بارز كله /اللوح ١٨ـآ/ ، واما في قلب المعبد فتم العثور على راس انسان منحوت بشكل جيد ماخوذ من منحوته بازلتية ، وقد تناثرت جميع هذه القطع هنا وهناك عندما جرى تخريب المعبد ، ولكنها لم تتوضع على الأرض الاصلية ، وعندما كان المعبد قائما تم رفع سوية ارض ساحته بمقدار /٣٠/ سنتمترا ، وكان من نتيجة هذا العمل المضطرب ان وجدت ليس فقط احضان اسفل درجات المعبد مطمورة ، بل وجدت ايضا ارجل الاسدين وقد اختفت ، ولم يبق سوى راسيهما بارزين ، واما ذقناهما فلم يظهرا إلا بصعوبة فوق سوية الارض ، وبعد الانتهاء من العمل المذكور اصبحت مقدمة المعبد صورة مشوهة عن صورتها الأصلية الجميلة ، كما واصبحت الشيء الغريب جدا الذي عمدنا /باركناه/ وهو يمثل ارض ساحة المعبد التي ارتفعت سويتها ، واصبحت سوية عليا تمثل / المرحلة رقم ٣ ا/ هي آخر مراحل الانحطاط . وفي غرفة الزاوية الجنوبية من باحة المعبد الامامية وجدنا خاتما من نوع / بولا / نقشت عليه كتابة هيروغليفية غير مقروءة ، ولكن الخاتم الذي عثرنا عليه في الملحق الشمالي الشرقي من الباحة المذكورة كان يحمل كتابة مقروءة هي / با ـ لو ـ اوا / ابن الملك ، سيد البلاد ، ، / وكانت تلك مضمون النص المرشوم على الخاتم الذي تم العثور عليه في سوية البناء الاولى ، واما راس الرمح البرونزي المقدس مع اسدينه فهو يضارع بغرابة شخصية /الرب الخنجر/ المنحوتة على وجه صخرة في موقع / يازيليكايا **Yasilikaya** / بالقرب من بوغازكوي ، الى جانب منحوتات حثية تعود الى القرن الثالث عشر قبل المسيح .

واما نصب / توضاليا / فيعتبر بناء حثيا يعود الى معبد من عصر سوية البناء الاولى ، واذا قارنا هذه المكتشفات مع شواهد الهجرة الاجنبية الى الالاخ اصبح التاريخ واضحاً .

عندما عقد الملك الحثي / الكبير / حاتوسيل Hattusil معاهدة سلام مع مصر في عام ١٢٣٧ قبل الميلاد ، كان الخوف يراوده من قوة الاشوريين المتنامية التي اصبحت في عهد شلمنصر الاول Sulmanarid I تهدد ممتلكات الحثيين السورية في الشرق ، وكان الامر يتطلب اعادة تنظيم ، وذلك للمحافظة على هذه الممتلكات ، فعمد الملك الحثي المذكور قبل كل شيء الى تجديد بناء القلعة في الالاخ التي بنيت في عصر سوية البناء الثالثة اي قبل مئة عام ، وكانت في طريقها الى السقوط على الارجح خاصة بعد ماعانته من اذى لحق بها على اثر الثورة الموالية لمصر التي قامت في الالاخ قبل عشر سنوات ، وهكذا تم هدم الجدران الضخمة في القلعة من اساساتها ، وقام مكانها بناء جديد ،وهكذا لم يبق في الالاخ سوى القليل وذلك من جراء ما اصابها من تعرية ارضية بسبب البناء ، ولكن الاساسات الحجرية فيما بقيت في خطوطها العريضة منسجمة مع مخطط القلعة القديمة ، لقد كان شبه مؤكد ان تكون حامية القلعة مؤلفة من قطعات عسكرية حثية نظامية ، ولكن ذلك لم يكن كافيا ، اذ كانت هناك تجربة قاسية للحثيين مع السكان عندما ثاروا عليهم فادركوا انه لايمكن الوثوق بهؤلاء السكان ، يضاف الى ذلك ان الجماعة الموالية لمصر في الالاخ كانت بعيدة عن الحكم المتداعي فيها ، وبالاستناد الى المعاهدة المصرية الحثية الجارية فان هذه الجماعة لا تستطيع ان تلتفت نحو مصر وتطلب منها العون والمساعدة ، في حين كانت غالبية سكان الالاخ من اصل سوري يبقى ولاؤها لحثيي الاناضول موضع تفاؤل لاموضع الثقة التامة ، لذلك رأى الملك الحثي الكبير ان مايريد تحقيقه كان يتضمن اضافة الخميرة الحثية الى العجينة السورية ، فعمدالى تنصيب ابنه بالوؤوا Palouona حاكما على الالاخ ، وحقق بذلك الخط الجديد من سلوكه ، ثم اخذ حشد كبير من سكان الاناضول يفدون الى مدينة الالاخ ، وتم تشييد المعبد الجديد فيها وفق التوجيهات الحثية ، واما راس الرمح البرونزي المقدس في مدينة الالاخ الذي يذكر / بالرب الخنجر / في بوغازكوى فيعني ان طقوس العبادة الحثية قد دخلت الى معبد المدينة المذكورة ، واما المنقوشة الحجرية الدالة على بناء توضاليا للمعبد فتبرهن ان المعبد كان يستفيد

من رعاية الملك الحثي المباشرة ، واما اختفاء الاواني الفخارية من نوع / نوزو / وعطشانة / من التداول في الالاخ ، والتي رأينا انها تحطمت وتكسرت في الشوارع ، وفي بيوت الموالين لمصر فينسجم تماماً وماهو واقع ، واما مرحلة سوية البناء الاولى فتصور لنا محاولة حثية جادة بغية جعل الالاخ مرفأ متقدما لبوغازكوي . واما المرحلة الثانية فتشير الى فشل المحاولة حتى قبل وفاة توضاليا ، وفي هذه الاثناء قام / توكولتي - نينورتا / ابن شلما نصر الملك الآشوري بغزو سورية الشمالية ، واستطاع مستخدما القوة تارة والسياسة تارة اخرى ان يجعل الحكام الموالين لاسيادهم في سورية الشمالية ان يثوروا عليهم . واما الحريق الذي اصاب معبد الالاخ فيمكن اعتباره حدثا طبيعيا ، ولكننا عندما نعرف ان المعبد اعيد بناؤه وفق اصول مختلفة تذكر بابنية ماض مجيد ، وان بناء توضاليا الذي يمثل الصورة الملكية الحثية قد اهين ، وديست مقدساته واطلاله ، وهكذا يستطيع المرء ، من خلال ماوقع من احداث ان يتبين نذير ثورة جديدة ضد الغازي الحثي في الالاخ ، وقد يكون من دلائل هذه الثورة سقوط /بابل/ بيد الاشوريين في عام ١٢٤١/قبل المسيح ، وفي هذا الوقت بلغ الضعف بالحثيين حدا كانوا فيه عاجزين تماما عن تسوية اوضاعهم الداخلية والخارجية ، واصبحت بلادهم مهددة من غزو خارجي ياتيها من الغرب ، وفي عام ١٢٠٠ قبل الميلاد بلغ الدمار الذي لحق بالوثائق الملكية في بوغازكوي حدا مخيفا ، واما العاصمة الحثية فابتلعتها الموجة الاولى من الحركة الكبرى التي قادها مهاجرون من الغرب همهم السلب والنهب يريدون ان يغيروا وجه عالم حوض البحر الابيض المتوسط الشرقي . واما اسباب نجاح الثورة في الالاخ فليست قوة الالاخ الذاتية ، وانما ضعف الحكام الحثيين فيها ، والدعم المعنوي الاشوري ان لم يكن المادي ، واما اعادة بناء معبد الالاخ فكان حركة طبيعية ، لا يستطيع الحكام المذكورون مقاومتها ، وفي ذلك دلالة واضحة على ضعفهم ، وانتصار كبير للسكان المحليين ، لقد كانت الالاخ دائما تتمتع بالازدهار ، وكانت بيوتها الخاصة في عصر سوية البناء الاولى كبيرة وواسعة ، وجرى تشييد احسنها واجملها في المرحلة الاولى من هذا العصر ، وبقيت مأهولة بالسكان خلال النصف الثاني منه ، وكان سكانها يهتمون بصيانتها وترميمها ، واما رواج تجارةالاواني الفخارية الميسانية في الالاخ فدليل على ازدهار التجارة مع الخارج ، وان الصناعات المحلية كانت في كامل طاقتها الانتاجية ، وقد عثرنا في احد دكاكين

صياغة المجوهرات الواقع في زاوية بيت قريب من جدران مدينة آلالاخ على سبائك ذهبية كثيرة انفصلت عنها بعض الاجزاء ، وقرط صغير للاذن ، واما حالة معبد المدينة السيئة التي بلغها من جراء الاهمال الطويل الذي اصابه فتدل على تردي الاحوال في آلالاخ الى درجة استحال فيها على اي دم جديد سوري شمالي ان يوقف هذا التردي المخيف ، واما انطباعنا الاول عن انحطاط عصر سوية البناء الاولى في آلالاخ فيصيبه الخطأ اذا اخذنا العصر كاملا ، ويصبح صحيحا اذا اخذنا نهاية العصر المذكور ، هذه النهاية التي كانت حقا نهاية آلالاخ الحتمية ، واماحركة / شعوب البحر / الكبيرةالتي دمرتمدينة / بوغازكوي / في الاناضول ، فاتجهت نحو الجنوب ، واجتاحت سورية كالسيل العارم الذي يجرف الارض ومن عليها ، وكان مع هؤلاء الغزاة اطفالهم ونساؤهم محمولة على عربات ذات دولابين تجرها الثيران ، ويرافقهم اسطول بحري على امتداد الساحل السوري ، كانوا يجتاحون المدن التي اخذت تتساقط تباعا واحدة بعد اخرى ، واخذت افواجهم تزداد بانضمام من بقي حياً من سكان المدن التي حرقوها اليهم ، ثم سقطت كركميش ، وحلب ، واما اطلال الحرائق التي التهمت اكبر بيوتات المدن فتؤكد ان آلالاخ تقاسمت مع جيرانها الآخرين الاقوى منها الدمار والفناء الذي وقع في عام ١١٩٤ قبل الميلاد(١) .

يتجلى دمار مدينة آلالاخ الكامل في حالات تمثال الملك /ايدري ـ مي/ المحطم الذي حاول احد سكان المدينة مجازفا بحياته جمع مابقي من قطع التمثال المذكور ، واخفاها في ارض معبد المدينة على امل العودة ، وترميم التمثال واعادته الى مكانه السابق ، ولكنه لم يعد ،وبعد مرور خمسين عاما على مأساة آلالاخ قامت محاولة لبعث آلالاخ القاحلة الصحراء من جديد ، وجعلها مدينة مزدهرة تعج بالحياة والنشاط ، وفي هذا الوقت بالذات كانت اطلال جدران معبد المدينة التي تداعت على اثر غزو شعوب البحر التي ابتلعت موجودات المعبد التي ملأت ساحته ، واصبحت آلالاخ ذكرى طواها الزمن ودخلت عالم النسيان ، والى جانب هذا الدمار قامت اساسات قوية جديدة على انقاض اساسات المعبد

(١) وذلك في السنة الخامسة من حكم رمسيس الثالث ، واما قصة اندحار شعوب البحر على الحدود المصرية ، فقد جاء ذكرها على منحوتات ومنقوشات المعبد الكبير لرمسيس القائم في / مدينة ـ ابو / الواجهة لمدينة طيبة في / الاقصر / .

القديم بغية اعادة بنائه الذي لم يتم ابدا ، واما ماوجدناه بالقرب من القلعة، فكان امتدادا لاساسات حصوية غير واضحة الهدف ، ويعود تاريخ الامتداد هذا الى هذه الفترة الزمنية المتأخرة من تاريخ آلالاخ ، واما القبر الوحيد الخاص بدفن الاموات بعد حرقهم فعثرنا فيه على جُعَل يعود بتاريخه الى عهد رمسيس السادس ، ومن المحتمل ان يكون الجُعَل قد وضع في القبر المذكور قبل عام ١١٤٠ قبل الميلاد ، وفي ذلك دليل وحيد على ان احتلالا مصريا قد وقع على آلالاخ بعد دمارها في عام ١١٩٤ قبل الميلاد ، واذا كان الاحتلال المذكور واسعا او انه استمر بعض الزمن فيكون من البديهي ان تبقى هناك بعض الشواهد دليلا على هذا الاحتلال ، واذا كانت الابنية التي قامت في هذه الفترة الزمنية ، ثم بادت ، فإن الأرض التي قامت عليها لا بد ان تحتفظ بكسر عن هذا العصر المتاخر ، واما واقع الامر فلم يبق هناك شيء من تل وسواه ، وعندما قامت محاولة جادة لاقامة مدينة /مستعمرة/ جديدة ، كانت آلالاخ قد هجرت نهائيا، وتم تشييد مستعمرة جديدة على تل جديد من عهد ماقبل التاريخ اسمه تل طعينات يقع على بعد كيلو متر واحد من آلالاخ التي انتهى تاريخها عندما غزتها شعوب البحر في عام ١١٩٤ قبل الميلاد .

* * *

الفصل العاشر

مرفا آلالاخ

بوزيديوم والعالم اليوناني

لا شك أن دمار مدينة آلالاخ أصاب أيضا مرفاها الواقع غربا على ساحل البحر الابيض المتوسط ، فلم تعد الحياة الى المدينة مجددا ، ولكن مرساها الهام لايجوز أن يبقى مدمرا مهجورا ، فأعيد بناؤه ، واستعاد نشاطه ، واخذ يعمل بعد ذلك على مدى سبعمئة عام أخرى ، لذلك يجب أن نركز انتباهنا على هذا المرفأ المسمى / الميناء / لنكمل مسيرة التاريخ .

عندما ذهبت في عام /١٩٣٥/ الى منطقة الميناء لاختار المكان الذي سأنقب فيه ، عرفت أن مصب نهر العاصي على البحر الابيض قد قام بدور فعال في تجارة ما وراء البحار لبلد ساحله صخري حاد مفتوح قلما يوفر للسفن التجارية مرفأ امينا . وأما النهر المذكور العريض الذي يجري ملتويا عبر سهل العمق المنبسط فكان بمثابة ملجأ نموذجي للسفن التجارية الصغيرة المعروفة في العالم القديم ، ولا يمكن اهماله ، وبعد أن فتشت عن مكان يجب أن يكون تلا قريبا من مصب النهر المذكور فاجأني أحد المسنين من الأهلين المحليين أن التل لم يكن موجودا ، وايدت زيارة ميدانية قمت بها هذا الجواب المخيب للآمال ، ولكنني عندما اقتربت من مخازن الجمارك الحديثة (علما بأن مصب نهر العاصي ما زال مرفأ للمراكب الشراعية) كانت الدرب تدور عبر ضفاف النهر منخفضة وضيقة ، وعلى طرف منه كانت الأرض تسير بانحدار دقيق بلغ مترا أو مترين حتى بلغت مكانا قامت فيه شجرة زيتون الى جانب قبر ذي قبة بيضاء دفن فيه أحد الأولياء الصالحين ،

والى جانبه قام بناء متواضع يجتمع فيه الافراد الحاجون الى القبر المذكور للبركة والتبرك ، واثناء سيري في الدرب المذكور لمحت كسرا فخارية ، في حين كان غيرها متناثرا على المنحدر الذاهب الى القبر المذكور . واما اول كسرة فخارية جمعتها فكانت خاصة باناء اليني يعود بتاريخه الى القرن الخامس قبل الميلاد . وهذا دليل على قيام موقع سكاني قديم في هذه المنطقة ، واما اين كان هذا الموقع او هذا التل ! وعندما قمت بجولة في الاراضي المفلوحة عثرت على الجواب . اذ كانت الارض التي تلي موقع القبر المذكور تنتهي الى رابية منخفضة في اسفلها يمكن المرء ان يتصور قيام سرير نهر ، انظر الى اللوح / ٢٤ آ / ، واعتقد ان نهر العاصي الذي يسير الآن بعيدا مئتين او ثلاثمئة متر عن هذا المكان باتجاه الغرب اعتقد انه ملأ هذا السرير الجاف الآن ، واحسست عندئذ احساس اليقين ان تلا كبيرا انتصب في هذا المكان ثم جرفه النهر ولم يترك منه سوى منحدر منخفض بقيت اهدابه الداخلية فقط ، وقد ساعدتني في هذه المناسبة اسطورة محلية تضمنت ان النهر المذكور كان يجري قبل مئة وخمسين عاما في مجراه الحالي الذي بدله فجاة عندما ازدادت مياهه ، واتجه نحو الغرب ، وكان من اثر ذلك ان غمرت المياه الحقول وجرفت امامها المحاصيل والزروع الى البحر ، واخذت تهدد الرابية التي قام عليها قبر الولي المذكور بالغرق ، عندئذ تجمع الاهلون الذين اصابهم الاذى في ممتلكاتهم في جامع البلدة والتمسوا العون والنجدة من رب العالمين لكن النهر مضى في غيه عابثا جارفا لا يلوى على شيء حتى بدا قبر الولي المذكور هالكا لا محالة ، عندئذ ثار هذا الولي الصالح على النهر غاضبا ، وامره بالعودة فورا الى مجراه القديم ، فامتثل للأمر ، وانحسرت المياه ، وعاد النهر يجري في سريره الاصلي القديم ، وعادت الحقول الى الظهور ، وبنى الاهلون الى جوار قبر الولي استراحة يستريح فيها حجاج القبر .

ذاك تاريخ هذه البقعة من حوض العاصي الاسفل ، قام على واقعة حقيقية يمكن ان تقع اكثر من مرة ، تحكي قصة اختفاء تل / الميناء / المرفا . ولكنها لا تمنع مع الاسف الشديد القول انه بالاضافة الى الاختفاء المذكور اختفى ايضا جميع التاريخ الذي يمكن جمعه من اطلال طبقات ارضية متعاقبة تكوّن منها تل من هذا الطراز ، نقبنا ما بقي ونقبنا في ضواحي مدينة الميناء التي امتدت بعيدا نحو الغرب ، ولكن جميع سويات البناء القديمة الاقرب الى شاطىء النهر كانت في جوف البحر .

هناك في واقع الامر عشر طبقات بناء في المدينة المذكورة تراكبت فوق بعضها ، وتوضح كل واحدة منها ان المساحة المبنية كانت تتحرك بانتظام نحو الغرب سواء بسبب اتساع المدينة او طغيان النهر المستمر عليها ، وكانت سويات البناء العليا متسعة ، ولكنها كانت تضيق كلما هبطنا من اعلى اول سوية حتى سوية البناء العاشرة ، واما ما صادفناه اثناء التنقيب وبلغ حدود تنقيباتنا فكان حزاما ضيقا توقف عند المنحدر الجبلي الملامس لمجرى النهر القديم ، واما اقدم سوية بناء هنا فتعود بتاريخها الى العصر الثامن قبل المسيح ، وهناك فراغ قدره اربعمئة عام بين السوية المذكورة والعصر الذي تدمرت فيه الالاخ ، وليس هناك وثيقة ما تستطيع ان تربط بين الميناء / المرفا / على البحر والالاخ ابان ازدهارها .

كانت الثغرة الواقعة في التسلسل التاريخي مثبطة للهمة ، ومع ذلك كنت دائما على يقين ان مدينة الميناء كانت دائما تستخدم الميناء حتى في زمن ضعفها ، اذ كانت الضرورات التجارية القائمة تفرض سرعة ترميم الميناء وعودته الى العمل ، ولكن اليقين الاخلاقي بالنسبة للمؤرخ يبقى من الامور التي تحتاج الى قاعدة اقوى ، ويبقى من الصعب رفض فرضيتي القائلة ان معظم التل القديم قد جرفته المياه ، ولكن ليس هناك دليل يؤيد ذلك . وكذلك ليس هناك امكانية العثور على دليل في الامكنة المجاورة يؤكد الفرضية التالية المتضمنة : ان التل المذكور حوى طبقات ارضية بنائية تعود الى الوراء بمقدار الفي عام ، ومن حسن الحظ ان البينات على صحة هذه النظرية انتهت بالظهور بشكل جيد ، وبصورة فريدة ، لقد تاكد لنا من التنقيبات الجارية ان سويات البناء العشرة الواقعة بين القرن الثامن قبل الميلاد وحتى الرابع قبل المسيح تكاد تكون واحدة متماثلة ، اذ كانت جدران الابنية مبنية باللبنات القائمة دائما على اساسات حجرية ترتفع احيانا فوق السوية الارضية حتى تكوّن الطبقة العازلة فعلا ، وكانت هذه الجدران واسعة قليلا ، ولها سماكة قدرها ستون سنتمترا ، ولا مجال للشك في ان البناء كان مؤلفا من اكثر من طابق ، وفي جميع الاحوال فاننا لم نعثر في اي مكان على آثار سلّم او درج يدل على ذلك ، واما الارض فكانت ارضا غضارية او ارضا ممهدة مرصوفة ، واما سويات البناء السفلى فقامت فوق سرير من الحصى ، وذلك بسبب الرطوبة الموجودة ، واما السويات العليا حيث تنتصب الابنية فوق السبل المجاور ، فلم تعد الحصى ضرورية ولم تستعمل ، ولم يكن

قرميد السقوف مستعملا هنا ، واما هـذه السقوف فتشبه سقوف بيوت المسلمين في الوقت الحاضر المسطحة والمؤلفة من طبقات حصيرية من القصب والتراب المرصوفة على اعمدة مشدودة الى بعضها ، كانت البيوت تؤلف جزرا سكنية صغيرة مستطيلة الشكل وذات قياسات متقاربة ، وتخترق البيوت ازقة ذات زوايا قائمة مرصوفة بالحصى النهرية ، ولها في وسطها ساقية تصريف مغطاة ببلاطات حجرية تشكل ارضا مرصوفة ، واما الاضطراب القائم بين هذه البيوت فسببه ذلك التفاوت الواقع بين حقوق مالكي هذه البيوت حسب موقعها من الطريق العام ، علما بان الاضطراب قد انخفض الى ابعد الحدود . واما الشيء البارز بين هذه الجزر الصغيرة فليس وحدة شكلها فقط ، وانما ايضا وحدة نموذجها اذ ان كل جزيرة او بالحري كل بناء كان يتالف من باب واسع ينفتح على الشارع (الزقاق) ويقود الى باحة لها صف من المخازن من كل طرف من اطرافها ، وصف كبير في وسط الباحة ، وصف صغير في نهايتها ، واما خلفها فقامت اربع غرف تكاد تكون مربعة الشكل ، ذلك كان البناء الاساسي الذي حوته الجزيرة الصغيرة ، واما الفراغ الباقي من البناء فخصص لصف من المخازن او لصفوف منها ، وعلى طول الشارع / الزقاق / قامت غرف صغيرة لا اتصال فيما بينها وبين هذا البناء ، واذا كان ذلك حال مدينة سكنية ، فقد وقعنا على شواهد لابنية المدينة الفقيرة او المدينة البدائية اذ كان البيت عبارة عن براكة متواضعة من اللبنات بارتفاع طابق واحد بجدران مطلية بالطين ، ودون اهتمام بالزخرفة او أي نموذج معماري ما ، ولا يستحق البيت اكثر من هذا الوصف البسيط ، وهذه المنطقة لم تكن مدينة سكنية ، وانما كانت وابنيتها منطقة بائسة بقدر ما كانت بيوتا خاصة تستعمل للاغراض التي قامت من اجلها ، وكل ما نعرف عن هذه البيوت انها محلات تجارية لتجار مرتبطين بتجارة الاستيراد والتصدير بين آسيا وبحر ايجه في البحر الأبيض المتوسط ، وقد ظهر ذلك واضحا في الاشياء التي تضمنتها الابنية المذكورة ، وخاصة في سويات البناء العليا حيث حفظت الاشياء بشكل جيد ، وفي احد بيوت / ابنية / سوية البناء الثالثة الذي احترق وجدت الاشياء وقد تركت في مكانها ، واما الاشياء المنقولة في الكثير من الغرف فبقيت سالمة كما هي ، من ذلك يمكن أن نستنتج أن البناء (البيت) المذكور كان بكامله مخصصا لبضائع موزعة حسب انواعها ، وكل نوع يشغل قسما محددا في البناء هذا ، وهناك قسم آخر كان ملآنا بجرار الخمر

الكبيرة ، وآخر بزجاجات الزيت الصغيرة من صناعة محلية ، وقسم ثالث مخصص لآنية المراهم اليونانية المستوردة ، وقسم رابع مخصص لآنية الشراب الكبيرة التي لها شكل الجرس ...... الخ .

هذا وكل بناء في الجزيرة الصغيرة المذكورة تضمن مكاتب خاصة بمؤسسة تجارية ، وتجمعت في المستودعات الكبيرة البضائع الآسيوية المعدة للتصدير ، والبضائع الواردة التي افرغتها السفن وتنتظر بيعها الى التجار ليحملوها في قوافل برية توصلها الى المدن الداخلية ، واما الغرفة المنعزلة في ساحة البناء فكانت مخصصة على الأرجح لمراقب البضائع ، واما الغرف الصغيرة المنفردة الواقعة في مواجهة الشارع ، فكانت نوعا من الدكاكين التي تغلق بالمفتاح ، وتعود الى بائعي المفرق العاملين في السوق المحلية ، او انها عبارة عن ورش للعمل وقد وجدنا في احدى هذه الغرف عددا من القضبان الصغيرة الفضية ، وقطعا مختلفة من المجوهرات ، ومن الطبيعي أن تكون الغرفة المذكورة هي محل صائغ مجوهرات ومن الملاحظ في بعض الحالات النادرة ان وجود قبر في عمق ارض البناء ، هو احتمال يدل على وجود تاجر قد عاش هنا ، ودفن في ارض بنائه التجاري، واذا كنا نعرف العديد من الحالات المتضمنة ان قبور الاموات كانت تقوم تحت بيوت ساكنيها . فان ذلك يصبح صعب التصديق اذا قيل ان بعض الاموات قد دفنوا في جوف ارض مكاتبهم التجارية او مستودعاتهم ، واذا تركنا هذه القبور جانبا ، فان جميع الشواهد تنفي الفكرة القائلة ان الابنية المذكورة جرى استعمالها سكنا محليا ، ويجب ان نعرف ان اكثرية التجار كانوا يقيمون في امكنة اخرى بعيدة عن الميناء الذي لم يكن مكانا صحيا مامونا ، اذ كان يؤلف منخفضا ويشغل منطقة قابلة للغرق (وقد ايد ذلك ما وجدناه من كميات من الرمل الطمي عائمة فوق اطلال الابنية المنخفضة من عهد سوية البناء الرابعة) ، وكانت المساحة الكبرى من الارض حول الميناء تؤلف مستنقعات على البحر من الصعوبة بمكان تجفيفها ، صحيح أن مستودعات البضائع كانت قائمة الى جانب الميناء ، ولكن سكن الانسان هنا كان من الامور التي يتحاشاها ما استطاع الى ذلك سبيلا .

واما الروايات الخاصة باللقى التي تم العثور عليها في الماضي ، فشدت انتباهنا الى هضبة صغيرة قريبة من نهر العاصي وبعيدة عن المرفا / الميناء / بمقدار اربعة او خمسة كيلو مترات الى الداخل ، وكانت هضبة طبيعية ،

او بروزا بسطح ينحدر على ثلاث جهات ومدخل بانحدار خفيف يتجه الى الشمال الغربي وقد امتلأ بالكسر الفخارية ، وعلى هذه الهضبة المسماة قرية الصابونية تم حفر عدد من الأسفار ، وفي اسفلها ، وفي نفس الوقت وبالاضافة الى اللقى المذكورة التي تم العثور عليها على وجه الارض ، توصلنا الى النتائج التي كنا نتوقعها ، ودلت الاواني الفخارية التي تم الكشف عنها ان هذه الرابية كانت آهلة بالسكان طيلة العصور التي تمثلها سويات البناء العشرة الخاصة بالمرفا ـ الميناء ـ كما وحملتنا الشواهد القائمة الى زمن أسبق ، وكانت هناك كسر فخارية ميسينية ترقى بتاريخها الى القرنين الثالث عشر والثاني عشر قبل الميلاد ، و / طاسات للحليب / ذات القاعدة البيضاء وهي من القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، وخاتم اسطواني من القرن الثامن عشر قبل الميلاد ، واما قمة الهضبة المذكورة فجرى تقويتها بجدار ذي اطار كثيف من الحجارة والآجر ـ وهذه القمة تمثل اكروبول المنطقة ، وفي اسفلها قامت ابنية اخرى ، ويبدو مؤكدا ان في هذه الابنية قد سكن بعض التجار الذين يزاولون اعمالهم في الميناء ، ومن المحتمل ان يكون بعضهم الآخر قد اتخذ سكنا له (فيلات في امكنة اخرى واقعة على الارض المرتفعة التي قامت فيها المدينة الصغيرة الحديثة المسماة السويدية) ، وعلى كل حال فقد عثرنا في مكانين آخرين على كسر فخارية من العصر اليوناني الكلاسيكي ، علما بأن الصابونية كانت المدينة ولها مع الميناء مثل تلك العلاقة التي كانت قائمة بين آثينا والبيرة ، ولقد كان من المسلم به أن المقيمين في الميناء كانوا من الفقراء الذين يؤلفون حراس المستودعات ، وعمال الاحواض ، والبحارة ، وصيادي الأسماك ، وعمال النقل الصغار المرتبطين بعملهم ، في حين كان التجار الاغنياء يحيون في جو صحي في بلدة الصابونية ، ويذهبون صباح كل يوم الى مزاولة اعمالهم في مكاتبهم في الميناء .

هذا واما الدليل القائل ان الميناء كان يعمل منذ ازمنة قديمة فذلك يؤكد صحة ما تقدم ذكره في هذا الكتاب من بحوث تتعلق بتجارة التصدير التي كانت قائمة في آلالاخ قبل دمارها ، واما الفائدة الكبرى من التنقيبات الجارية في الميناء فتكمن في انها تتابع التاريخ الخاص بالتجارة المذكورة منذ انقطاعها الواقع في عام ١١٩٤ قبل الميلاد يوم دمرت مدينة آلالاخ العاصمة .

واما الفخار الميسيني المتأخر الذي عثرنا عليه في قرية الصابونية (وليس في الميناء لان هذا الفخار المذكور لا يمكن ان يكون إلا في هذا القسم من التل الذي اختفى) فقدم لنا رباطا قويا خاصا بالتقاليد المحلية .

وفي هذه المناسبة لا بد من العودة الى المؤرخ / هيرودوت / الذي يروي ان البطل اليوناني / امفيلوخوس Amphiloque / ابن / آنفياروس Amphiaraüs الذي غزا مع اخوته الستة مدينة طيبة المصرية ، والذي من المعتقد انه عاش في زمن حرب طراودة : هو الذي بنى مدينة / بوزيديوم / على الساحل السوري ، وقد وجدت المدينة المذكورة مزدهرة في القرن الخامس قبل الميلاد ، ودلت المراجع الجغرافية التي عثرنا عليها عند الكتاب اليونانيين المتاخرين ان مدينة /بوزيدوم/ هي نفسها المرفا / الميناء / الذي يرتبط بقرية الصابونية على الرابية كما ذكرنا .

ولما كانت هذه الرواية الخاصة ب امفيلوخوس تعتمد على الوقائع ، فانها تبدو ايضا مؤكدة / مؤيدة / بتلك الاكتشافات التي حققها الأثريون الاتراك في منطقة كيليكيا التي تم العثور فيها على ادلة تشير الى بطل يوناني آخر شارك / امفيلوخوس / في بناء مدينة / بوزيديوم / المذكورة ، وجدير بالملاحظة ايضا ان هناك اسطورة دينية معروفة في اليونان الكلاسيكية تتحدث عن جبل الأقرع الذي ينتصب الى الجنوب من مصب العاصي غربا على البحر ، وان اليونانيين قد حصلوا على الاسطورة المذكورة (علما بان هناك نصا آسيويا آخر خاص بالموضوع تم العثور عليه) الخاصة بالميناء منذ آمد بعيد جدا ، واذا كانت شعوب البحر قد دمرت الميناء حقا ، وهذا اكيد لا يمكن انكاره ، وان الميناء قد رمم واعيد استخدامه من جديد بغية خدمة التجارة اليونانية القائمة . فان الاسطورة الخاصة بالبطل اليوناني / امفيلوخوس / تبقى صحيحة تماما .

واما التنقيبات الجارية في سويات البناء العاشرة والتاسعة فاننا لم نعثر فيها إلا على امتداد صغير للابنية ، ولكن الاواني الفخارية فيها كانت غزيرة ، وان قسما كبيرا منها كان مستوردا ، وان النماذج المستوردة وردت جميعها من الجزر اليونانية في الغرب ، وكانت مصنوعة خلال الفترة الواقعة بين ٧٥٠ — ٧٠٠ قبل الميلاد انظر الى اللوح / ١٩ ب / ، واما إختفاء الأواني الفخارية الميسينية القديمة فلم يعرقل سير التجارة الدولية عبر مرفانا /بوزيديوم/ الواقع على الساحل السوري بل سهلها وسرعها ، واما التجارة المذكورة التي كانت جارية في معظمها مع اليونان وجزيرة قبرص ، فقد توسعت الآن واخذت منتوجات جزر : ديلوس ، رودس ، تينوس ، وسيكلاد تغزو الشرق ، واصبح المرفأ /بوزيديوم/ هو مركز اصحاب المعامل اليونانية الخاصة بالشرق ، واما في سوية البناء الثامنة فان بعضا من جدران العصر السابق جرى استخدامها

من جديد كاساسات ، ولكن وفق مخطط عام مختلف بحيث بدت مدينة بوزيديوم التي اعيد بناؤها انها مبنية وفق اصول معمارية جديدة ، واما الاواني الفخارية فظهرت ايضا مختلفة ، ويعود جميعها الى الاواني الفخارية من نموذج عصر الحديد القبرصي انظر الى اللوح / ٢٠ ب / سواء كان مصدرها جزيرة قبرص ، او من انتاج محلي قام به عمال مهرة محليون قلدوا بدقة كبيرة ما كان يصنع منها في قبرص حتى بدا من الصعب تحديد مكان انتاجها الاصلي ، وهذه الوقائع الاثرية تضعنا من جديد امام اساطير قديمة .

واما المؤرخ البيزنطي /يوحنا مالالاس/ الذي تحدث عن مدينة انطاكية ، فروى ان البطل اليوناني /كاسوس Kasos الذي سمي جبل كاسيوس نسبة اليه اسس مستعمرة على الساحل السوري الشمالي وجعلها آهلة بالكريتيين والقبرصيين ، وعندما تزوج اميرة من المنطقة اسمها /عميقة Amyké / اصبح ملك هذه المنطقة ، واما معنى / عميقة / فيدل على سيدة سهل العمق ، واما المستعمرة المذكورة فيجب ان تكون مدينة /بوزيديوم Posidéium / الواقعة في اسفل جبل /كاسيوس/ ، وهذه الرواية تشرح لنا سبب ظهور الاواني الفخارية القبرصية المفاجيء في الاسواق المحلية ، وطردها لاصناف اخرى من الاواني كانت معروفة ومتداولة ، ومن حيث المبدأ لم يكن الحدث الواقع مقبولا اذ تضمن قيام حكم جديد على ارض عذراء ، ولكن عندما نتفحص البقايا النادرة من سوية البناء التاسعة ، والترتيب الجديد في سوية البناء الثامنة نستطيع ان ندرك ماذا وقع في الماضي ، اذ كان / كاسوس / المذكور تاجرا ومغامرا في عصر كانت فيه كلمة تاجر وكلمة قرصان مترادفتين ، وبعد ان عرف /كاسوس/ مقدار الفوائد المالية التي يجنيها تجار الجزر اليونانية من تجاراتهم مع آسيا ، عمد في قبرص الى استئجار عصابات مسلحة مؤلفة من تجار متنافسين ، ثم استولى على مرفأ / بوزيديوم / المعروف ونهبه ثم عاد ورممه من اجل نفسه ، ولما كان كاسوس مرتبطا مع افراد من سهل العمق بغية تامين خطوط مواصلات قوافله الملأى بالبضائع المتجهة الى داخل البلاد الاسيوية ، عمد الى احتكار الاعمال التجارية في المرفأ المذكور ، ومن هنا يتضح ان /كاسوس/ هو مؤسس المستعمرة المذكورة على الساحل السوري ، ولكن احتكاره المذكور لم يدم طويلا بدلالة الاطلال الباقية من سوية البناء الثامنة في منطقة المرفأ التي كان عمرها قصيرا لم يطل اكثر من الفترة الواقعة بين عام ٧٠٠ و عام ٦٧٥ قبل الميلاد ، وفي هذه المدة كانت معظم الابنية في حالة سيئة ، ومن الضروري اعادة بنائها ،

واما سوية البناء السابعة فلم تكن هي الحل المناسب لعملية استمرار البناء : اذ لم تكن مخازن المرفأ الجديدة الا امتدادا للمخازن القديمة ولكن بارتفاع اكثر ، واما ما يتعلق بالاواني الفخارية ، وخاصة القبرصية التقليدية منها ، فانها على الرغم من اكتساحها للاسواق فانها اخذت تفقد بعضا منها ، صحيح ان منتوجات الجزر اليونانية ، وخاصة جزيرة رودس من الاواني الفخارية ذات الزخرفة الهندسية قد انتكست ، لكنها عادت في نهاية العصر /الذي كان قصيرا جدا/ وتساوت في الجودة مع الاواني القبرصية واما الاواني الفخارية من جزيرة رودس التي كان يستطيع المرء الحصول عليها في هذه الجزيرة فكانت صناعتها ارقى ، في حين كانت الاواني القبرصية تتقهقر الى الوراء وتفقد اسواقا لها .

كل ذلك يبدو واضحا عندما يتفحص المرء سويتي البناء السادسة والخامسة في منطقة المرفأ المذكور ، اذ تم في السوية السادسة اعادة بناء الكثير من الابنية ، ولكن بتخطيط مختلف ، اذ هدمت المخازن القديمة دون روية ، واما سوية البناء الخامسة فلم تكن إلا ابنية السوية السادسة التي رممت جدرانها وارضها واعيد استخدامها ، وقد تم العثور في هذه السوية على كمية من الاواني الفخارية القبرصية في حين اختفى كل شيء في السوية الخامسة ، ولكن هذا لايعني ان جميع العلاقات التجارية قد انقطعت مع قبرص ، اذ بقيت الاواني الفخارية التقليدية ،وكذلك الحفر على الكلس القبرصي ، مستمرة قائمة حتى عصر سوية البناء الرابعة ، واما ما يتعلق بالاواني الفخارية فاخذت مراكز صناعية يونانية تنتج نماذج منها في غاية الاتقان ، وتناسب تجارة الكماليات ، وتعبر هذه النماذج مرفأ بوزيديوم في طريقها الى آسيا ، واما المستوردون هنا فكانوا يربطون زبائنهم باحسن المراكز الصناعية اليونانية التي يطلبون منها ان يكون تنفيذ طلبات هؤلاء الزبائن من الاواني الفخارية من اجود الانواع ،ومن ذلك نستنتج اننا نجد في مرفأ بوزيديوم المرفأ الاسيوي على المتوسط مجموعة من الاواني الفخارية اليونانية القديمة ذات الانتشار الواسع ، وذات الجودة العالية الواردة من كل المناطق اليونانية ، وفي المناسبة يجب ان نتذكر ان مستودعات مرفأ الميناء المذكور كانت تستعمل فقط لتخزين بضائع الترانزيت ، واما ماوجدناه في الميناء فكان قطعا من آنية تكسرت اثناء التغليف او التفريغ ، وحتى في هذه الحال فان معظم هذه البقايا يمكن ان يكنس ، ولا يبقى منها الا ما تم نسيانه او غاص في جوف الارض وهكذا لم يبق لدينا اي دليل عن الاشياء السليمة المستوردة او المصدرة .

ة هذا وفي بعض الاحيان عندما كان يشب حريق ويلتهم مخزنا ومحتوياته ، كانت الفرصة دائما قائمة ، لاعادة تشييد مخزن جديد على انقاض المحترق ، وملئه بالاواني الفخارية الكثيرة المتوفرة،وغيرها من الاشياء التي يمكن تعويضها، وفي اغلب الاحيان كانت الاثار التي نعثر عليها من فخار وسواه هي من عمل القضاء والقدر الذي حفظها لنا ، ومع هذا فان الكسر الفخارية التي كشفنا عنها في سويتي البناء السادسة والخامسة فكانت متنوعة ومفيدة انظر الى اللوح /٢٠ آ/ ، وفي المناسبة يمكن لنا ان نعرف ان مرفأ بوزيديوم كان يستورد آنيته الخزفية من مركز رئيسي في الغرب هو جزيرة قبرص التي كانت تصدرالكاسات والجرار الجيدة ذات الغلاف الناعم الابيض ، وذات الاطار القرمزي ،والاحمر، والابيض والجوف الاسود اللامع الذي يسر ويجذب الزبائن الآسيويين ، وقد عثرنا على كسر كثيرة من هذه الآنية ، في حين دلت الاواني الفخارية من رودس / ذات السمات الشرقية / الى اي مدى كان الصانع اليوناني للفخار متأثرا بصناعته بالذوق الشرقي . واما في سوية البناء السادسة فعثرنا على عدد هام من الاواني الفخارية من فترة فجر الكورنثية ، واما في السوية الخامسة فكان الخزف الكورنثي القديم اقل غزارة ، واما الاواني السوداء الموحدة الصادرة عن جزيرة /ليسبوس/ Lesbos فكانت من اختصاص تاجر او تاجرين فيها ، ويبدو ان احدهما كان اختصاصيا في استيراد الاواني من كيوت ، في حين كانت هناك جزر كثيرة تصدر الكاسات الصغيرة الجميلة المزينة بطيور بواسطة الدهان ، وقد كانت تلك سليلةمباشرةمن الفخار ذي الاسلوب الهندسي .

واما فخار سوية البناء الخامسة فيعود بتاريخه الى عام ٥٥٠ قبل الميلاد ، ولكن هناك ثغرة في التسلسل التاريخي قدرها ثلاثون عاما لا نملك عنها سوى كسرة فخارية واحدة ، ومن المحتمل ان يعني ذلك ان احداثا سياسية وقعت جمدت نشاط مرفأ بوزيديوم لبعض الوقت في حين يجب ان نعرف انه خلال هذه الثغرة هناك واقعة تؤكد ان الاواني الفخارية اليونانية لم تنقطع بل كانت موجودة دائما في بلدة الصابونية ، وفي اماكن اخرى من الشمال السوري بشكل استمرت فيه الواردات في الورود ولم تنقطع ، وكان مرفأ بوزيديوم هو مرفأ دخولها الطبيعي ، واما التفسير الذي يبدو اكثر واقعية حول الثغرة المذكورة فهو انه جرى قبل تشييد ابنية سوية البناء الرابعة تجريف وتنظيف موقع هذه الابنية بصورة خاصة ، فضاعت الشواهد التي يمكن لها ان تعلمنا

عن النشاط التجاري الذي وقع خلال المرحلة الثانية الخاصة بسوية البناء الخامسة ، لقد وقع فعلا تنظيف شامل من هذا النوع ، واما سوية البناء الرابعة فتالفت من جزر صغيرة من البيوت لا تتماثل مع تلك التي كونت سوية البناء الخامسة ، وفي اغلب الاحيان كنا نعثر في جوف الارض على طبقة من الاطلال تفصل هذه البيوت عن اساسات سوية البناء الخامسة ، وهذا مايوحي باستمرار التخريب الذي يمكن ان يسبب اختفاء جميع الكسر الفخاريةالمفيدة.

واما اعادة تشييد مخازن المرفا،وترتيبها، فتتطابق مع ثورة وقعت في تجارة الواردات ، وليست نتيجة لها ، وبدءا من هذه المرحلة الواقعة في عام ٥٢٠ قبل الميلاد فان كل اناء يجده المرء في منطقة المرفا كان مصدره اثينا انظر الى اللوح / ٢١ آ / كما وكانت هناك تماثيل صغيرة مصدرها قبرص ، وجعل من الزجاج الازرق من منطقة نوكراتيس Naucradis ، في مصر ، وآنية زجاجية (من زجاج فينيقي) متعددة الالوان ، مصدرها على الارجح سورية الجنوبية ، واما الاواني الفخارية المذكورة ، فكانت اثينا هي التي تحتكر صناعتها كاملة ، كما احتكرتها في العصور السابقة في بضائع فخارية من النوع الممتاز اخذت ترد الان وهي مخصصة على الارجح لقصور الفرس التي كانت تطلب اجود الانواع انظر الى اللوح /٢١ ب/ ، كذلك تم العثور ايضا على قطع كثيرة من الاواني الفخارية يمكن ان نعزوها الى فنانين اصحاب اعمال مشهورة ، وبعض هذه الاعمال هي فعلا جيدة وجميلة والى جانب ذلك وجدنا اوان فخارية بدت من مظهرها الخارجي انها صنعت لزبائن عاديين وبوسائل محدودة ، واما الشيء البارز في هذه الاوان الفخارية ، والذي يلقي ضوءاً جديدا على صناعة الاواني اليونانية هو استمرار الزخرفة الواحدة في جميعها ، وهذا ما عثرنا عليه في غرفة من سوية البناء الثالثة ، وقد تضمنت هذه الغرفة عشر اوان صغيرة لحفظ المراهم بعضها جيد وبعضها اقل جودة ، وكانت جميعها مزخرفة ، ولكنها غير دقيقة ، براس امراة وزهرة انظر الى اللوح /٢٢ آ/ ،كماوتضمنت على نصف دزينة من آنية متماثلة مزينة بنبات شوكي ، هذا ولما كانت الاواني المكسورة التي عثرنا عليها تؤلف نسبة مئوية ضعيفة من المستوردات ، فان هذه الاواني الصغيرة المخصصة للمراهم يجب أن تتضمن نماذج جيدة من كل نوع ، ولما كانت جميع هذه الاواني قد رسمها رسام واحد ، وزخرفها فنان واحد ، فقد اتخذ واحد منها نموذجا يصنع على منواله عمال غير حاذقين يعمل جميعهم

في ورشة عمل واحدة ، وسواء كان الاحتمال الاول او الثاني قائما فاننا امام بيّنة تدل على قيام اسلوب الانتاج المتسلسل في معامل آثينا . تلك نظرة فاحصة غير مباشرة على التجارة اليونانية . واما الامر الآخر الهام فهو العثور على قطع لثلاث اوان كبيرة من نوع /منيرفا/ Panathénaiques ، يعتقد انها استعملت خصيصا جوائز للفائزين بالالعاب الكبيرة المقامة بمناسبة الاحتفال بالربة / منيرفا / ، واما طرح هذه الاواني الثلاث للبيع في مرفأ بوزيديوم فيدل على ان اول وافد الى المرفأ يستطيع شراءها كذكرى ، ويستطيع تصديرها ، واما احدها فكان معطوبا ومرمما منذ امد بعيد ، وقد عثرنا عليه في حي من المدينة التي يمكن لنا ان نؤكد من وراء ما حوته من اوان كثيرة ان سوقاً للبيع قد قامت فيها ، واما الاناءان الآخران فكانا على الارجح جديدين ، ولكنهما كُسِرا صدفة عند وجودهما في المستودع ، واما سوية البناء الرابعة فدامت من تاريخ عام ٥٢٠ الى عام ٤٩٠ قبل الميلاد ، والغريب في الموضوع هو استمرار السوية المذكورة حتى التاريخ المذكور ، واما التجار الآثينيون فقد احتكروا التجارة مع الشرق حتى بداية غزوات /كورش في ايونيا/ التي جعلت من بلاد فارس عدوا لليونان . واما في عام /٤٩٠/ قبل المسيح فوقع الغزو الفارسي على اليونان وكانت معركةالماراتون الشهيرة ، وبعد عشر سنوات كان الغزو الكبير بقيادة / احشويرش/ وسقطت اثينا ، ثم تم دحر الغزاة الفرس في معركتي / سالامين وبلاته ، وتم طردهم خارج البلاد اليونانية ، ولكن الحروب المتقطعة بقيت قائمة بين الفرس والآثينيين على مدى قرن من الزمن ، وفي هذا الوقت الذي كانت اثينا تخوض فيه حربا لا هوادة فيها برا وبحرا مع فارس ، كانت هناك سفن تجارية اثينية تجوب البحر ، وتلقي بمرساتها وتفرغ حمولتها بأمان في ارصفة مرفأ البوزيديوم الذي اصبح مرفأ فارسيا معاديا في ظل الامبراطورية الفارسية في عهد الحكومة المرزبانية الخامسة ، وفي هذا العمل دلالة واضحة على ما كانت تعلقه اثينا من اهمية على تجارتها فيما وراء البحار ، وحتى عندما كانت الحرب تستأثر بكامل طاقتها ، فان الاعمال التجارية يجب ا ن تستمر كالمعتاد ، هذا وليس الكلام المتقدم هو بمثابة تعليق دقيق على الدولة الفارسية التي سمحت لحاكم احدى مقاطعاتها الكبرى ان يستمر في تجارته المعتادة مع العدو اليوناني على الرغم من الحرب القائمة بين فارس وآثينا، وانما هو بمثابة تشريح لعقلية فارسية متطورة قبلت بقيام مستعمرة يونانية على الارض الفارسية تضم التجار الاثينيين ــ اذ من المسلم به ان كثيرين من هؤلاء

كانوا يونانيين ـــ وذهبت في تشجيع تجارتهم الى ابعد من ذلك . لقد عثرنا بين الانقاض على كمية كبيرة من النقود ، وكانت جميع القطع النقدية الصغيرة التي يتوقع المرء وجودها في مرفأ فارسي على البحر الابيض المتوسط هي نقود فارسية ، ولكنها ، ضربت ، في مدينة صيدون /صيدا الآن/ ، وجزيرتي ارواد وقبرص ، واما القطع النقدية من ذات القيمة العالية فكانت جميعها دون استثناء يونانية ، واما الدراهم الفضية ، فكانت مسكوكة في اثينا ، واما المضروبة منها محليا فكانت تقليدا للاثينية . واما العملة المتداولة في التجارة المحلية ، ومع الساحل الفينيقي فكانت العملة الفارسية ، واما ما يتعلق بالعملة الخاصةبالعقود التجارية الهامة فكانت اليونانية الرائجة في مرفأ / البوزيديوم / اي عملة الدولة التي تحارب فارس .

هذا واما في عام /٤٣٠/ قبل الميلاد فاصبحت مخازن الميناء متداعية ، ومن الواجب ترميمها وتجديدها ، واما سوية البناء الثالثة فكانت تجديدا لسوية البناء الرابعة ، وفي عام /٣٧٥/ قبل الميلاد شب حريق هائل اتى على معظم ابنية المرفأ ، فقامت مخازن جديدة مكان المخازن المحترقة ووفق التخطيط القديم / اذ كان الناس عادة يستخدمون بقايا الجدران القديمة كأساسات جديدة / ولكن على ارض منفصلة عن ارض الفترة السابقة ، وبمقدار متر واحد عن البقايا المحترقة ، واما سوية البناء الثالثة فبدت في النتيجة محفوظة جيدا ، واستطعنا في معظم المخازن أن نقارن مفصلا بين محتوياتها فبدا كل شيء منسقا ، وكان من النادر العثور على بقايا اوان فخارية من انواع مختلفة موجودة معا في غرفة واحدة ، حتى الاواني التي تملأ المصابيح لم تكن مع المصابيح ذاتها ، ولكنها كانت في الغرفة المجاورة ، كذلك كان تنوع الاوزان الكثير من يونانية وسورية ، ومن بلاد ما بين النهرين خير دليل على عالمية التجارة ، واما المواد المعدنية فكانت ترد الى هنا من مكان بعيد من بحيرة / وان / في القوقاز .

واما ما كانت تجود به سورية ومصر فكانت التمائم الزجاجية ذات الالوان المختلفة ، وهي على شكل رؤوس انسانية ، واما الزئبق الذي يستعمله رجال الصاغة فوجدناه سائلا في التراب ، وهو مستورد على الأرجح من مناجم /المادن/ علم الدين في اسبانيا ، واما المرفأ او البوزيديوم فكان مزدهرا في هذا الوقت .

هذا وعندما انتصر الاسكندر الكبير على دولة فارس في عام /٣٣٣/ قبل الميلاد اصبح مرفا بوزيديوم اسما وفعلا مدينة يونانية ، وعندما قامت دولة واحدة قوية بلغ نفوذها شرق البحر الابيض المتوسط وآسيا الغربية ، وحققت حرية تجارية اوسع ، وجعلت صناديق التجارة في بوزيديوم تمتلىء بالقطع النقدية المكدونية ذات التداول العالمي مكان النقود الآثينية القديمة ، اخذ الناس يشعرون ان عهدا جديدا من الازدهار قد بدا . ومن هذا المنطلق ، ومن هذه القناعة انطلق الاهلون هنا فاقاموا في المعبد المحلي تمثالا من المرمر نذروه لربة مدينة بوزيديوم تم نحته وفق اسلوب كان مقبولا لدى الاسكندر وخلفائه ، وقد وجدنا راس هذا التمثال مخربا ، بينما حمل هذا الراس في الماضي تاجا مرصعا بحبيبات برونزية ذهبية او فضية ، ويرقد الراس الآن بين اطلال المعبد المذكور انظر اللوح / ٢٢ ب / .

واما هذا الراس ، وبضعة نقود من عهد خلفاء الاسكندر ، واناء فضي واحد فكانت هي الشاهد الوحيد الذي عثرنا عليه يؤكد وجود بقايا مدينة بوزيديوم بعد وفاة الاسكندر .

في عام /٣٠١/ قبل الميلاد اسس سلوقوس نيكاتور وعلى بعد ستة كيلو مترات الى الشمال من الميناء / بوزيديوم/ مرفاه الجديد المسمى سلوقية : السويدية اليوم على البحر ، وهو يتالف من احواض اصطناعية كبيرة وابنية ضخمة ، واما المرفا القديم / الميناء / فلم يقو على الصمود والبقاء امام المرفا الجديد المنافس ، ومن المرجح ان يكون سلوقوس قد اجبر سكان الميناء على هجره والاقامة في المرفا الجديد ، وفي المناسبة لا بد من التنويه الى ان مرفا الميناء عانى خرابا في عام /٤١٣/ قبل الميلاد على يد بطليموس مصر الذي احتله ونهبه وخربه ـ وهذه الحادثة توضح اسباب تحطم تمثال ربة مدينة / الميناء / بوزيديوم ، وبعد ذلك اهمل مرفا الميناء ولم يعمره احد بعد خرابه . لقد استمر الميناء حوالي تسعمئة عام بعد خراب الالاخ ، اذ قام لخدمتها ، ومارس التجارة في خدمة الملوك السوريين الحثيين ، وكان منفذ التجارة الفارسية على البحر الابيض المتوسط ، واما عاصمة السلوقيين الكبيرة انطاكية على نهر العاصي فهي الآن بحاجة الى مرفا حديث يقوم مقام ارصفة شاطىء المرفا القديم بوزيديوم ، واذا عرفنا من الماضي ان بعضا من مراكب الصيد استمرت في الرسو على شاطىء نهر العاصي عند مصبه ، كما تفعل الآن في الوقت الحاضر ، فان كل ذلك يجعل من الامور المستحيلة افتراض قيام رابية اطلال غارقة في المستنقعات لتكون مرفا جديدا للملاحة فيما وراء البحار .

الخاتمة

مرفا القديس سمعان

بقي مرفا بوزيديوم عند مصب نهر العاصي على البحر الابيض المتوسط غربا مهملا طيلة اربعمئة عام ، وغاب اسمه من ذاكرة الناس ، وفي القرن الاول للميلاد عمد الرومان الى تنظيف مجرى العاصي الاسفل وجعلوه صالحا للاحة المراكب الصغيرة من مصبه على البحر حتى مدينة انطاكية ، وكان من الطبيعي قيام بعض الابنية ، والمخازن الجمركية عند المصب المذكور ، وفي القرن الرابع للميلاد اصبح المرفا المذكور محطة بحرية صغيرة ، وقد اشار مؤرخان كلاسيكيان متاخران الى قيام مرفا طبيعي بالقرب من السويدية سلوقية على البحر اسمه بيتيليون وهو لايمكن ان يكون الا مرفا الميناء ، وفعلا فقد وجدنا في هذا المكان بقايا ابنية يمكن ان نعزو تاريخها الى القرن الخامس او السادس الميلادي ، واحد هذه الابنية كان يؤلف بناء له اهميته لانه تضمن منبرا وكرسيا حجريا متحركا له قواعد اعمدة مقبولة ومزخرفة نفذت بعناية فائقة ، وفي اعلى احد هذه الاعمدة الحجرية تم حفر صليب مضاعف تضمن ان مدينة انطاكية الآن اصبحت من اهم مراكز المسيحية في العالم ، ومن خلال لقى نقود تم العثور عليها في هذا البناء وتعود الى عصر الاباطرة / جوستين / ، وجوستينيان، وهرقل تأكد ان الميناء القديم كان في القرن السادس وبعده حيا قائما ، وهذا شيء طبيعي ، واما زلزال عام /٥٢٦/ الكبير الذي اصاب المنطقة ودمر مدينة السويدية على البحر ، واكملت الزلازل خلال قرن من الزمن تدمير مابقي من السويدية ، وانطاكية التي تم ترميمها كثيرا او قليلا ، واما المنشآت الواسعة الاصطناعية المدمرة في السويدية المذكورة فلم تعد ثانية الى الوجود في ظل عصر مضطرب متقهقر ، واما سكان مدينة انطاكية الذين اصابهم الفقر بعد ان اصبحت مدينتهم صغيرة ، واصبحوا غير مرتبطين بالبحر مباشرة لان الزلازل المذكورة قد جعلت

نهر العاصي غير صالح للملاحة ، ولم يبق امامهم والحال هذه من مورد رزق سوى استعمال الميناء القديم عند مصب النهر فقط ، واما تدهور حالة انطاكية ، وانحسار تجارتها الشديد ، فقد جعل دوام ميناء /بيتيليون/المذكور قصيرا ، واما تنقيباتنا فلم تقدم لنا شيئا يعود بتاريخه الى العصرين السابع والثامن ، واما المكتشفات الاثرية العائدة الى منتصف القرن التاسع ومابعد فكانت غزيرة ، اذ كان هناك بقايا ابنية بعضها واسع ، وكميات من الاواني الفخارية كثير منها متناسق ، وكثير آخر كان من الزجاج المزخرف ، وبعض منها تمت صناعته في الامكنة المجاورة ، وفيه العديد من الاواني الفخارية المزججة ، كما وتضمنت المكتشفات المذكورة نماذج من نوع ذات البريق المعدني وردت من بلاد مابين النهرين ، وهي في طريقها الى التصدير عبر الميناء المذكور ، وهكذا عاد الميناء القديم يلعب نفس الدور الكبير الذي لعبه قبل الفي عام ،وفي ظل الخلفاء العباسيين في بغداد وسامراء الذين شجعوا التجارة مع عالم غرب البحر الابيض المتوسط بقي الميناء المذكور مزدهرا حتى وقع الغزو البيزنطي في عام ٩٦٩ للميلاد على انطاكية وتم احتلالها ، فاضطرب العمل في الميناء وانقطعت التجارة مع بلاد مابين النهرين بعد ان اصبحت انطاكية بيد البيزنطيين الذين لايملكون شيئا للتجارة والتصدير ، ولم نعثر في هذه المرحلة الا على عشرة نقود تمثل فترة زمنية قصيرة قدرها مئة وثلاثون عاما اعقبت الاحتلال المذكور ، واما في عام ١٠٩٧ فقد استطاعت الحملة الصليبية الاولى على المشرق العربي أن تحتل انطاكية ، واستطاع الاسطوال الجنوي ان يحتل الميناء المذكور ، وهذا يعني عصرا من الازدهار اصاب المنطقة ، وعندما استولى البطل صلاح الدين الايوبي على مدينة اللاذقية بعد عام ١١٨٨ م ، أصبح الميناء المذكور ميناء مصب نهر العاصي على البحر هو المرفأ الهام الوحيد الباقي بيد حكام انطاكية ، وانتصبت على بعد كيلو متر ونصف منه ، وعلى اولى الروابي الواقعة الى الشمال الشرقي منه مدينة سكنية هي السويدية ، وازداد الميناء اتساعا ، وبعيدا عن منطقة التنقيبات استطعنا ان نتبين في هذا الميناء تلك الجدران السميكة الاسمنتية ، والارصفة ، وخطوط الابنية المبنية بحجارة بيضاء منحوته ، واصبح هذا المكان الان يعرف باسم ميناء القديس سمعان ، وقد جاءه هذا الاسم تيمناً باسم ثاني راهب كبير من رهبان المسيحية في العالم القديم ، امضى معظم حياته وهو يتعبد ربه على راس عمود عال ، واما ضريح هذا الراهب القديس فقام على رابية مجاورة ، واما النقود التي عثرنا عليها هنا

فتعود بتاريخها الى مابعد انتصارات الصليبيين بقليل وانتصار تانقريد الذي اصبح دوقا في ١١٠٤ م[1] وهذه النقود الاولى المكتشفة كانت كثيرة ويعود تاريخ معظمها الى مابعد استرداد اللاذقية من يد الصليبيين ، والى هذه المرحلة اللاحقة من تاريخ المنطقة يجب ان يعود تاريخ الابنية الرئيسية او تاريخ معظم الاشياء التي عثرنا عليها بين اطلال الميناء على الاقل ، ومن اهمها تلك الاواني الفخارية التي كان يستعملها الصليبيون[2] ، وهي عبارة عن اوان خزفية سمراء مغطاة بطبقة بيضاء وحولها زخرفة حفرت في صلصال اسمر قبل قاعدة الاناء ثم تم اضافة الوان خضراء ، وزرقاء ، واحيانا قانية اليها ، وتم بعد ذلك تغطيتها بغطاء من الدهان الرصاصي ينقلب بعد خروجه من الفرن الى لون مشرب بالصفرة انظر الى اللوح/٢٣/ . واما وجود بعض من اوان فخارية لم تكن معروفة عند الصليبيين ضمن ماتم كشفه فيدل على ان صناعتها كانت محلية تتم في ميناء القديس سمعان ، وقد تم العثور على نماذج من هذه الاواني الخزفية الزجاجية غير المصقولة ولكنها جذابة في امكنة سورية مختلفة والى ابعد من جنوبها اي الى مابعد جبل الكرمل ، وتم تصدير الكثير منها الى اماكن اخرى خارج سورية مثل تلك الطاسة الجميلة التي ترقد الان الى جانب محتويات متحف المملكة فيكتوريا والملك البرت في لندن ، فقد وجدت موضوعة بالقرب من برج الاجراس في كنيسة بيزي في لندن للزينة ، واما الخزف فكان خزفاً سورياً تزيينيا ، واما الزينة فهي في طبيعتها بسيطة ، والرسم بدائي ، واما فنانو الصناعة الخزفية هذه فكانوا مواطنين سوريين كما تدل على ذلك كتابة عربية منقوشة على آنية خزفية ، واما السمة الشرقية فبادية على اشكال كثيرة تزيينية تزين الآنية المذكورة ، واما الزينة ذات الطابع المسيحي القائمة على الاواني المذكورة فكانت نادرة ، ويؤكد ذلك عثورنا على قطعة كبيرة من آنية خزفية تضمنت صورة مفصلة لجندي صليبي برداء ذي زرد انظر الى اللوح/٢٣/ ، واما بقع الالوان على القعر الابيض للاناء المذكور فكانت موزعة بعناية ، واما طابعه العام فكان جذاباً ودقيقاً ، واما الافرنج فمن المفروض انهم حملوا الى بلادهم نماذج من الاواني الفخارية المطبخية التي كانوا يستعملونها ابان وجودهم في المشرق العربي ، علما بأن ميناء القديس سمعان

(١) عدْ الى كتاب : E. S. C. لروبنسون /و/ د ـ اللين ـ الخاص بتاريخ النميّات ـ المجموعة الخامسة ـ المجلد /٨٧/ لعام ١٩٣٨ .

(٢) عدْ الى كتاب ـ آرثر ـ لين ـ مكتشفات من القرون الوسطى في منطقة الميناء في شمال سورية ـ اركولوجيا ـ المجلد /٨٧/ لعام ١٩٣٨ ـ صفحة /١٩/ .

بقي ينتجها طيلة الفترة الواقعة بين ١٢٠٠ و ١٢٦٨ ميلادية وذلك قبل ان تقوم صناعة خزفية ايطالية مماثلة لصناعة الخزف القائمة في الميناء المذكور ، ومن المحتمل جدا ان يكون الخزف المطلي السوري الجذاب قد تم اتخاذه نموذجا للانتاج لدى الفخار الايطالي ، وان يكون / الماجوليك / سكان جزيرة ماجوليك قد تأثروا بالخزف السوري في صناعتهم الخزفية كثيرا او قليلا .

بدأنا التنقيب في منطقة الميناء على امل العثور على القناة التي حملت مؤثرات الفن الآسيوي الى غرب المتوسط لتعمل هناك وتؤثر ، ودلت المكتشفات التي عثرنا عليها في الالاخ /تل العطشانة/ مايؤيد صحة القول المتضمن ان جزيرة كريت اخذت من هنا من منطقة الميناء على الاقل وبدءا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد اخذت التقنية الخاصة بالعمارة وبالخزف المطلي ، هذا وبشكل غير متوقع قدمت لنا البقايا الاثرية التي عثرنا عليها في منطقة الميناء معلومات واسعة ليس فقط عن العلاقات القائمة بين الجزر اليونانية وآسيا إبّان القرن الثامن للميلاد والقرون اللاحقة ، ولكن ايضا عن تلك العلاقات التجارية التي بقيت دائمة بين اثينا وبلاد فارس رغم الحروب المستمرة فيما بينهما ، وهذا التقليد الذي ساد العلاقات التجارية المذكورة مع الغرب بقي قائما حتى النهاية ، وقد استطاع مرفأ بوزيديوم الذي بُعث من جديد لفترة زمنية قصيرة تحت اسم مرفأ القديس سمعان ان يستمر في اغناء فناني الغرب بافكار وتقنيات شرقية جعلتهم يستوحون فنونا جديدة سادت البلاد الاوروبية فيما بعد .

هذا وعندما حرر الملك الظاهر بيبرس الميناء / المرفأ / المذكور من ايدي الفرنجة انصرف اهتمام الناس عنه ، فتساقطت ابنيته وتداعت واصبحت انقاضا ، الى ان تم تسوية ارض الميناء المذكور لتزرع من جديد لا بابنية وانما بمزروعات وخضار ، وحتى الآن ما زال هناك بعض المراكب الشراعية تنقل الاخشاب ومواد البناء لتفرغها عند مصب العاصي على البحر ، واما مستودعات الجمارك من القديم فتكاد الآن لا تستحق اسم / الميناء / الذي قامت الى جانبه اذ زالت من الاذهان جميع تسميات هذا الميناء ، وطغى مزار رجل من الصالحين اسمه / الشيخ يوسف / وهو قريب من الميناء / ميناء القديس سمعان / على جميع

التسميات الاخرى ، وعلى بعد كيلو متر ونصف شمال الميناء ـ مصب نهر العاصي ـ يقوم ضريح ولي صالح ، ذو قبة بيضاء ، انظر الى اللوح /٢٤ ب/ يحترمه الجميع ، ويحجون اليه ، ويحرقون البخور حوله ، واذا سألت احدهم من هو هذا القديس الذي تكرمون اجابك انه / شيخ البحر / او / سيد البحر / ولايزيد على ذلك شيئا .

وفي هذه المناسبة يطيب لي ان اتذكر اله البحر في القديم ـ حيث شيخ البحر الآن ـ ، واتذكر اربعة آلاف عام سبقت عرفت وصول نوتيّي الالاخ الى منطقة الميناء ، واليونانيين من بعدهم الذين جاؤوا الى هنا يتحدون مع / بوزيدون / رب البحر عندهم الذي كرموه فانشاوا له مرفأ سمّوه بوزيديوم ، وان اقول ايضا ان اله البحر في القديم هو دائما هنا بوصفة / شيخ البحر / مكرم معزز من حيث يدري ولا يدري .

★ ★ ★

التاريخ	مستوى تل العطشانه	بلاد ما بين النهرين	مصر	سورية الشمالية
قبل الميلاد	تل الشيخ	تل حلف العبيد		
٣٤٠٠ (أ)	طبارة الاكراد	اوروك	قرابة السلالة الوسطى	
٣٤٠٠ – ٣٢٠٠	السويه السابعه عشرة			
٣٢٠٠ – ٣٢٠٠	السويه السادسه عشرة			
٣٢٠٠ – ٣١٠٠	السويه الخامسه عشرة			كركميش في العصر الحجري القديم
٣١٠٠ – ٢٩٠٠	السويه الرابعه عشرة	جمدة نصر		كركميش في عصر البرونز الاول
٢٩٠٠ – ٢٧٠٠	السويه الثالثه عشرة	السلالة القديمة (المدافن الملكية في اور)		
٢٧٠٠ – ٢٣٥٠	السويه الثانيه عشرة	السلالة القديمة		
٢٣٥٠ – ٢٢٠٠	السوية الحادية عشرة	سرجون الاكادي نرام سين		
٢٢٠٠ – ٢٠٥٠	السويه العاشرة	قوتي		
٢٠٥٠ – ١٩٢٢	السوية التاسعة	السلالة الثالثة في / اور / آخر مستعمره في كول تبه		
١٩٠٠ – ١٧٨٠	السويه الثامنة		السلالة الثانيه عشرة غزو سورية الشمالية	
١٧٨٠ – ١٧٥٠	السويه السابعة حمورابي – ياريم ليم تقميبا	حمورابي البابلي ريم سين من لارسا		
١٧٥٠ – ١٥٩٥	السوية السادسة			فخار اسود على احمر قبرصي موروسيل الحثي يحتل حلب ١٥٩٥

التاريخ	مستوى تل العطشانة	بلاد ما بين النهرين	مصر	سورية الشمالية
١٥٩٥ – ١٤٤٧	السويه الخامسة			
	المرحلة آ – ١٥٩٥ ١٥٢٧		تحوتمس الاول يغزو وادي الفرات ١٥٢٧	تطور ميتانيا
	المرحلة ب – ١٥٢٧ ١٤٤٧ – اصبح ناكو ملكا على نحاسي		تحوتمس الاول يفرض الضرائب على الالاخ	
١٤٤٧ – ١٣٧٠	السوية الرابعة		امينوفيس الثاني	ميتانيا
	تقميبا		١٤٤٧	سوساتار
	ايليم – ايليما ابلدى – مي اداد – نيرارى		تحوتمس الرابع يعقد (معاهدة مع ميتانيا ١٤٢٠)	ارتاتاما سوتارنا الحيثيون
	ناكوارا		آمينوفيس الثالث اخناتون ١٣٧٥	استولى سوبيلوليوما عام ١٣٨٧ على سوتارنا غزا الميسون جزيرة كريت عام ١٣٧٠ مات سوبيلو ليوما عام ١٣٤٧
١٣٧٠ – ١٣٤٧	السوية الثالثة			
١٣٤٧ – ١٢٨٣	السوبة الثانية		رمسيس الثاني يقود معركة قادش ١٢٨٩	مورسيل الثاني
	السوية الاولى			
١٢٨٣ – ١١٩٤	المرحلة آ – ١٢٤١ المرحلة ب – ١٢٤١ – ١١٩٤ غزت شعوب البحر الالاخ ودمرتها	سلمان – آساريد الاشوري توكولتي نينورتا يحتل بال ١٢٤١	رمسيس الثاني صلحا مع هاتوشيل ١٢٧٢	موتاوالي هاتوسيل توتاليجا الرابع ١٢٥٠

فهـرس

تاريـخ الميـناء

اعوام بعد المسيح :

اعوام ٤٠٠ – ٥٠٠ – قيام مرفا جديدة اسمه بيتيليون	عام ١٢٨٦ – سقوط انطاكية بيد العرب المسلمين ونهاية مرفا القديس سمعان
اعوام ٥٢٦ – ٦٥٠ – دمار السويدية على البحر ، وتطور مرفا بيتيليون ، تدهور الحال بعد عام ٦٥٠.	– معلومات من سوية البناءالاولى في منطقة الميناء
اعوام ٨٥٠ – ٩٦٩ – الميناء تحت سلطة الخلفاء العباسيين	– معلومات من سوية البناءالاولى – ب – من منطقة الميناء
اعوام ٩٦٩ – ١٠٩٧ تدهورت حالة الميناء ابان حكم البيزنطيين	
اعوام ١٠٩٧ – ١٢٨٦ – اطلق على الميناء اسم القديس سمعان في ظل حكم الصليبيين	– معلومات من سوية البناء الاولى – آ – من منطقة الميناء

★ ★ ★

فهرس الألواح

الصفحة

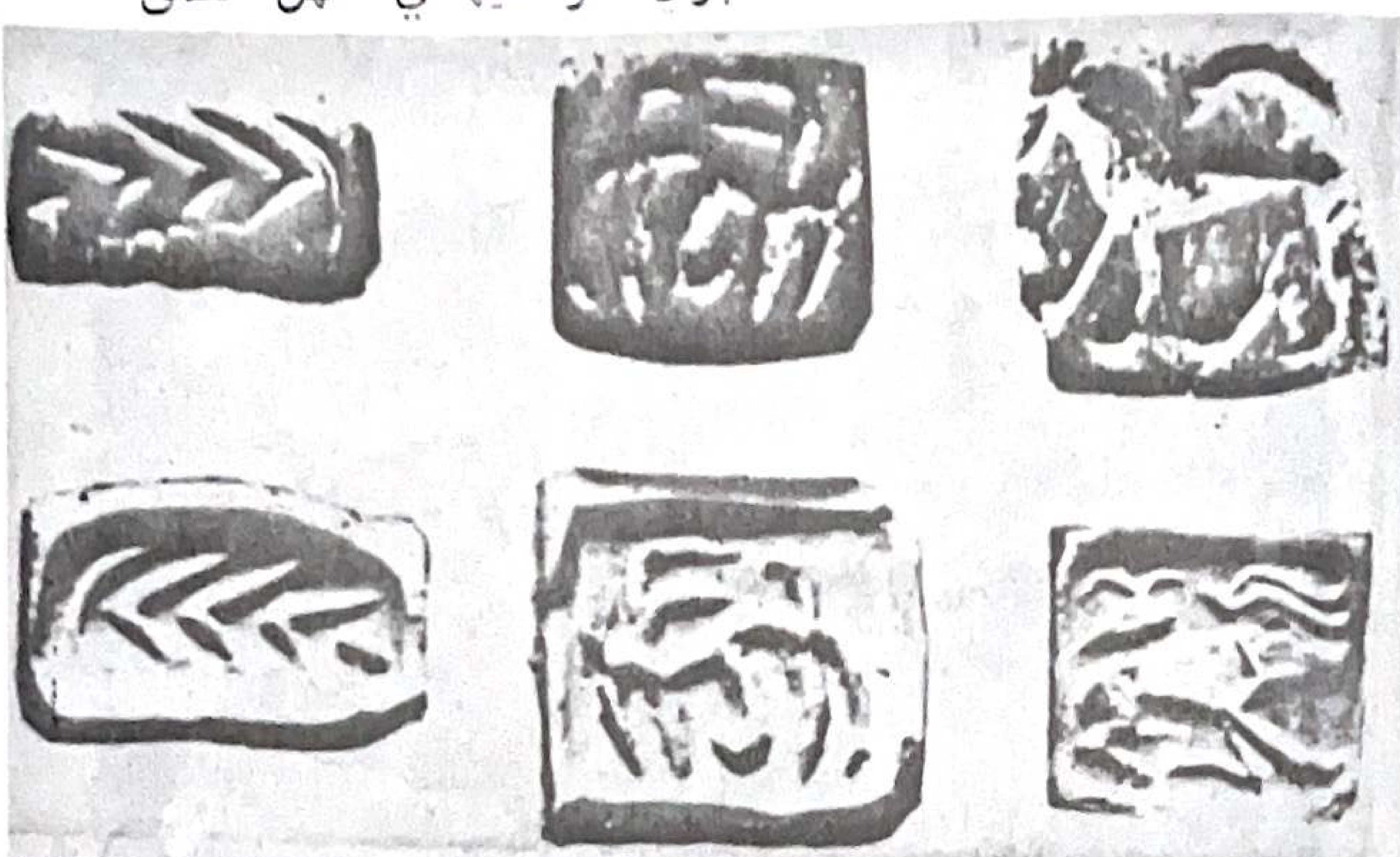
الصفحة

الألـــواح



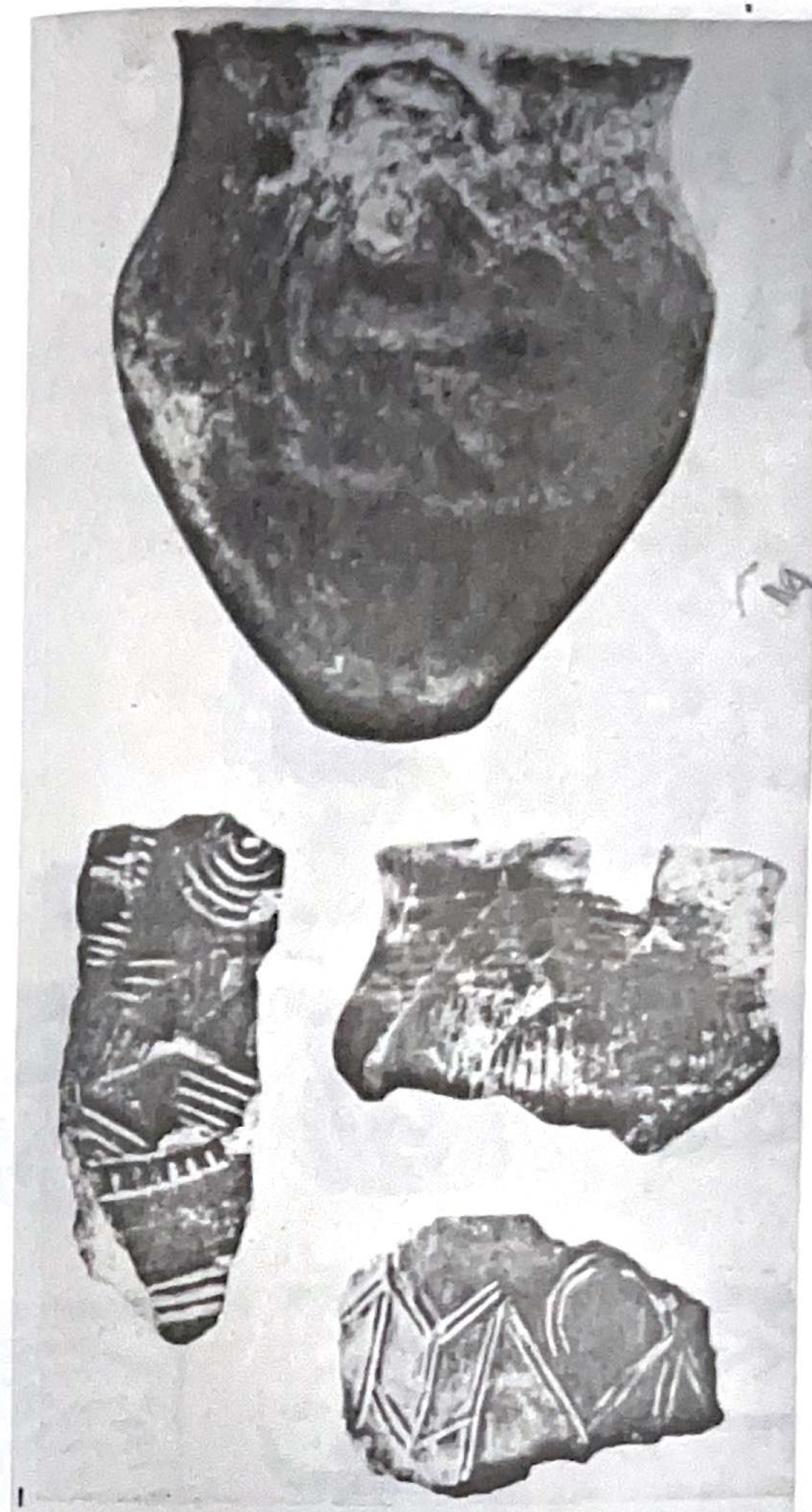
(a) Figurine néolithique de pierre provenant de la plaine de l'Amq.

آ – دمى من العصر الحجري عثر عليها في سهل العمق



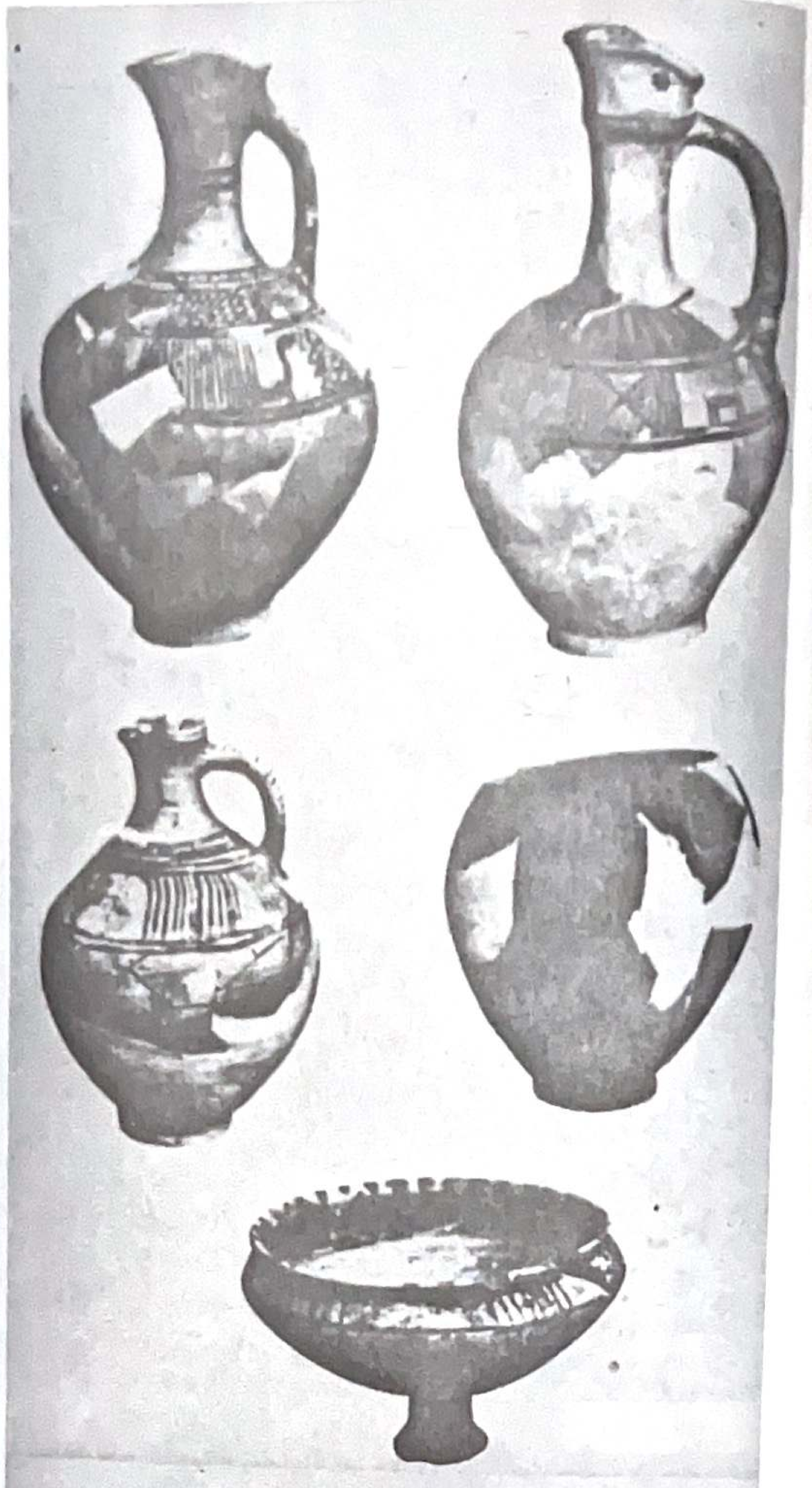
b) Spécimens de sceaux provenant de Tell ech Cheikh.

ب – نماذج من الاختام التي عثـر عليها في تل الشيخ



Poterie " Khirbet Kherak " de Tabara al Akrad.

فخار ـ خربة الكرك ـ من طبارة الاكراد



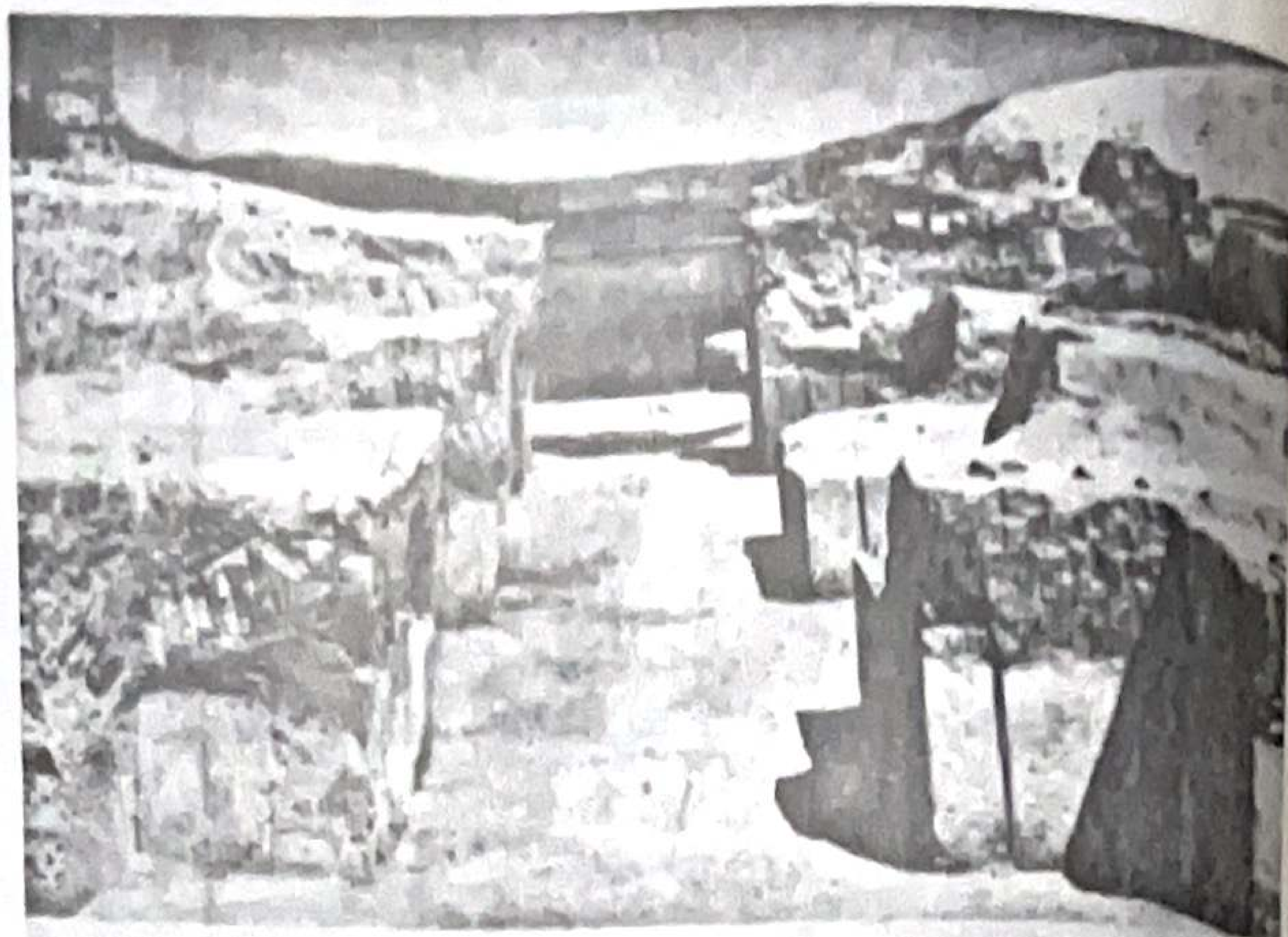
Spécimens d'ancienne poterie peinte d'Atchana.

نماذج من الفخار الملون في تل العطشانة



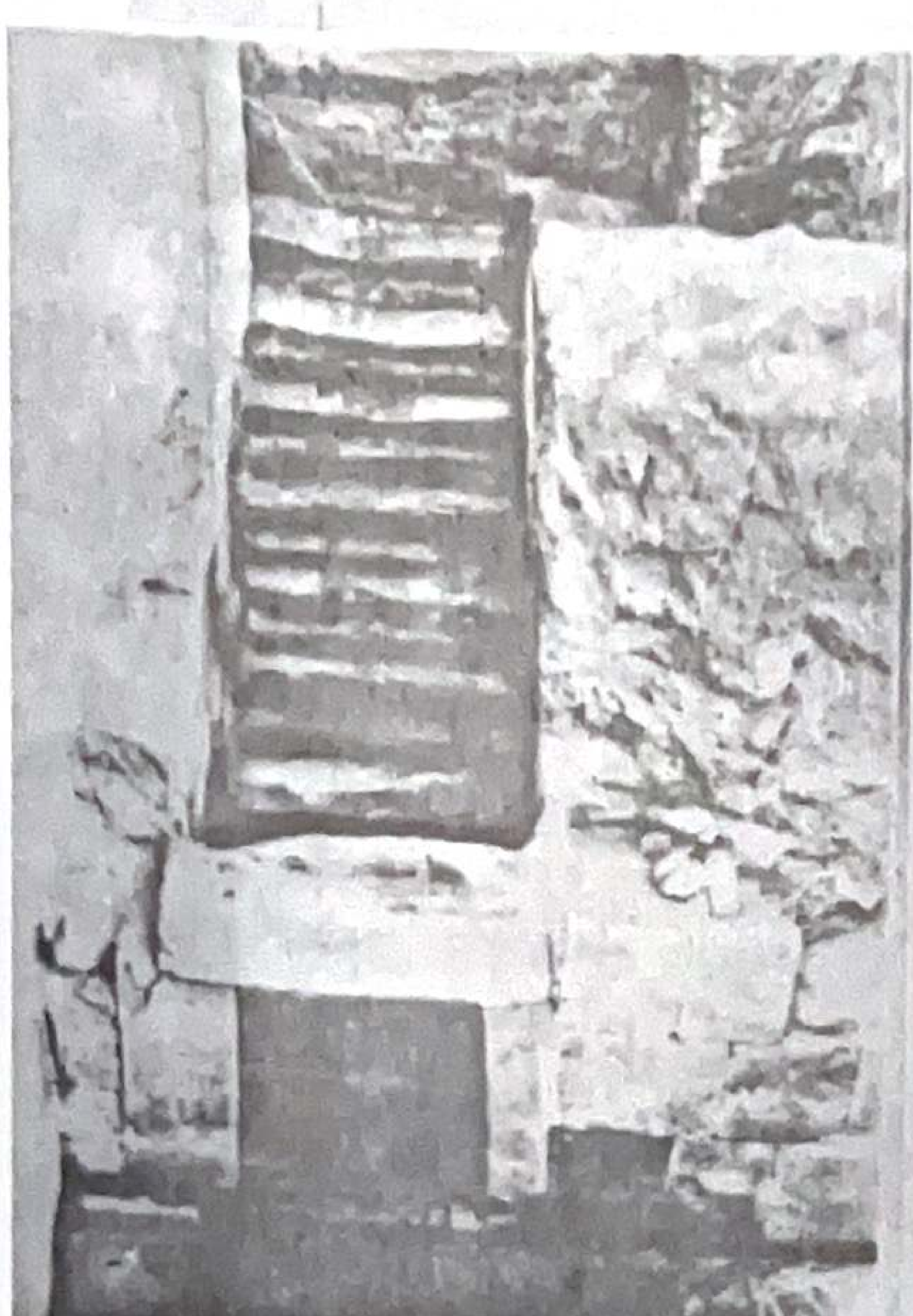
La première apparition des colonnes de briques crues du palais du Niveau XII.

اول ظهور اعمدة اللبن في قصر السوية (١٢)



(a) La porte de la Ville du Niveau VII, avec la vue sur la plaine.

آ ـ باب المدينة من
من السوية /٧/ مع
الاطلالة على السهل

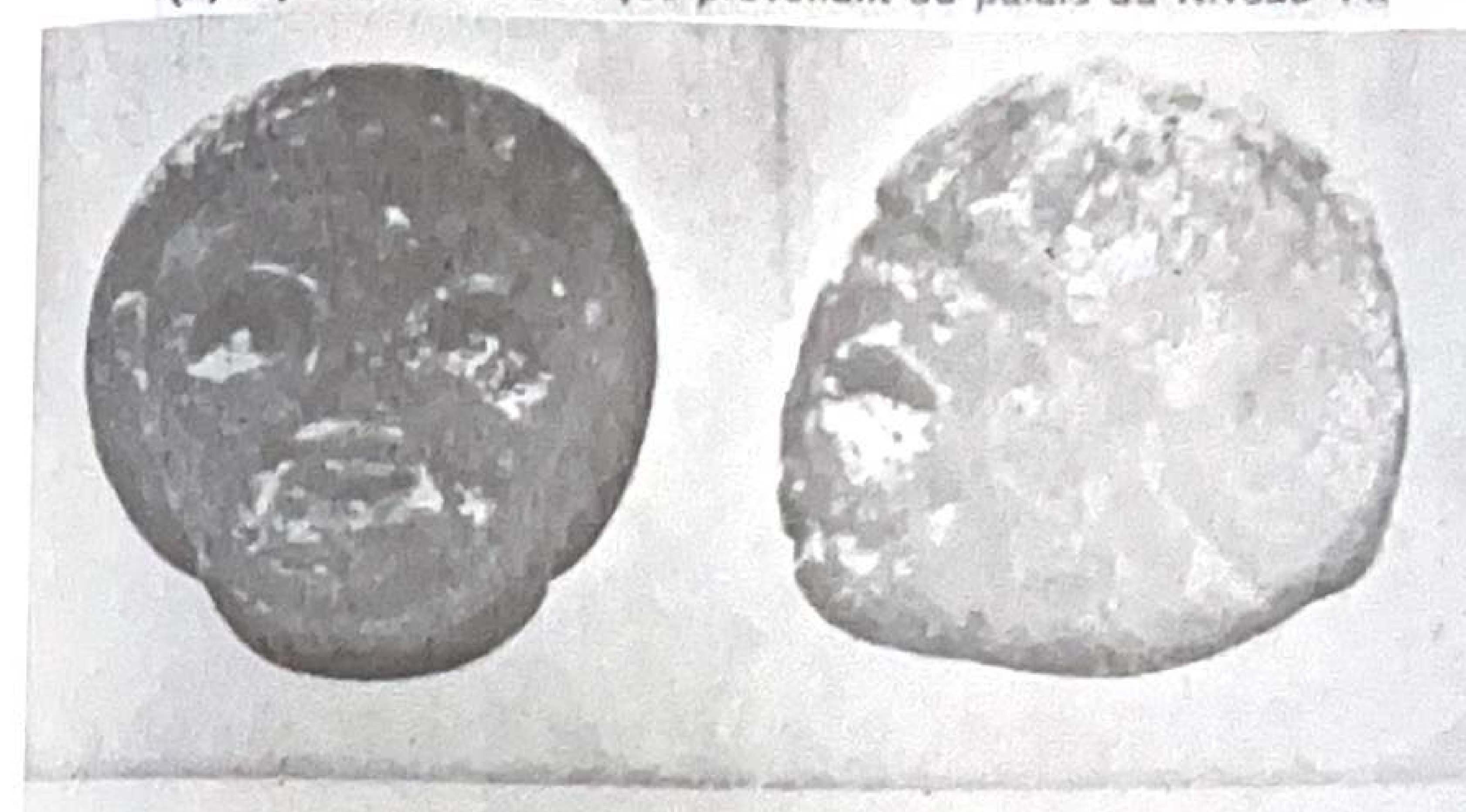


(b) Marches descendant jusqu'à la porte de basalte du puits dans le palais du Niveau VII.

ب ـ درج مؤدي الى الباب البازلتي في قصر السوية السابعة



(a) Spécimen de fresque provenant du palais du Niveau VII



(b) Tête de pierre de style égyptien provenant du temple du Niveau VII.

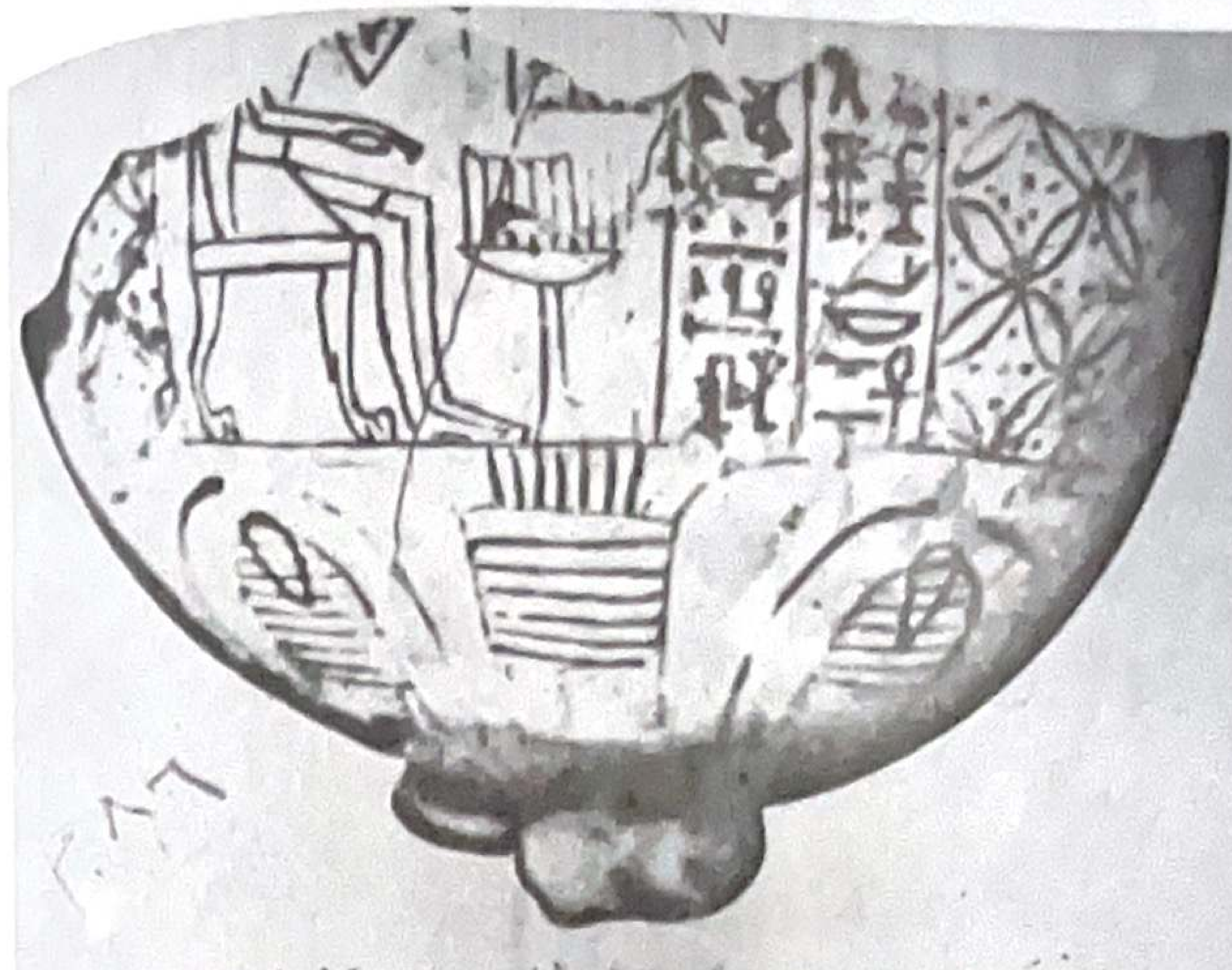
آ ـ بعض اللوحات الجدارية من قصر السوية السابعة

ب ـ رأس من الحجر على الطراز الفرعوني من معبد السوية السابعة



Tête de pierre, peut-être un portrait du Roi Yarim-Lim, provenant du temple du Niveau VII.

رأس من الحجر يعود ربما للملك ياريم ليم من معبد السوية /٧/



(a) Bol de faïence avec inscription hiéroglyphique, Niveau V.

آ – طاسة من الخزف عليها كتابة هيروغلافية السوية /٥/



(b) Spécimens de poterie noire avec un décor imprimé.

ب – نماذج من الفخار الاسود مع تزيينات مطبوعة



Spécimens de poterie "à engobe blanche" et à "anneau de base" de la sorte commune à Chypre.

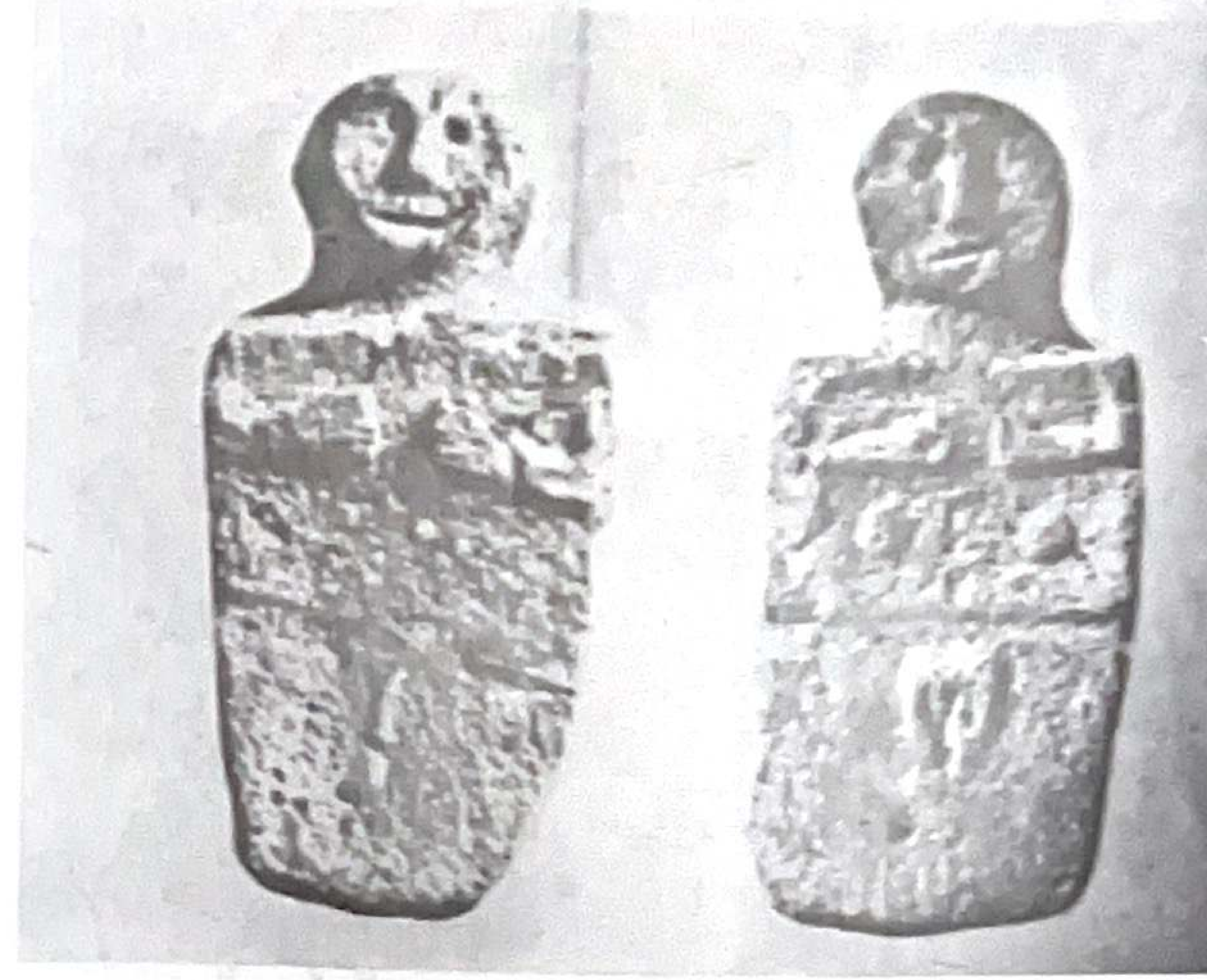
نماذج من الاواني الفخارية المعروضة في قبرص

(a) Le "Mithraeum" avec sa banquette et son autel du feu.



آ ـ مجمع الشهداء والمسطبة
ومقبح النار

(b) Une paire d'idoles de pierre grotesques provenant du Niveau V.



ب ـ معبودتان من الحجر
من السوية الخامسة



La "Salle des Audiences" (chambre 28) dans le palais du Niveau IV, avec sa construction mi-boisée. Dans le trou dans le sol se trouve la base de la colonne de pierre située entre deux piliers de pierre.

قاعة الشرف الفرفة (٢٨) من قصر السوية الرابعة
وبنائه المدعوم بالخشب ثقوب في الارض وموقع قاعدة لعمودين دعامتين

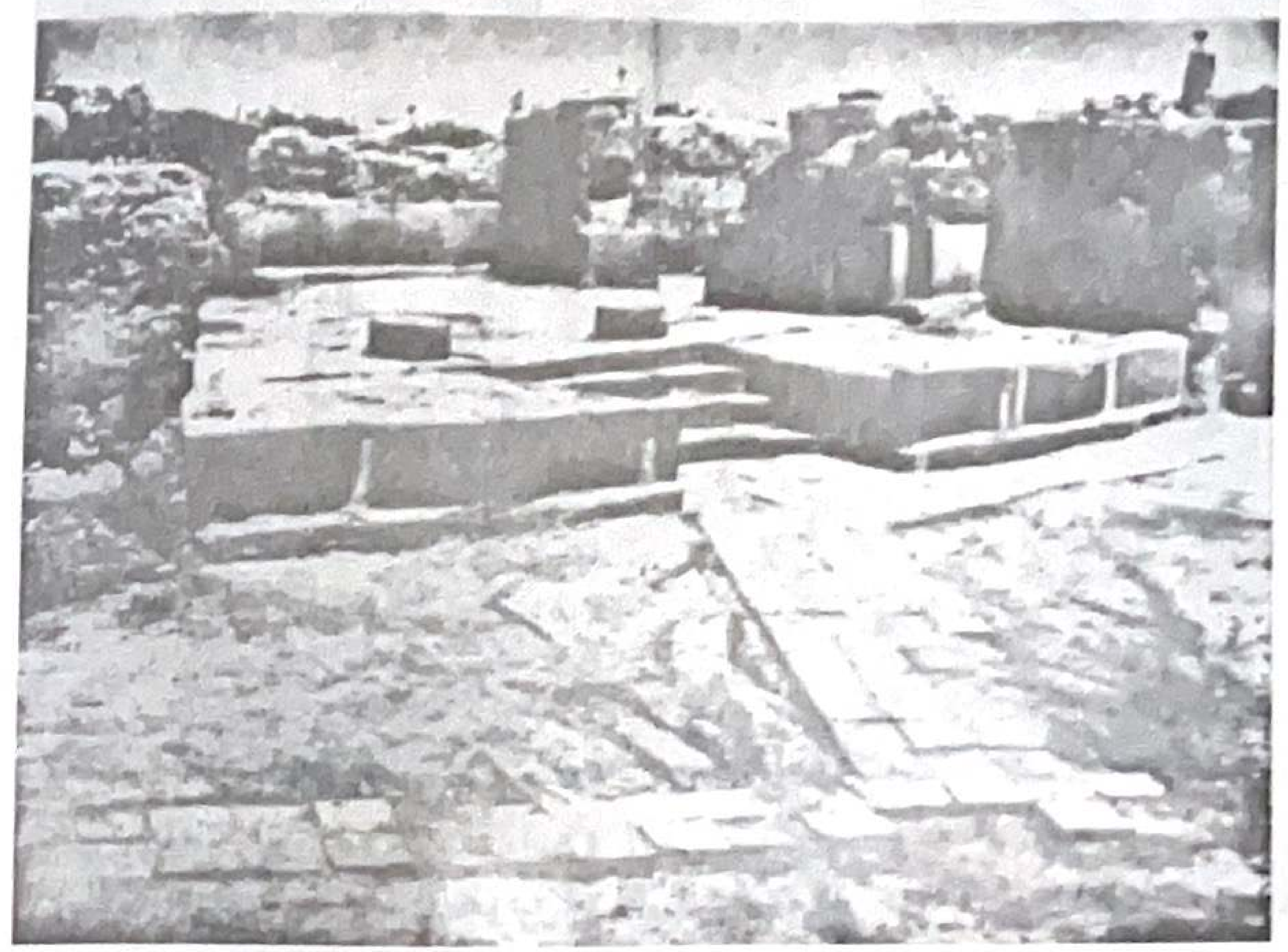
(a) Statue du Roi Idri-mi avec inscription.

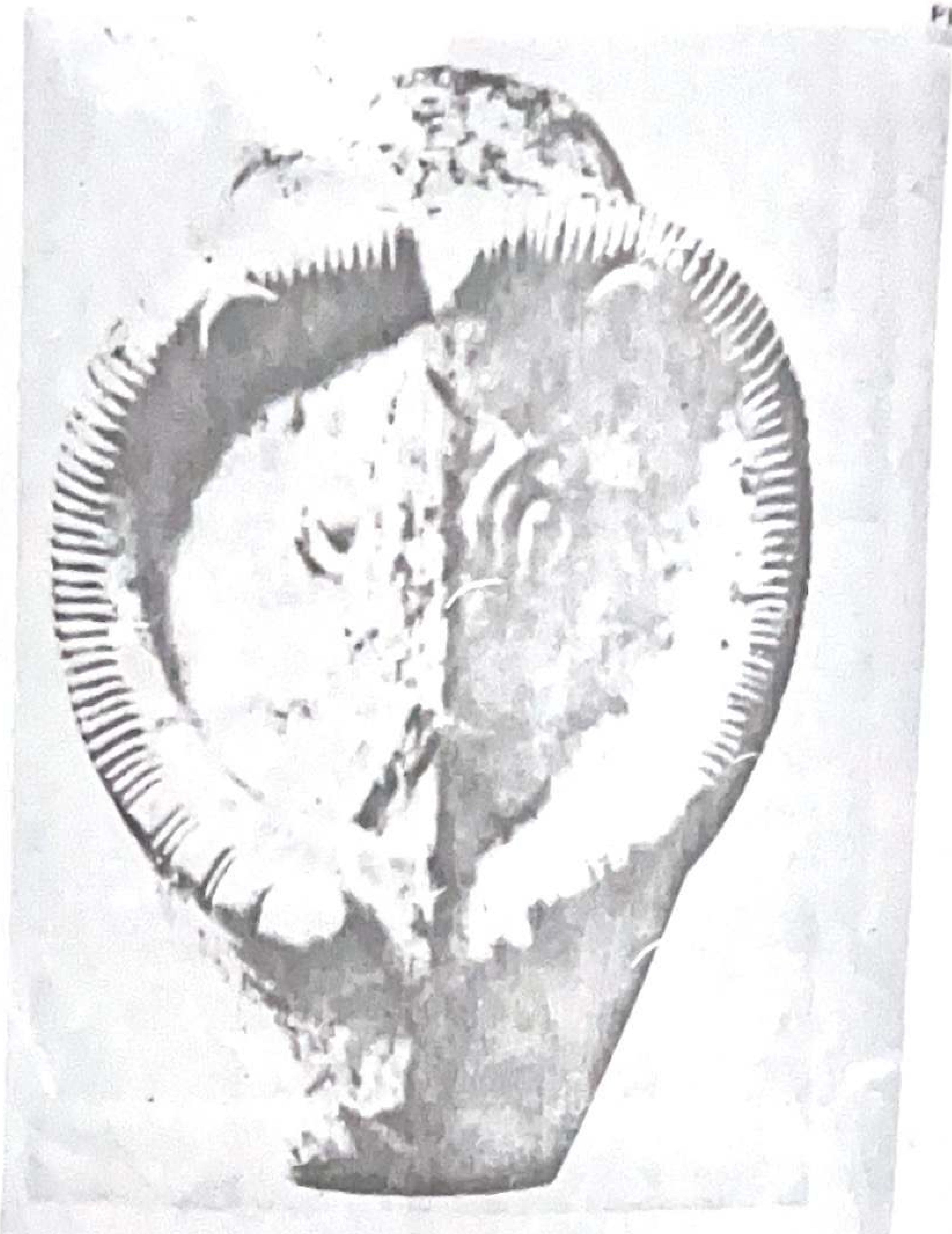


آ ـ تمثال الملك ادري ـ مي
وعليه كتابة

ب ـ مدخل القصر العائد الملك
نيكميبا

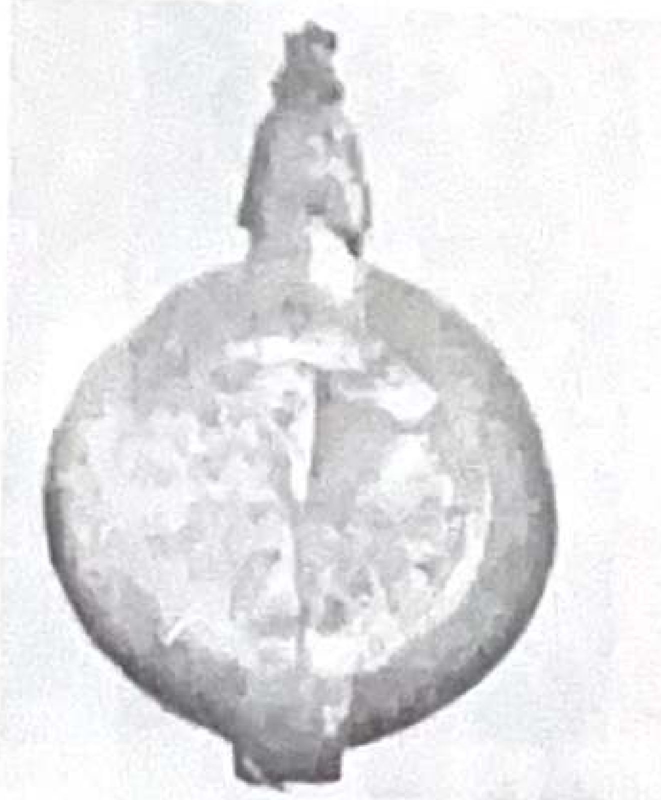
(b) Entrée du palais de Niqmépa, vue de l'avant-cour.

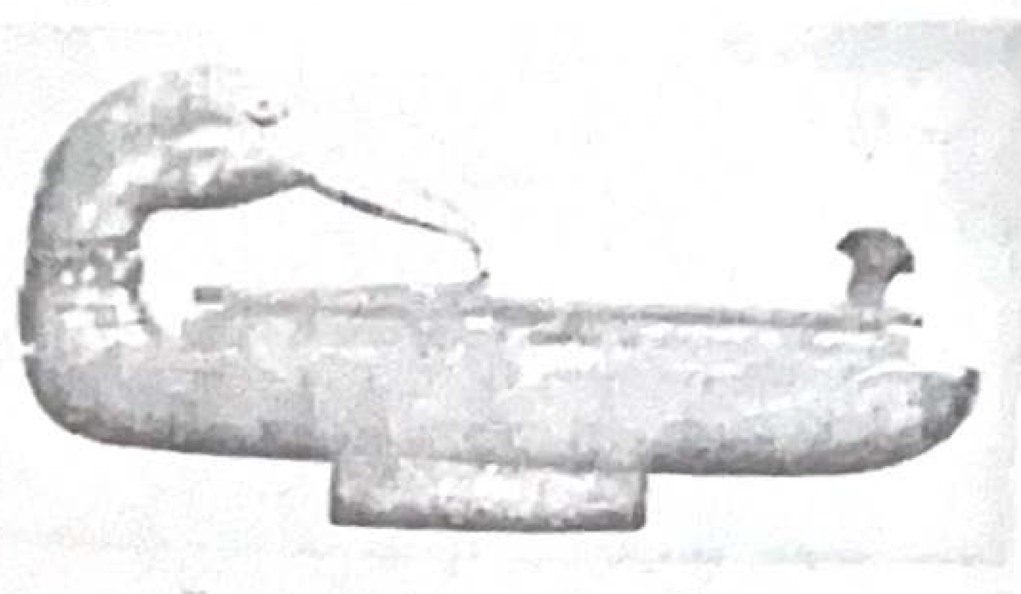




(a) Tête de bélier en pierre provenant du palais du Niveau IV.

آ ـ راس كبش من الحجر في قصر السوية الرابعة





(b) & (c) Objets de toilette d'ivoire dans le style égyptien provenant du palais du Niveau IV.

ب ـ جـ ـاواني من العاج على الطراز المصري وجدت في القصر العائد للسوية الرابعة

PLANCHE XIV



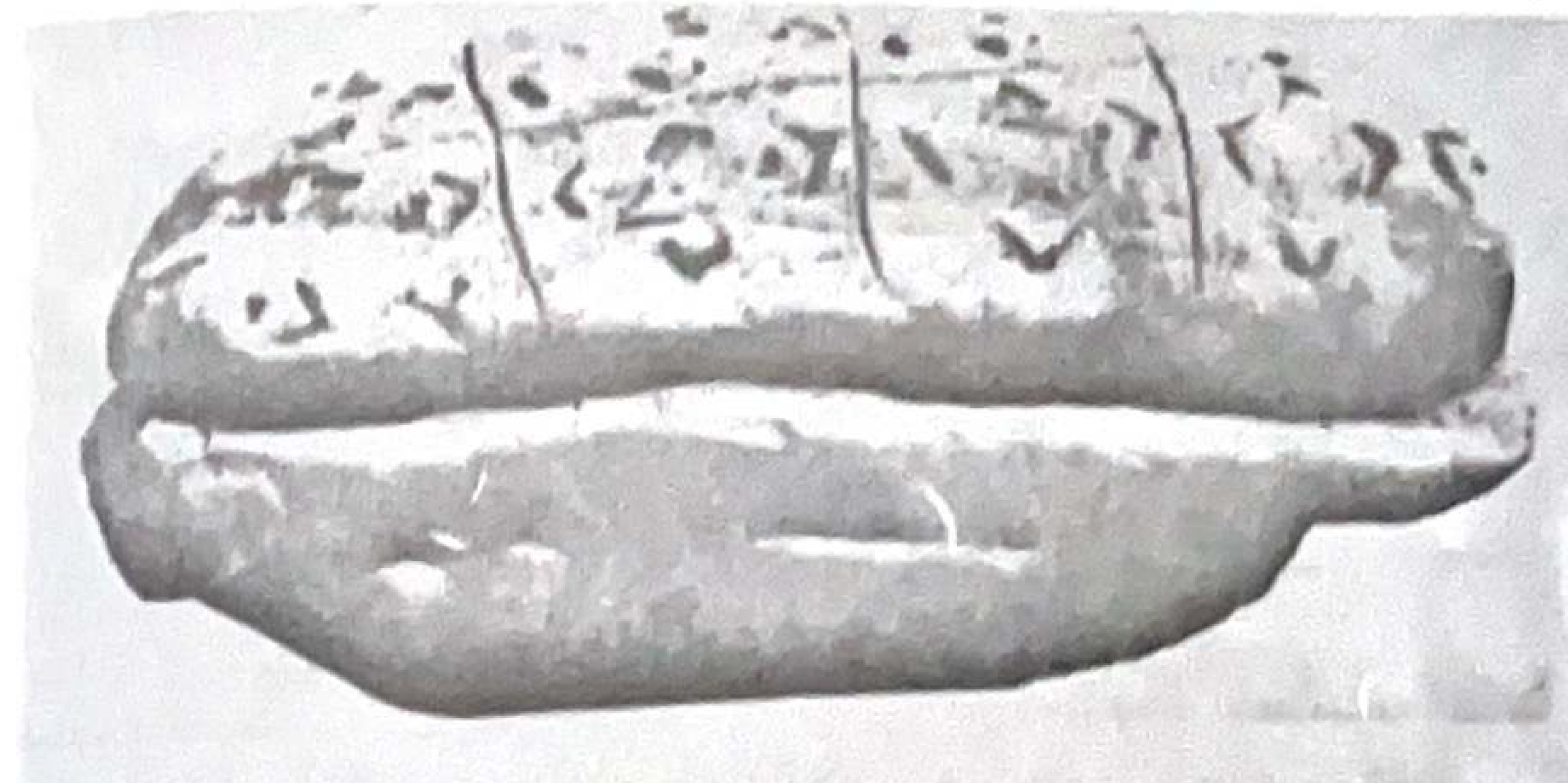
(a) Tablette portant le sceau du Roi Ilim-ilimma. Le Roi tient le symbole de longuevie égyptien.



(b) Rondelle de pierre avec inscription "proto-hittite".

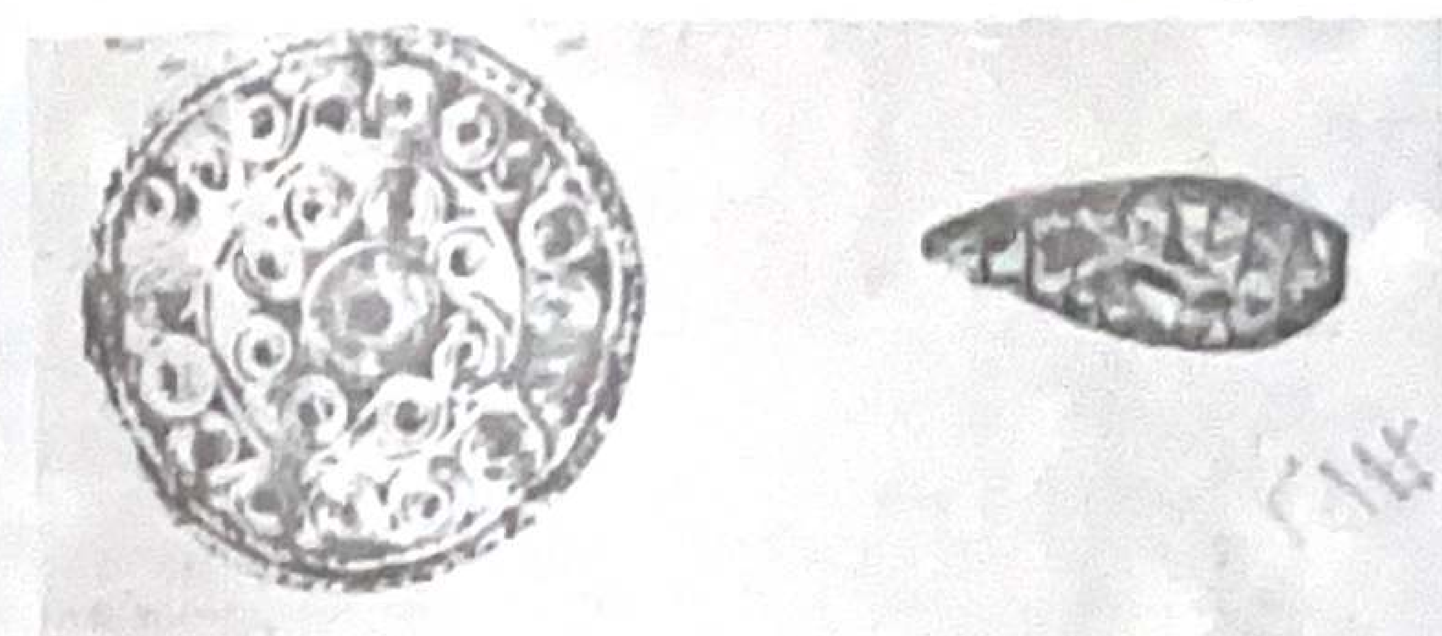
آ ـ رقم طيني مختوم بختم الملك ليم ـ اليما ـ وعمل الملك الشعار المصري لطول الحياة

ب ـ اسطونة من الحجر عليها كتابة ما قبل الحثية



(d) Modèle en argile d'intestins d'animaux, marqué pour l'obtention des présages.

ج ـ نماذج من صناعة الخيوط الذهبية



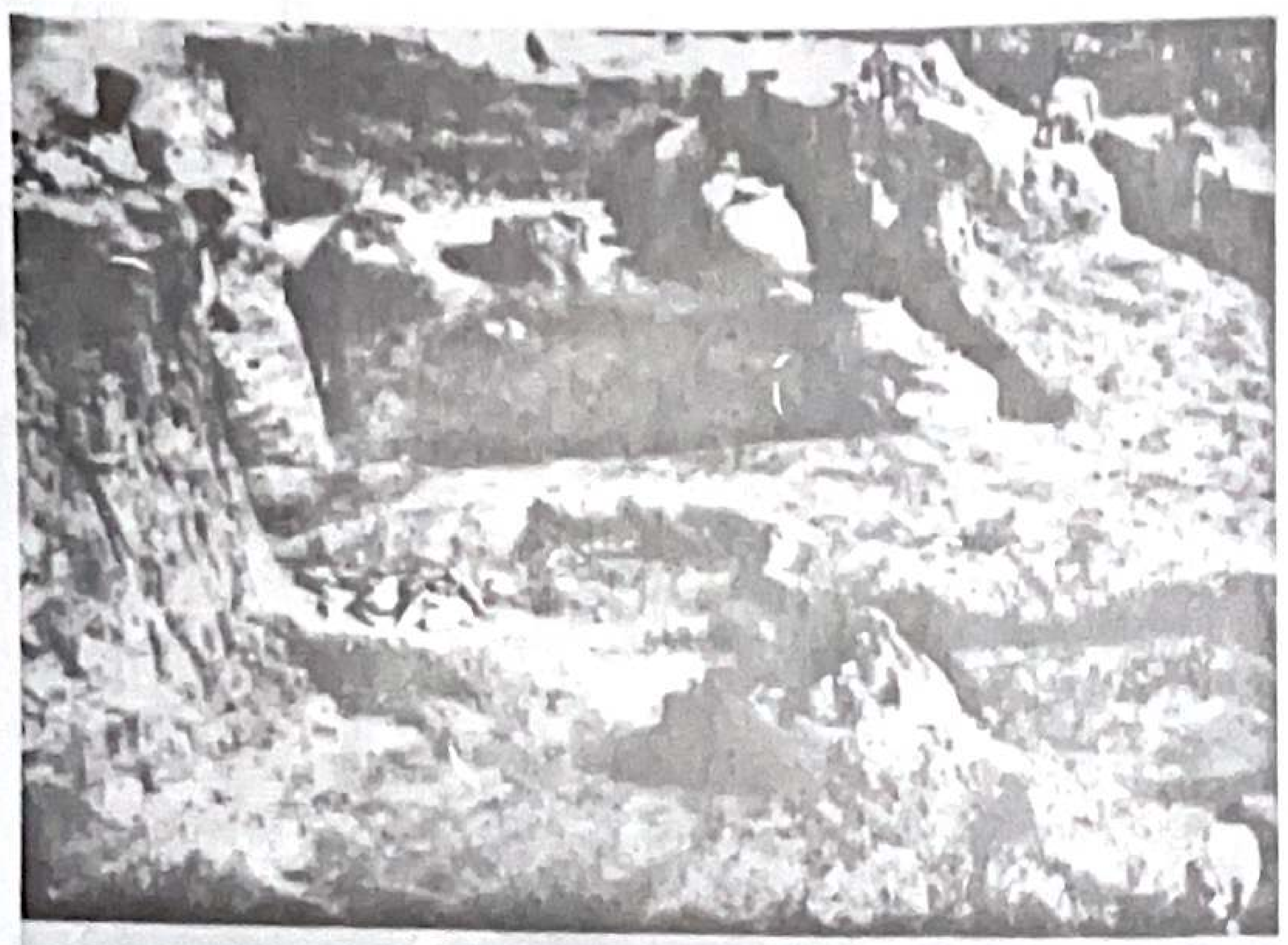
(c) Spécimens de travaux en or granulé et en filigrane.

د ـ نموذج من الطين المشوي لمصارين الحيوانات ممهورة ببعض التعويزات



(a) Bas-relief hittite du "Grand Roi" Tuthaliya IV.

آ ـ لوحة حثية منحوتة للملك (توثاليا) الرابع



(b) Celliers de la forteresse du Niveau III.

ب ـ مخزن التحصينات من السوية الثالثة

PLANCHE XVI



(a) Gobelets avec décor peint "Atchana".

أ – اواني مطلية برسوم ملونة (العطشانة)



(b) Poteries mycéniennes importées.

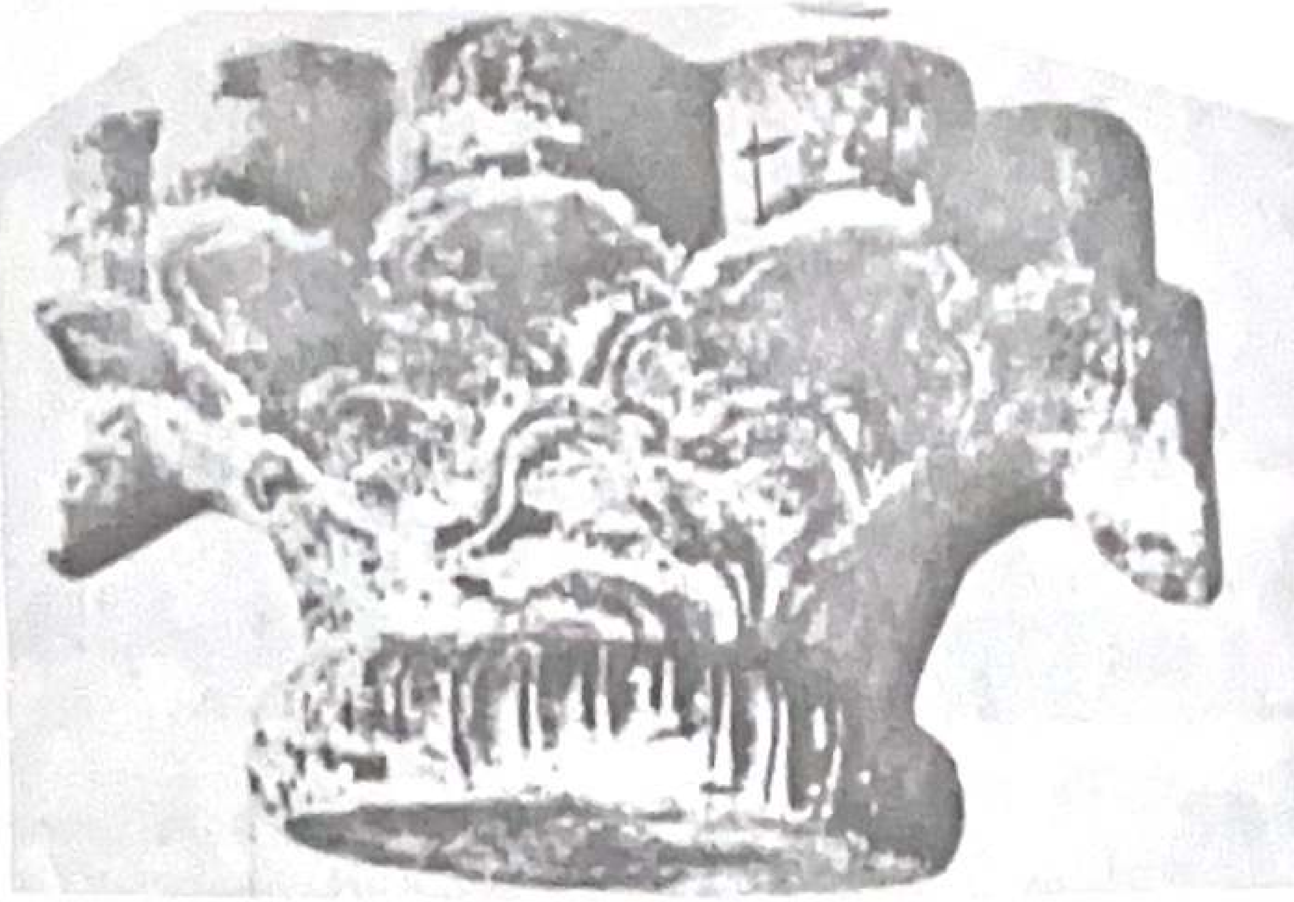
ب – فخار ميسيني مستورد

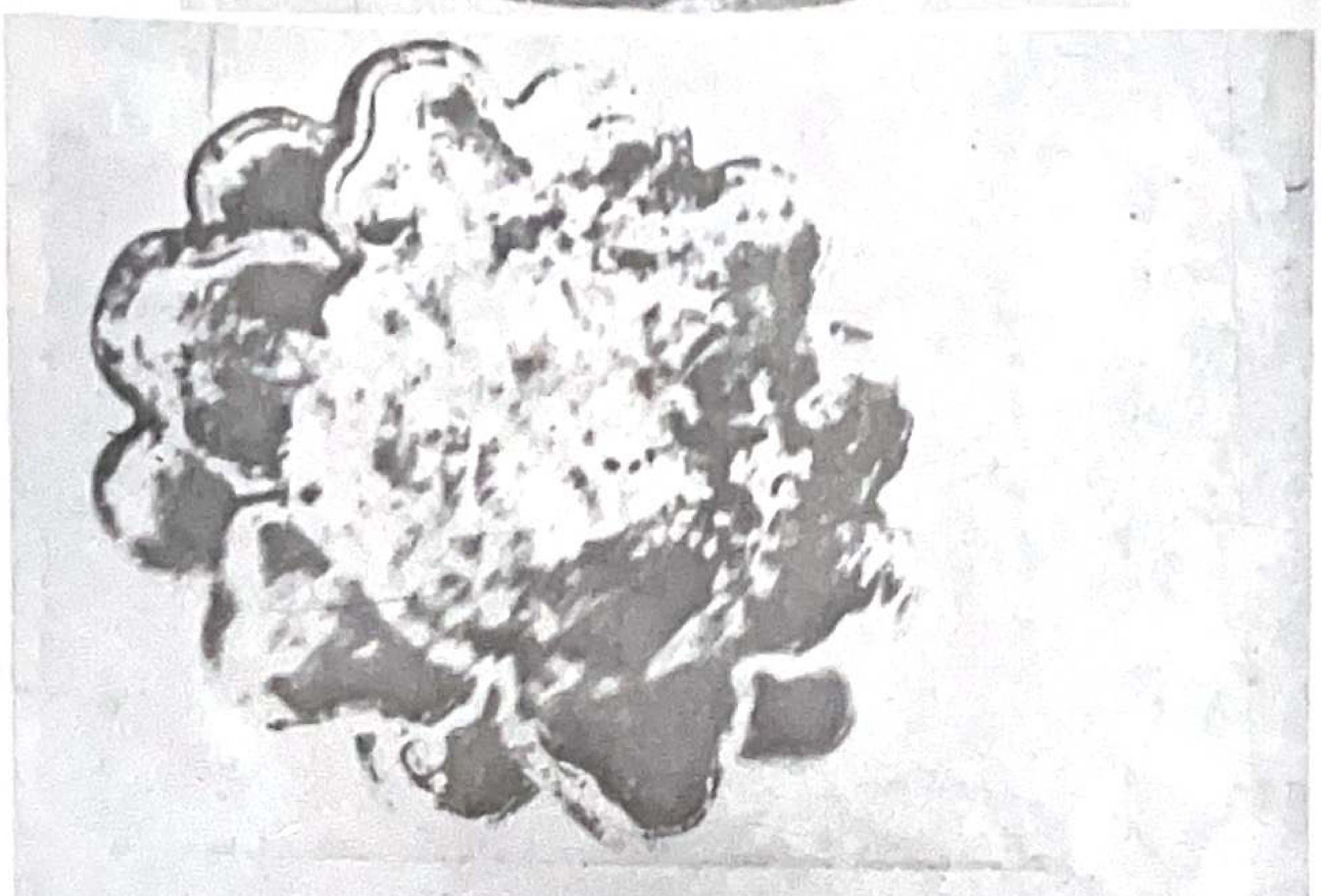
PLANCHE XVII



(a) [illegible] lance de bronze orné de lions provenant du temple du Niveau I

أ – راس رمح من البرونز مزين براسي سباع في معبد السوية الاولى





(b) Lampe de marbre rouge de style crétois, vue de côté et du dessus.

ب – سراج من المرمر الاحمر من طراز كريتي – من الجانب والسطح

PLANCHE XVIII





Statues de basalte de lions provenant du temple du Niveau I.

السباع البازلتية المكتشفة في معبد السوية الاولى

PLANCHE XIX



(a) Autel de basalte provenant du temple du Niveau I.

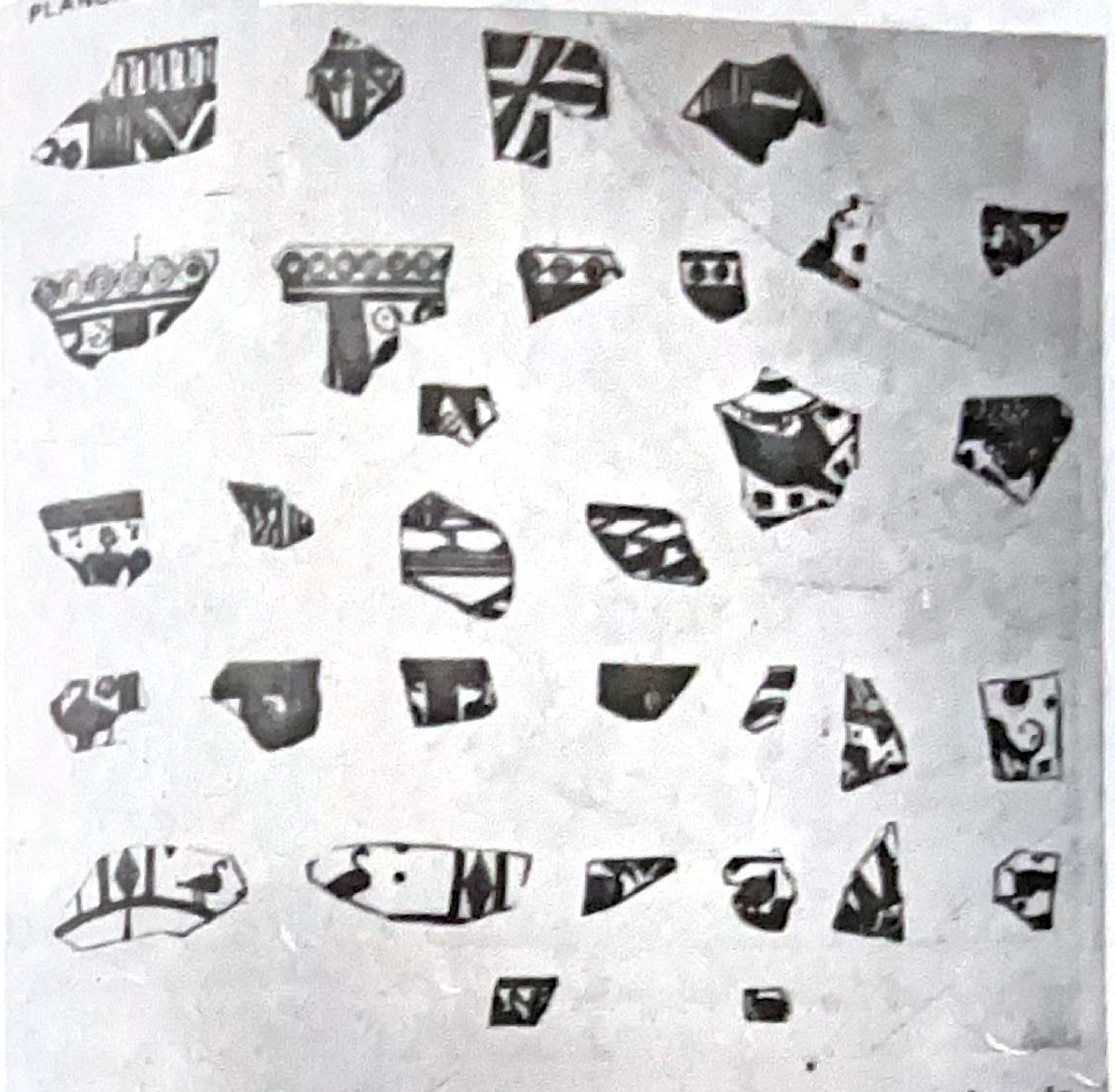
آ - مذبح بازلتي من معبد السوية الاولى

ب - كسر من اواني فخارية قديمة وجدت في المينا من اعمال الجزر اليونانية

(b) Fragments de vases en ancienne céramique (géométrique) des Iles grecques trouvés à al Mina.



PLANCHE XX



(a) Fragments de vases postérieurs provenant des îles grecques trouvés à al Mina.

آ ـ كسر فخارية وجدت في المينا وهي من الجزر اليونانية



(b) Vases chypriotes provenant d'al Mina.

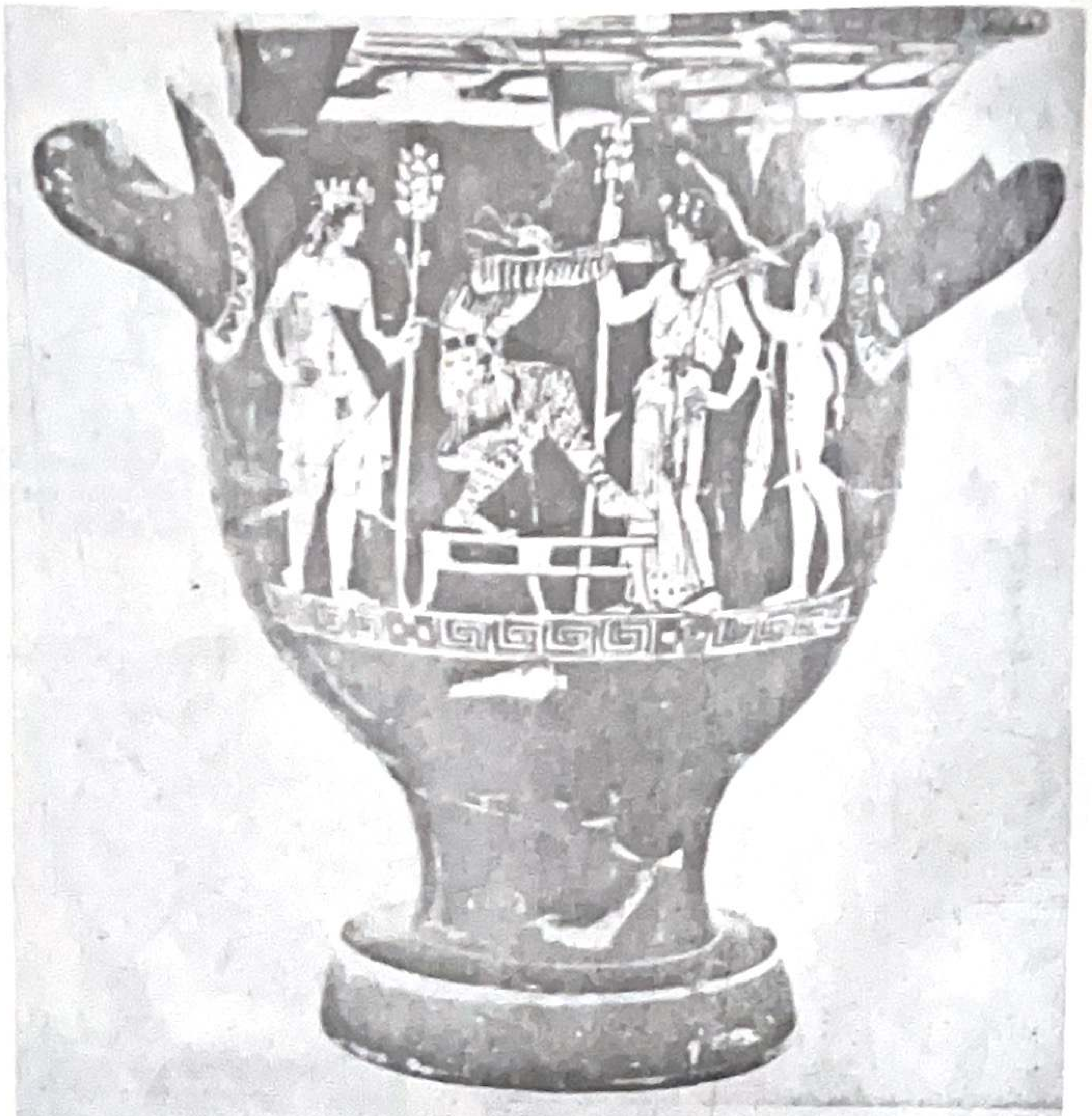
ب ـ أوان من الطراز القبرصي عثر عليها في الميناء

PLANCHE XXI



(a) Kylix attique à figures noires provenant d'al Mina.

آ ـ كأس مزين بلوحة سوداء من موقع المينا



(b) Vase attique à figures rouges provenant d'al Mina.

ب ـ اناء اتيكي مزين بمواضيع باللون الاحمر من المينا

PLANCHE XXII



(a) Vases attiques illustrant la méthode de production en série.

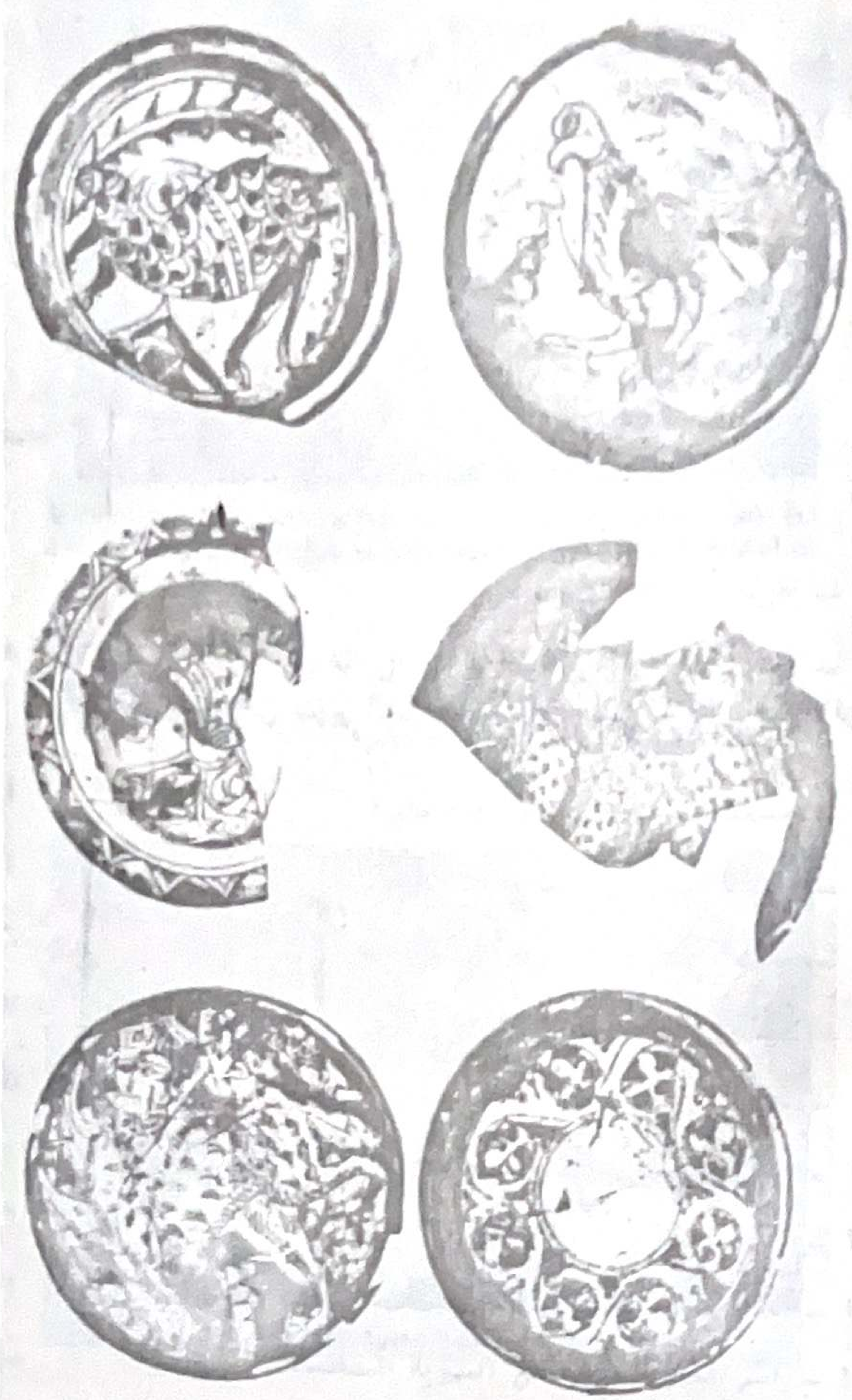
آ ـ اواني يونانية وصفعة بالجملة



(b) Tête de marbre de la déesse de la Ville.

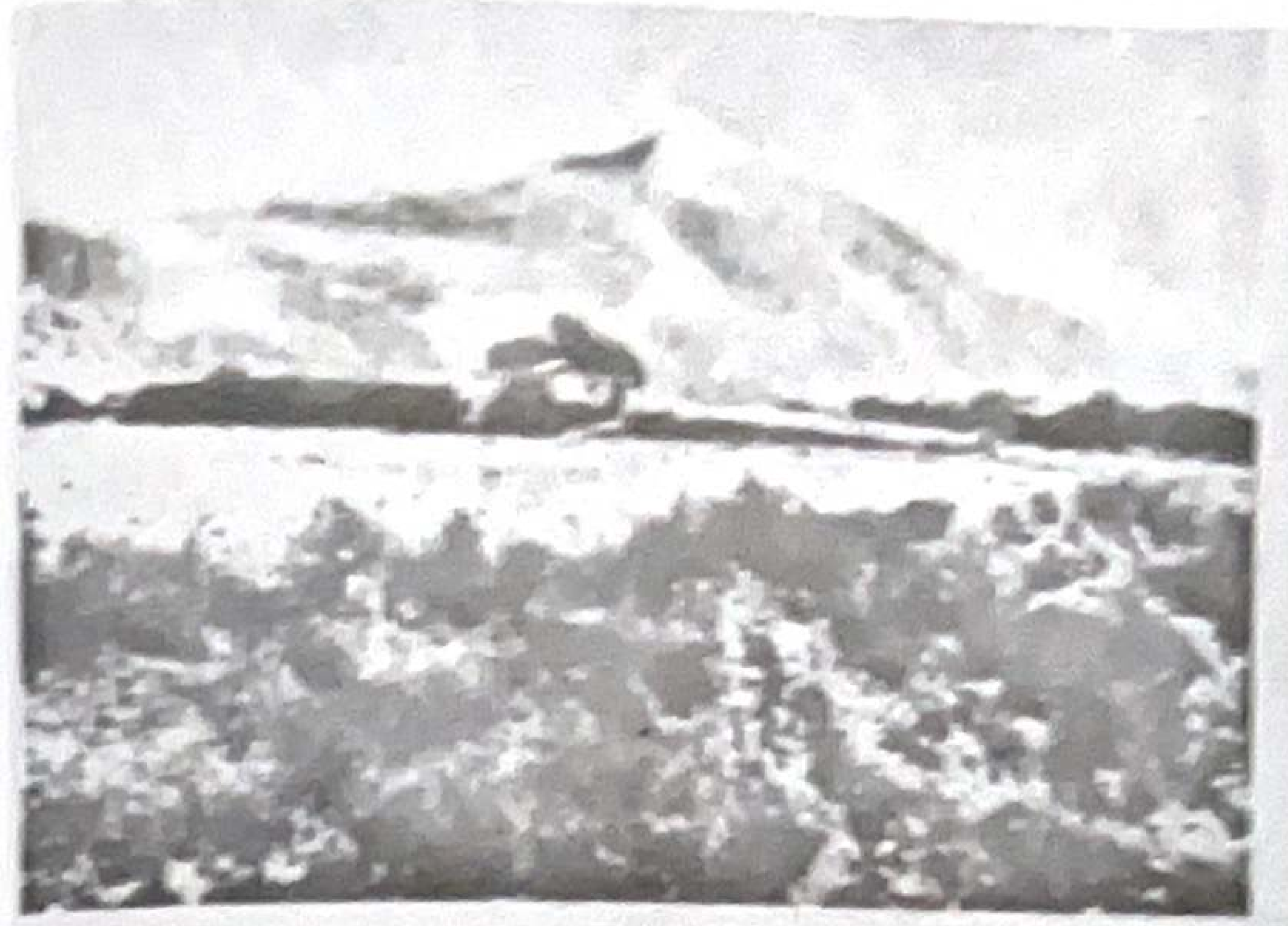
ب ـ رأس من المرمر لربه المدينة

PLANCHE XXIII



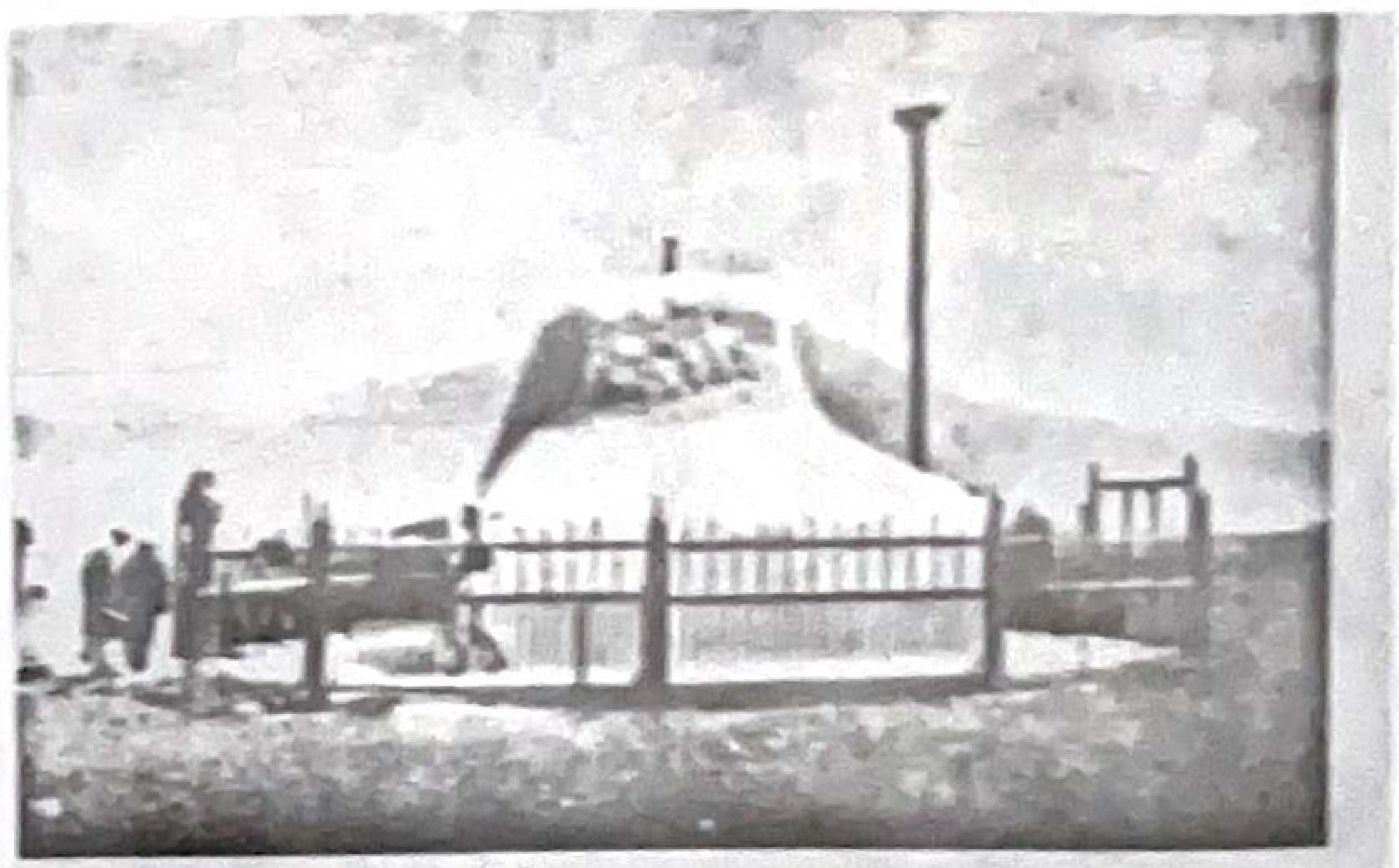
Bois et fragments de bols en céramique de Saint-Siméon.

كسر لصحون وصحون من خزف القديس سمعان



(a) Vue d'al Mina depuis le lit du fleuve asséché, et montrant la falaise érodée, avec le Mont Kasios à l'arrière-plan.

آ ـ مشهد الميناء من سرير النهر الجاف ويلاحظ في الخلف جبل الاقرع



(b) Le monument au "Seigneur de la Mer".

ب ـ اميرة « سيد البحار »

فهرس الصور

الصفحة

الصور

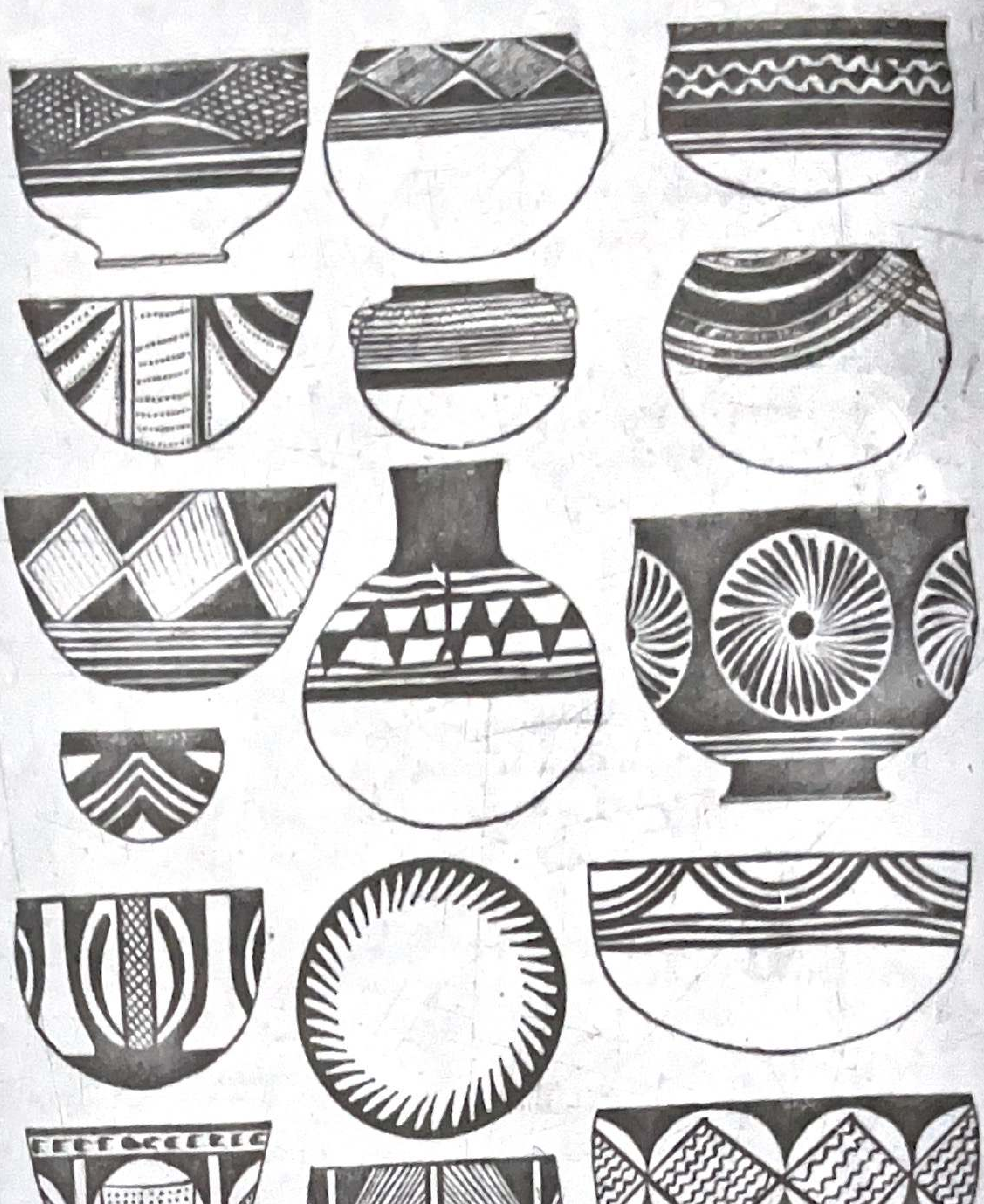


Fig. 3. — Dessins sur les poteries de Tell ech Cheikh.

الشكل ـ ٣ ـ رسوم على الاواني الفخارية من تل الشيخ

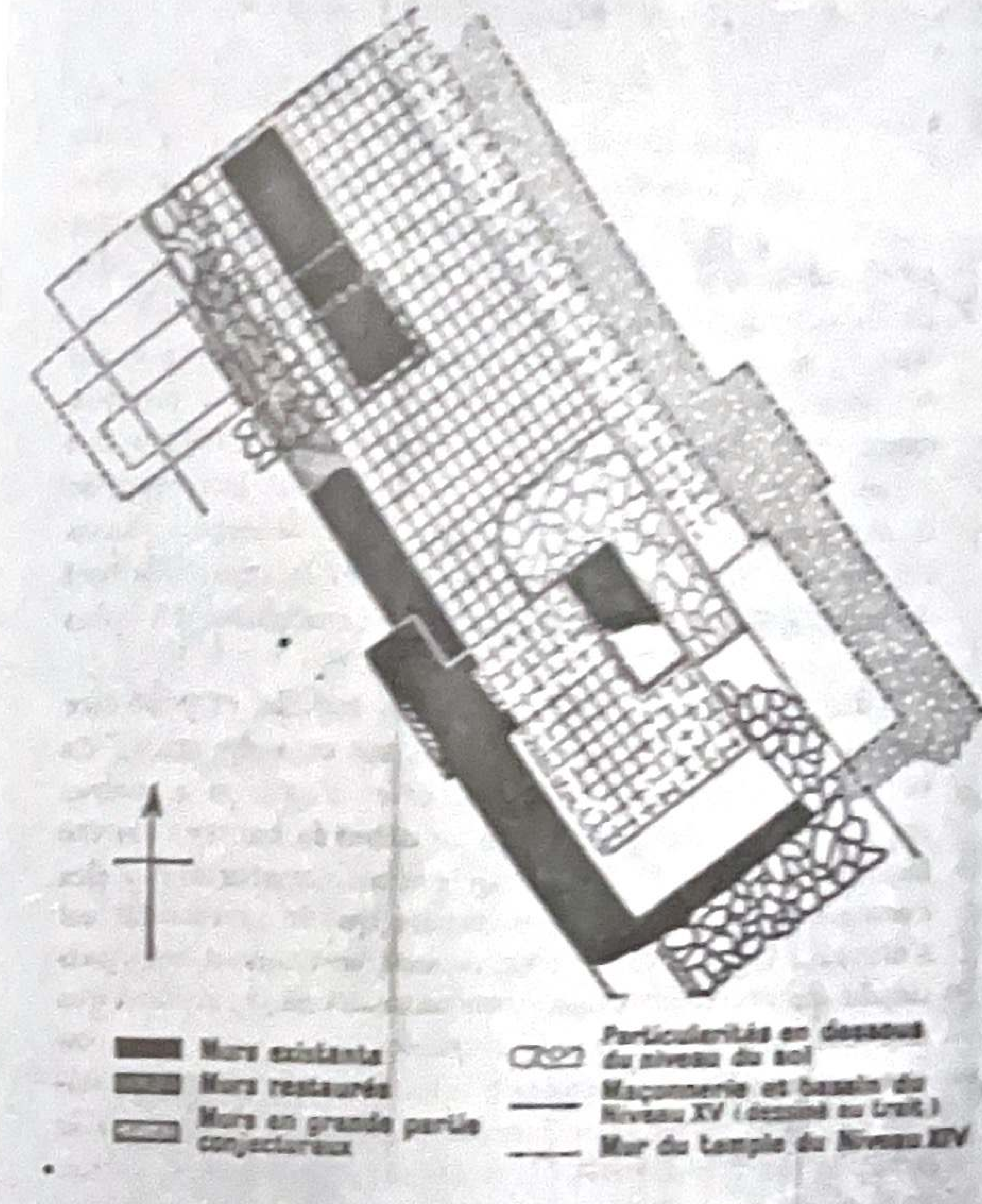


FIG. 4. — Plan du temple du Niveau XVI.

الشكل – ٤ – مسقط المعبد السوية السادسة عشرة

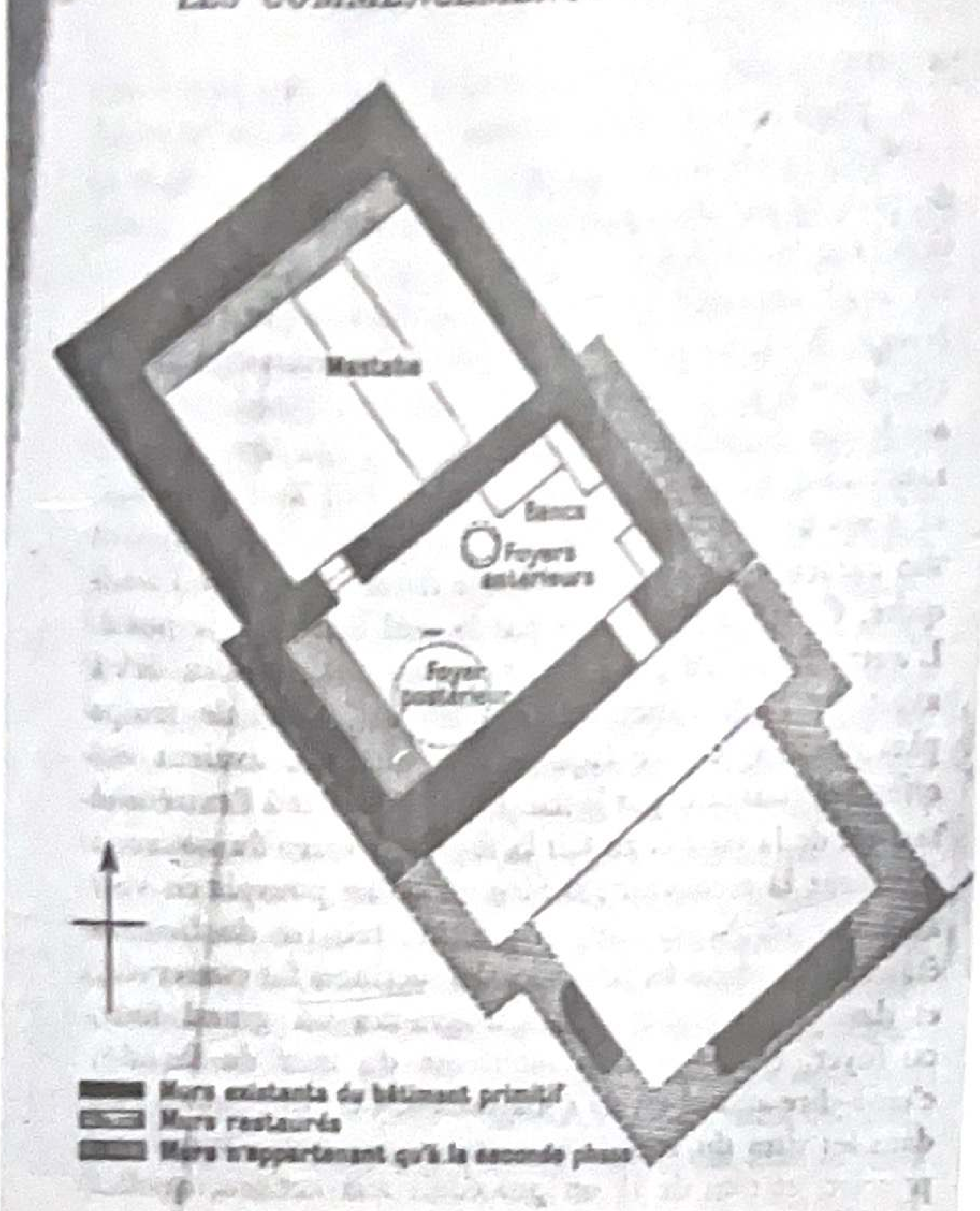


FIG. 5. — Plan du temple du Niveau XIV.

الشكل – ٥ – مسقط معبد من السوية /١٤/

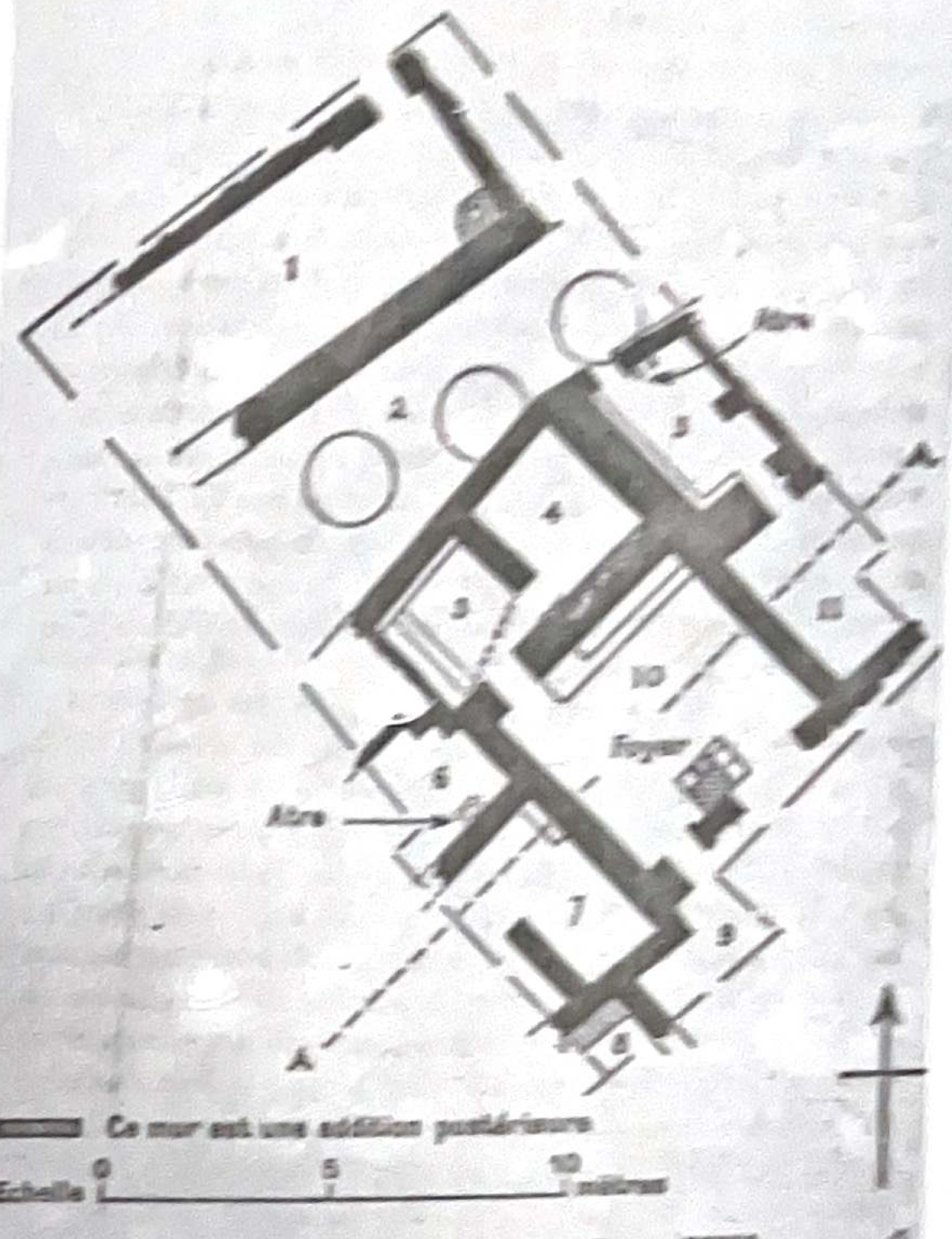


FIG. 6. — Plan des maisons du Niveau XIII.

الشكل ـ ٦ ـ مسقط لبيت من السوية /١٣/

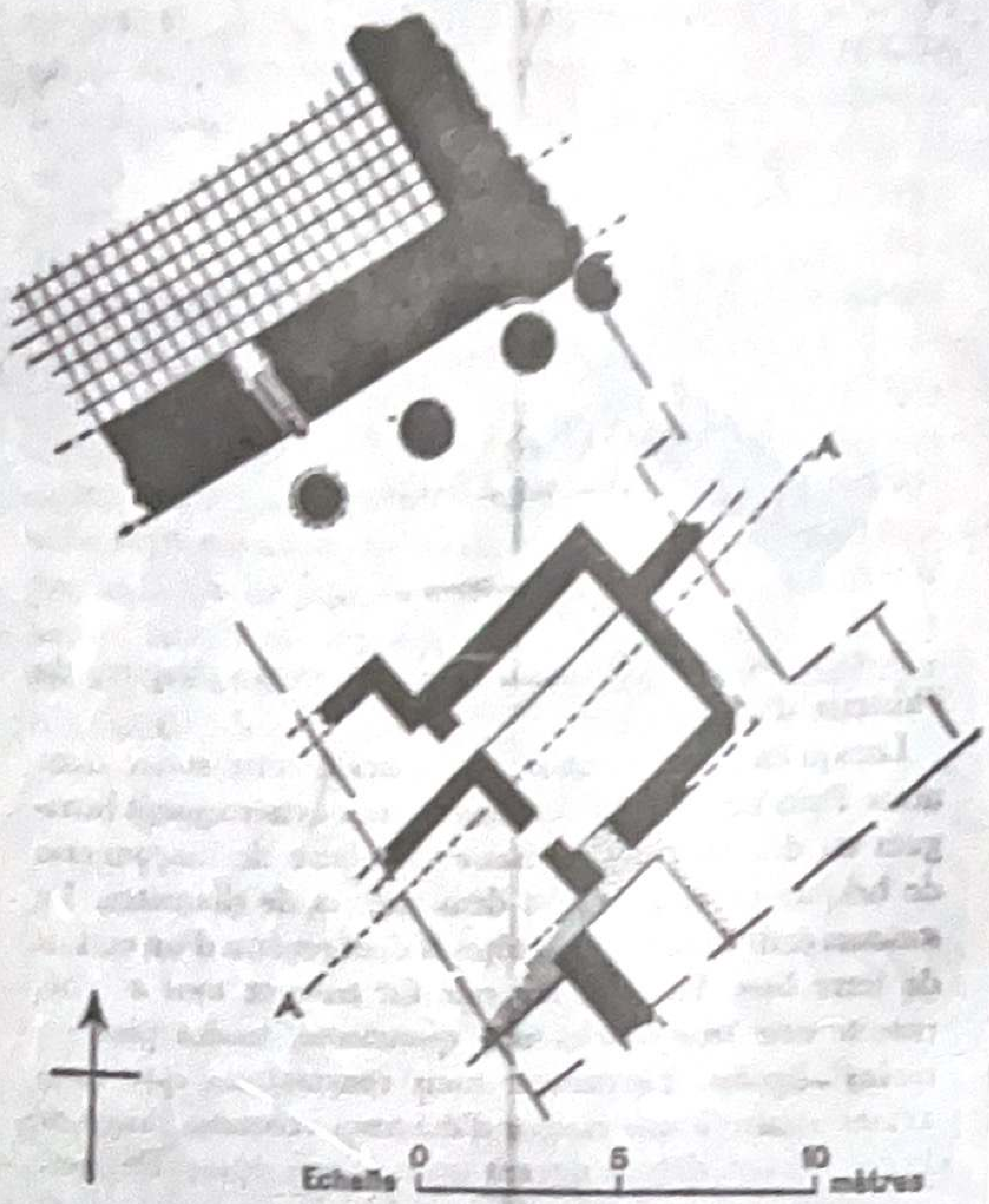


FIG. 7. — Plan du palais du Niveau XII.

الشكل ـ ٧ ـ مسقط قصر من السوية /١٢/

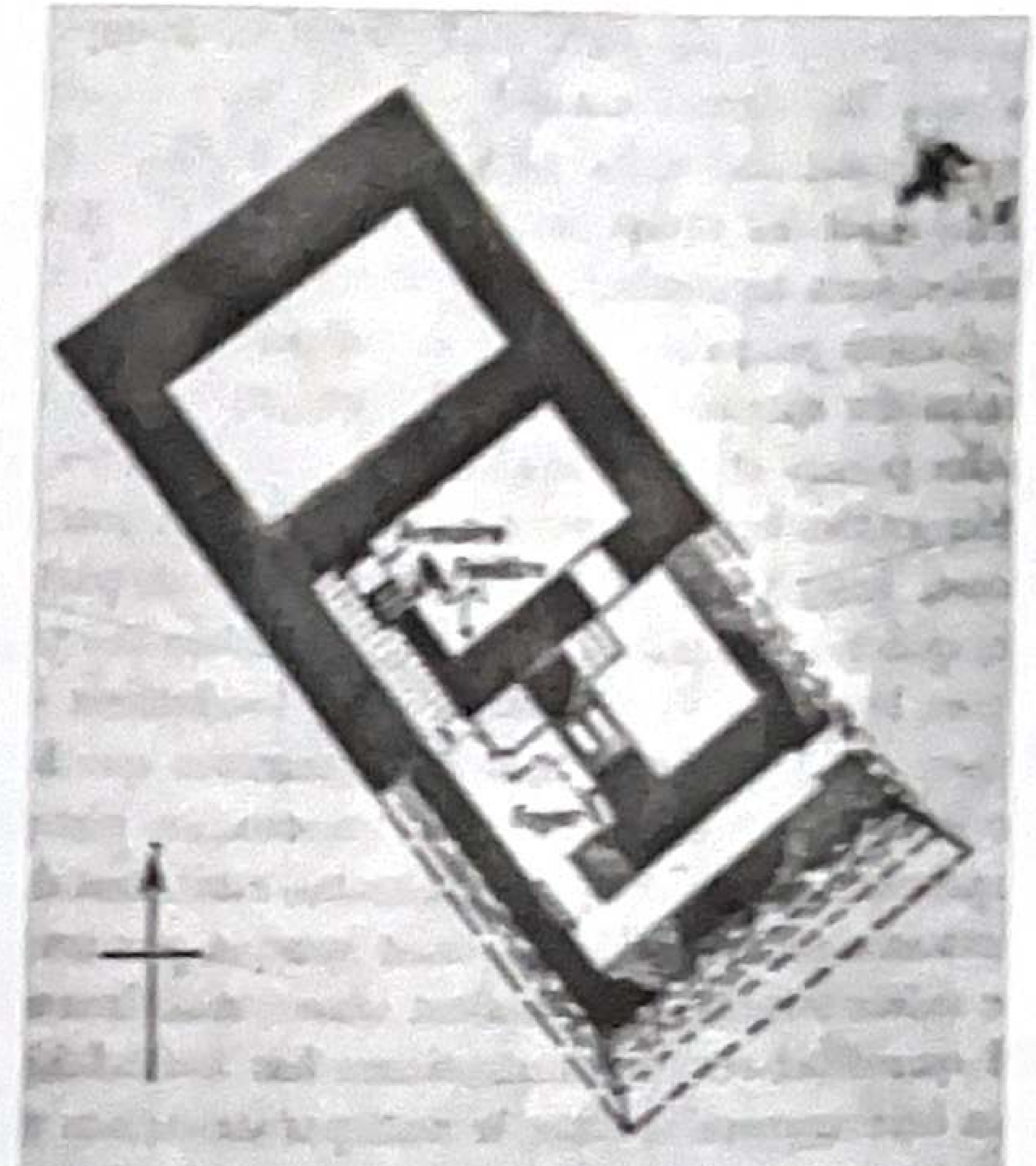


Fig. 8. — Plan du temple du [illegible] XII.

الشكل ـ ٨ ـ مسقط لمعبد السوية /١٢/

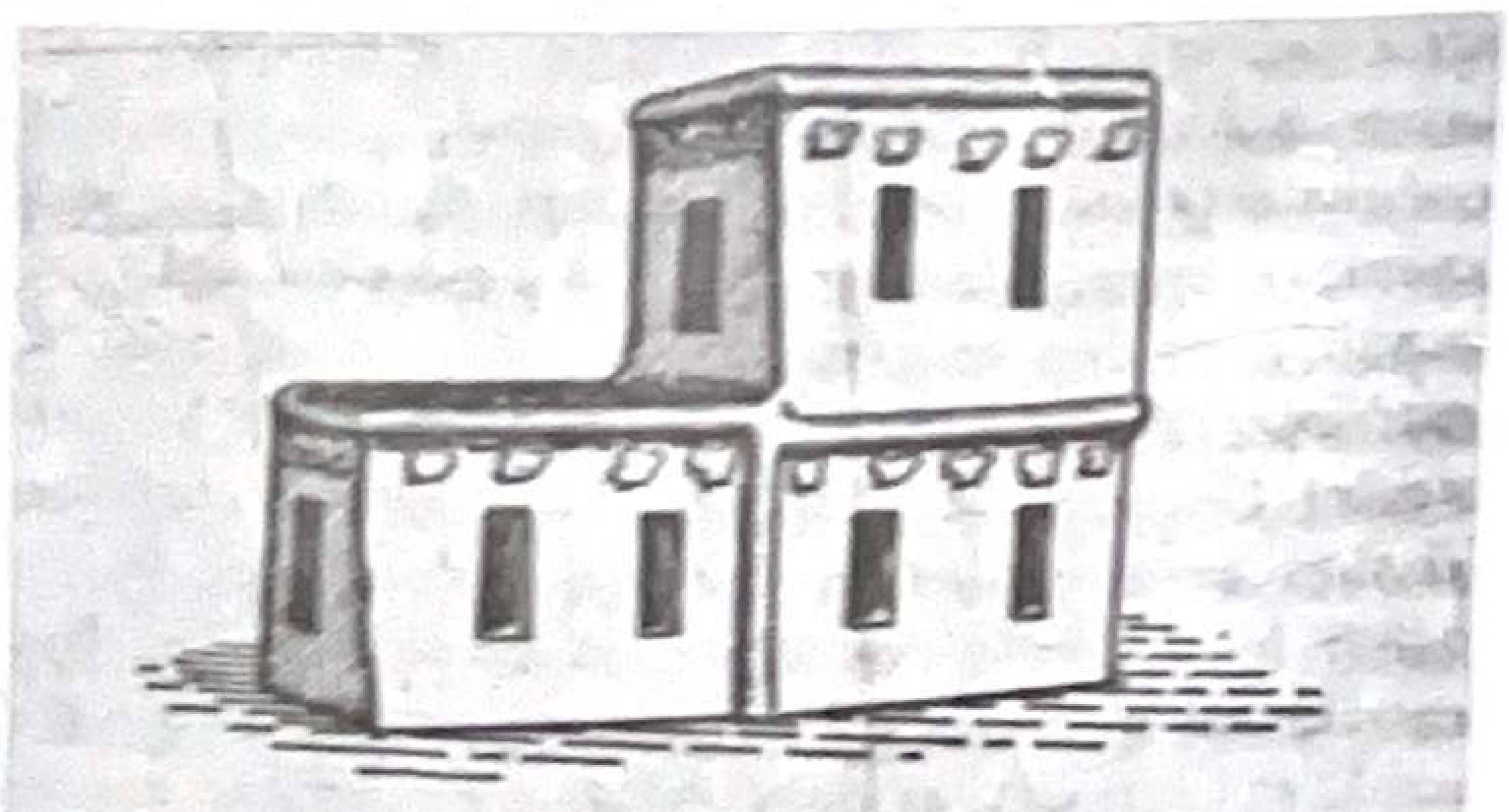


Fig. 9. — Modèle en argile d'un temple de Selemiyeh.

الشكل ـ ٩ ـ نموذج من الاجر لمعبد سلمية

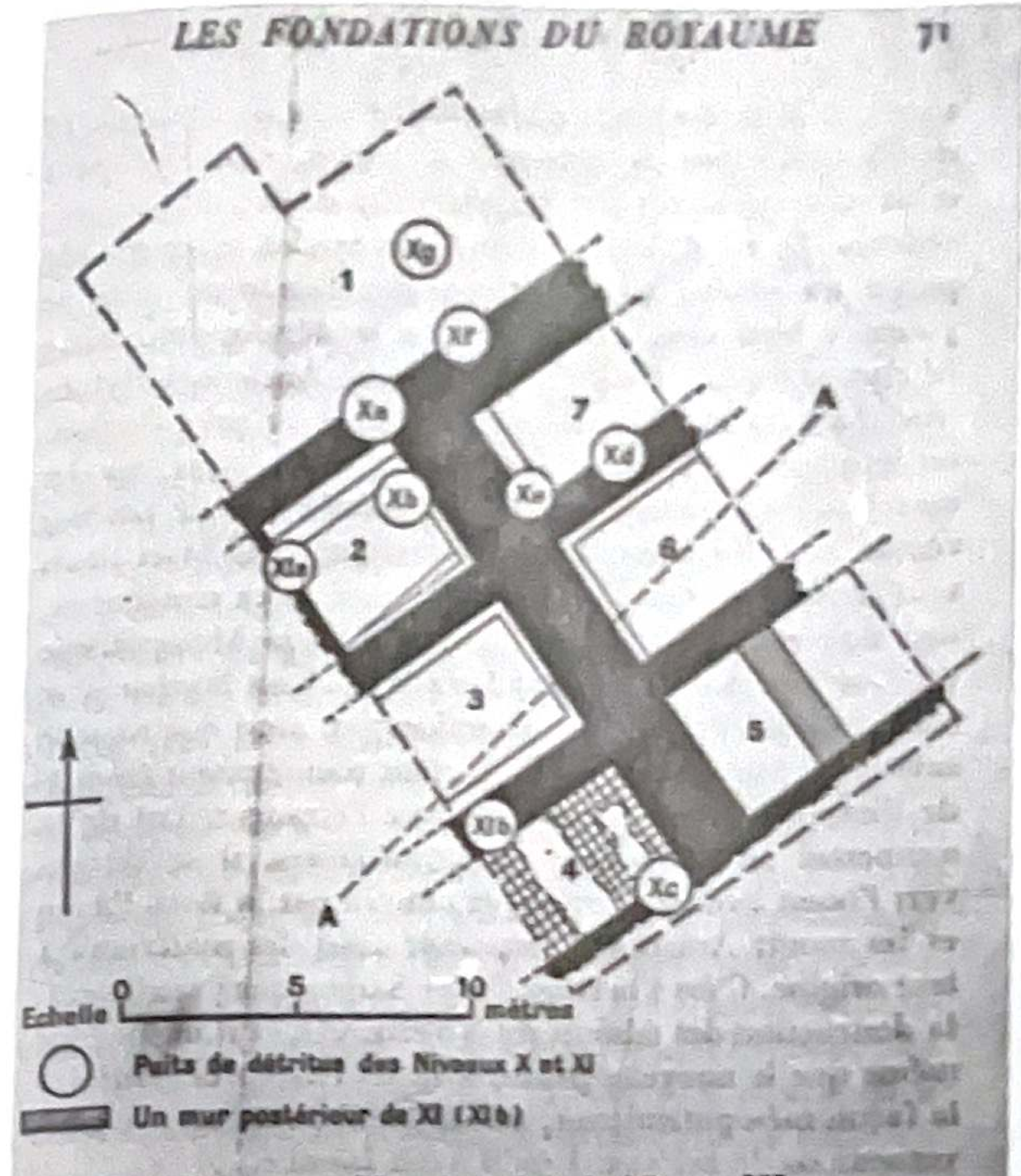


Fig. 10. — Plan du palais du Niveau XI.

الشكل ـ ١٠ ـ مسقط للقصر في السوية الحادية عشره

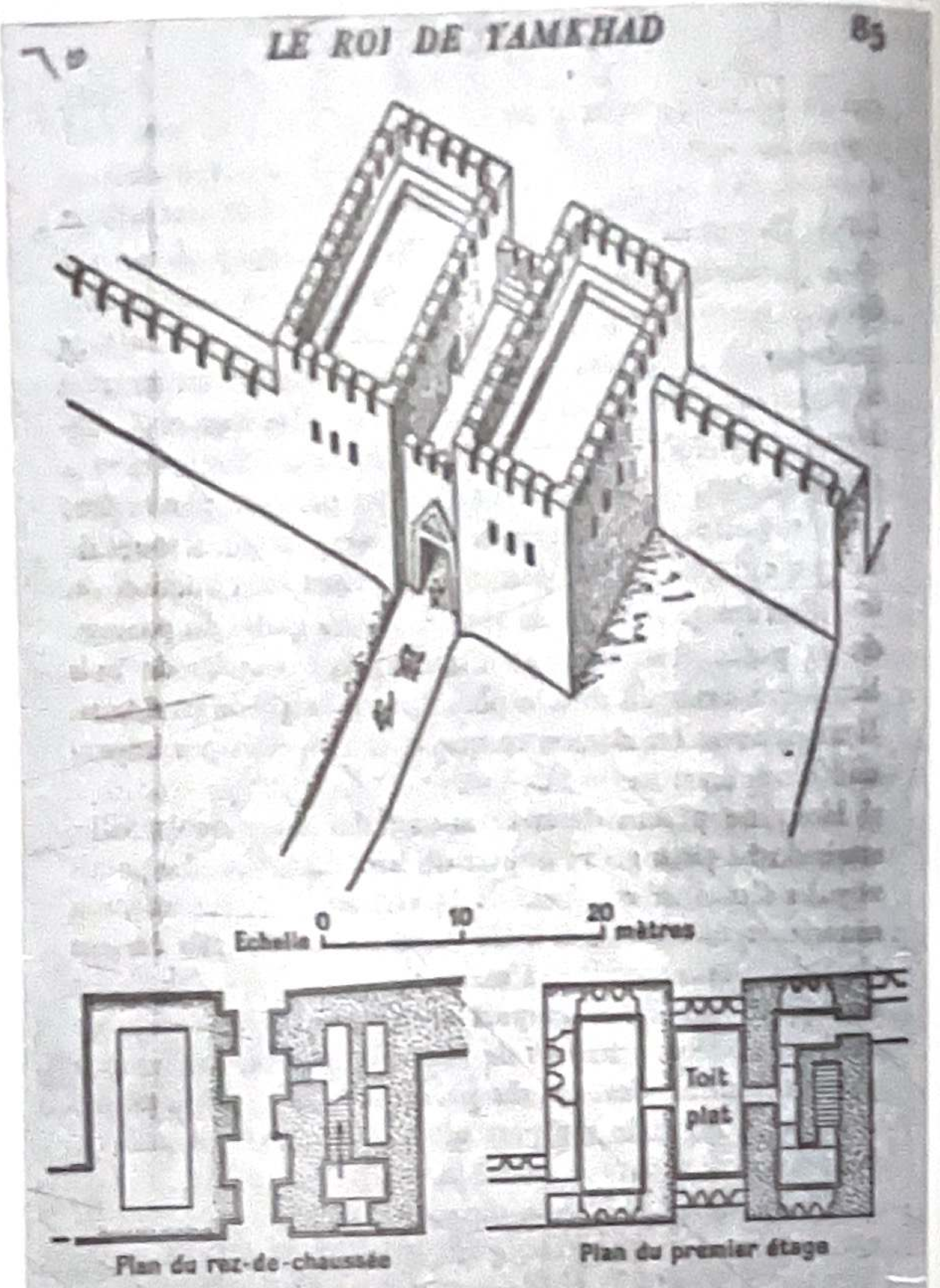


Fig. 11. — La porte de la ville du Niveau VII.

الشكل ـ ١١ ـ باب المدينة في السوية السابعة

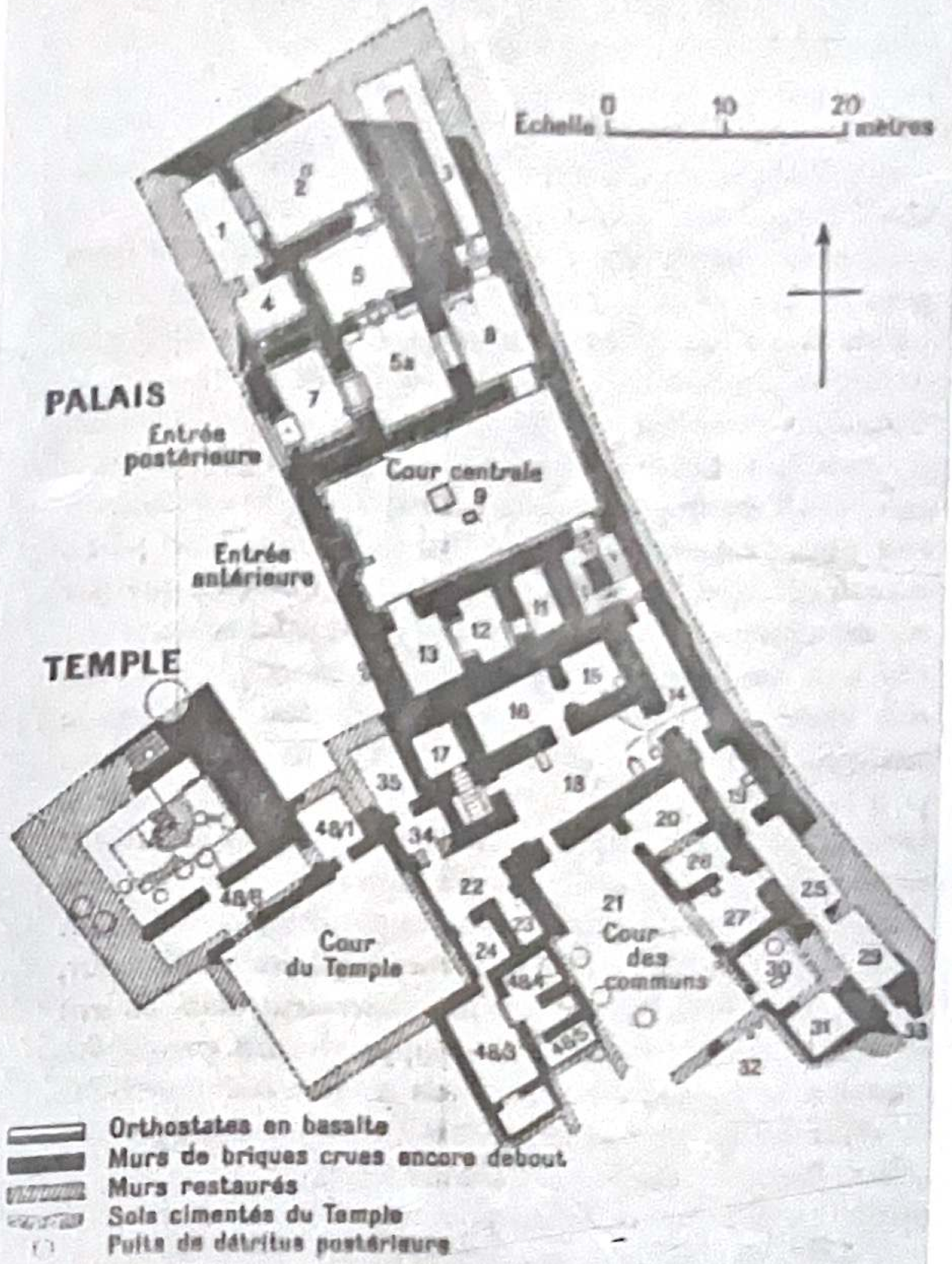


Fig. 12. — Le palais du Niveau VII.

الشكل – ١٢ – قصر السوية السابعه



Fig. 13. — Motifs décoratifs de poteries du Niveau VI.

الشكل – ١٣ – كسر فخارية مزينة من السوية السادسة

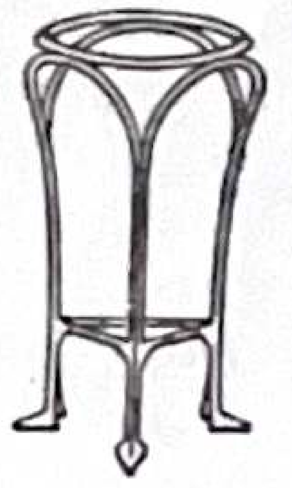
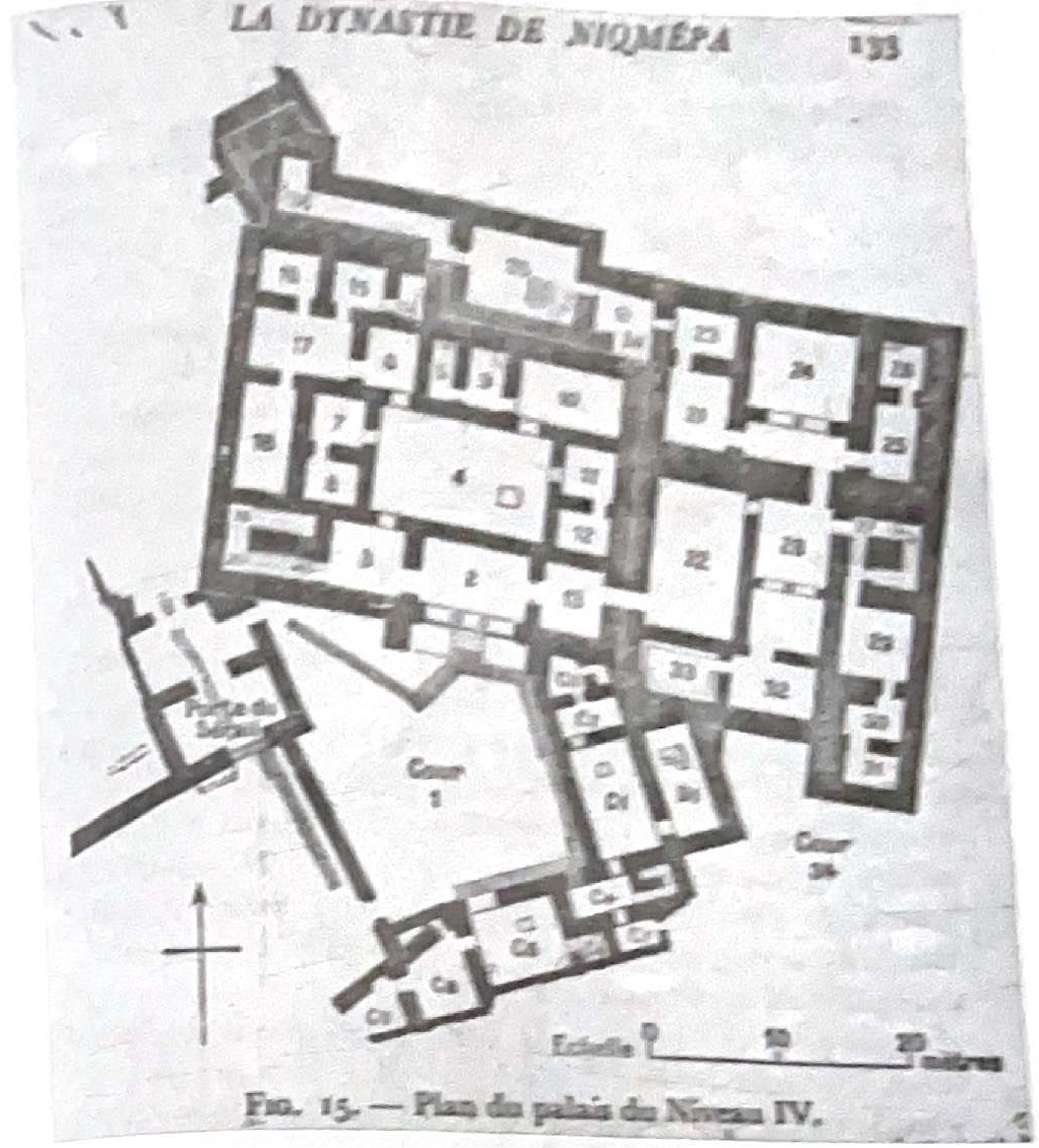
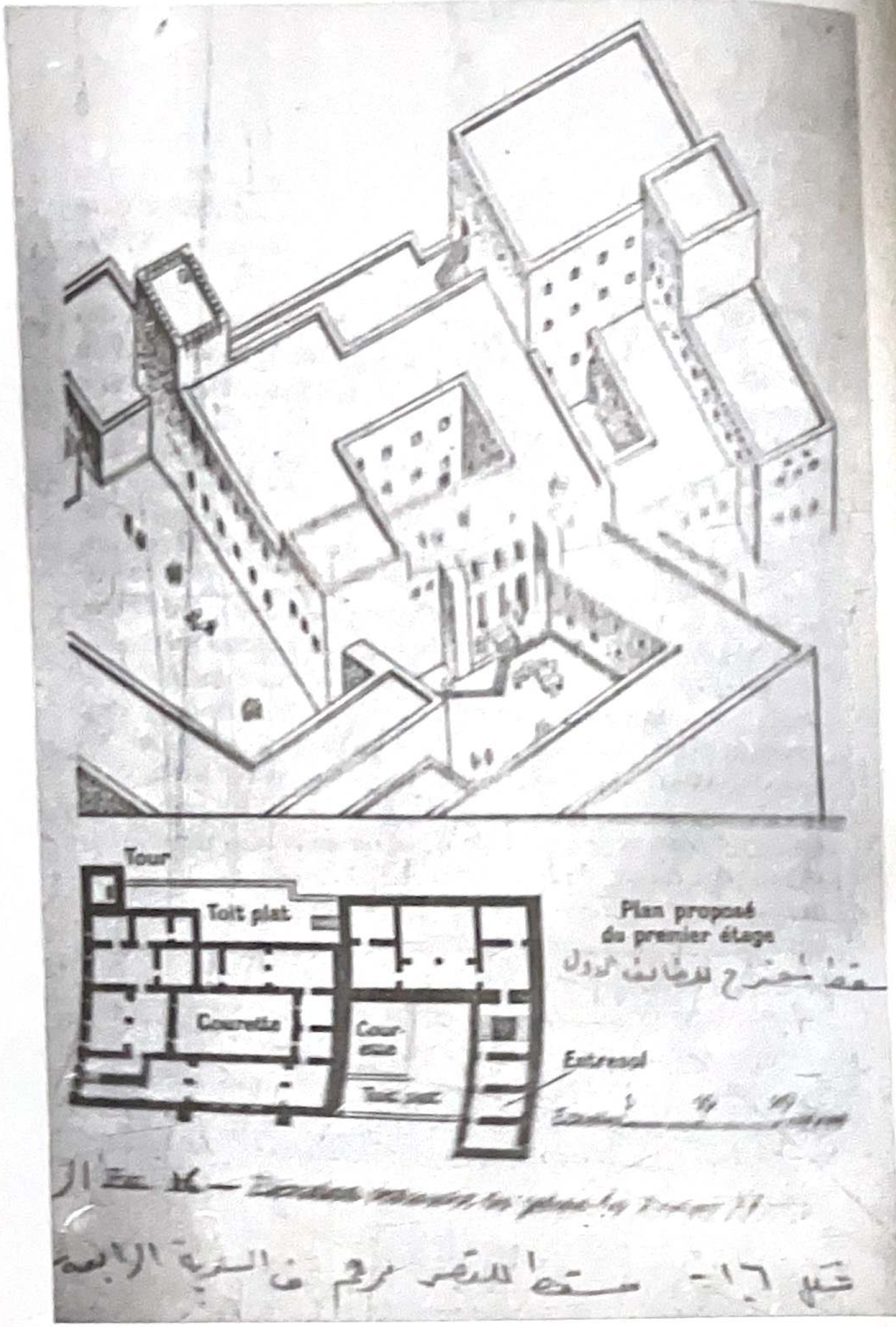


Fig. 14. — Trépied en bronze du lac de Van.

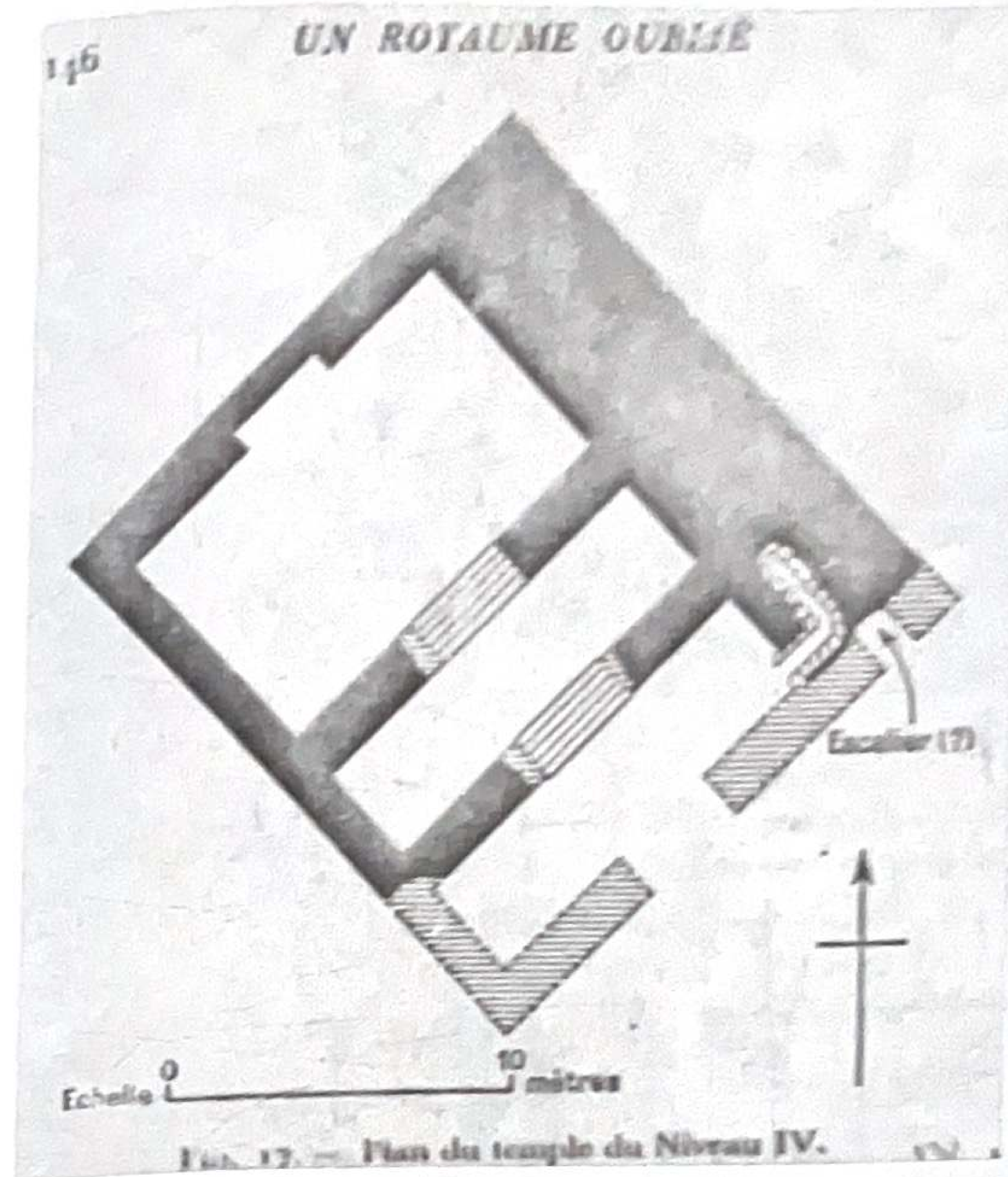
لشكل – ١٤ – منصب من برونز بحيره / ڤان/



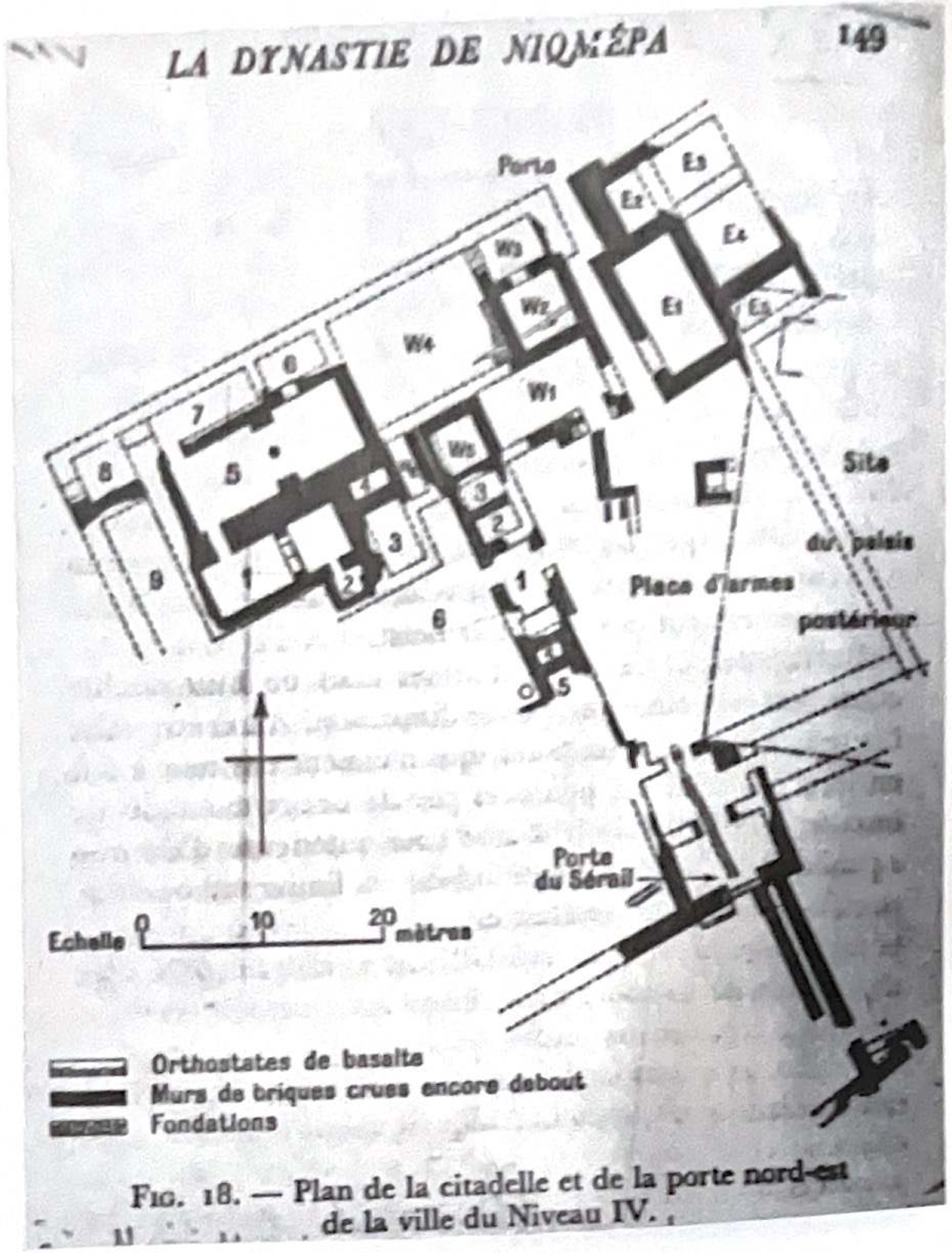
الشكل ـ ١٥ ـ مسقط القصر في السوية الرابعة



الشكل ـ ١٦ ـ مسقط للقصر مرمم من السوية الرابعة



الشكل – ١٧ – مسقط المعبد في السوية الرابعة



الشكل – ١٨ – مسقط القلعة والباب الشمالي الشرقي للمدينة
في السوية الرابعة

164 UN ROYAUME OUBLIÉ



Fig. 19. — Spécimens de poterie Nouzou.

الشكل ـ ١٩ ـ نماذج من الفخار (النوزو)

ALALAKH SOUS LES HITTITES 173

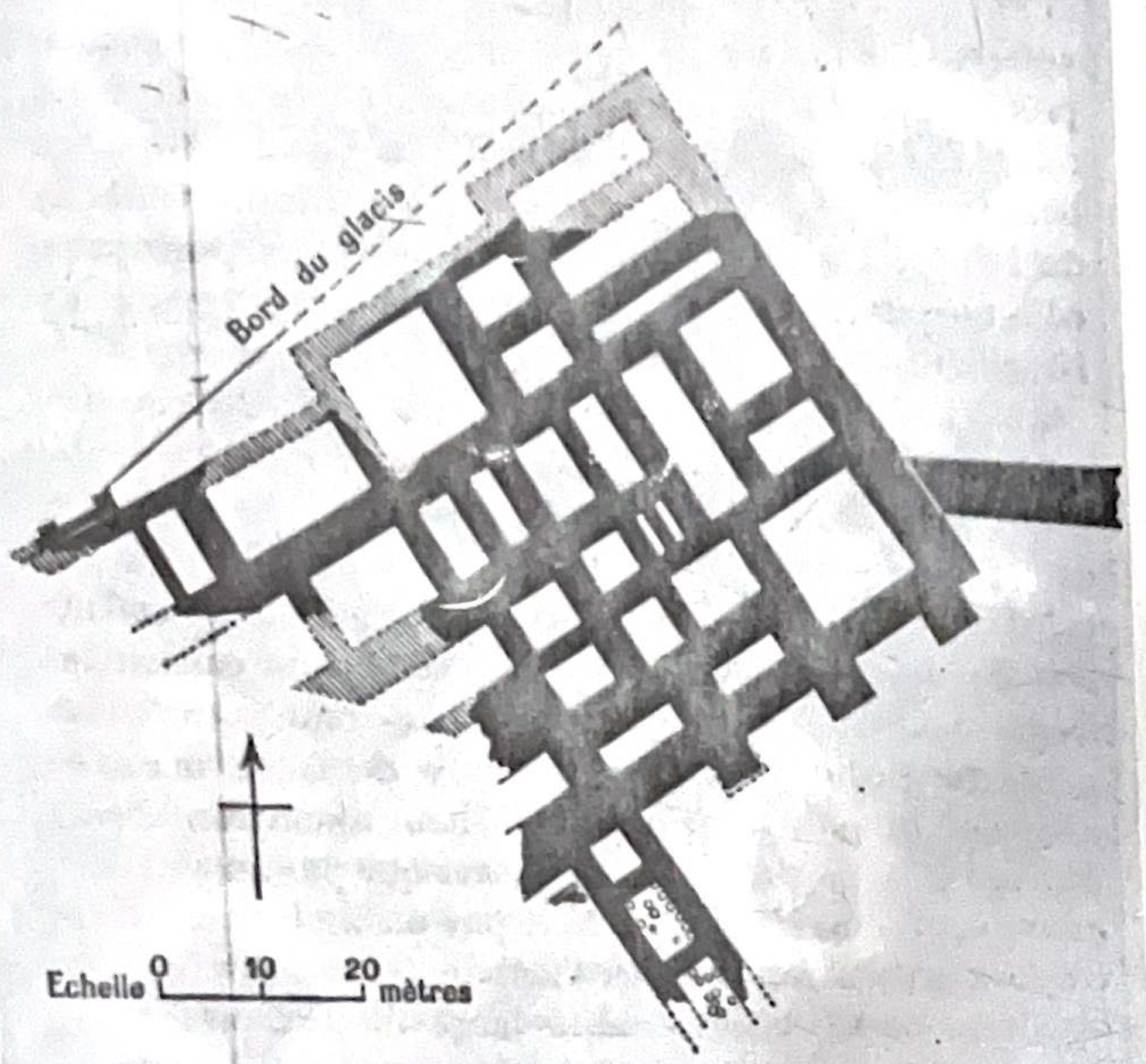


Fig. 20. — Plan de la forteresse du Niveau III.

الشكل ـ ٢٠ ـ مسقط التحصينات في السوية الثالثة

176 UN ROYAUME OUBLIÉ

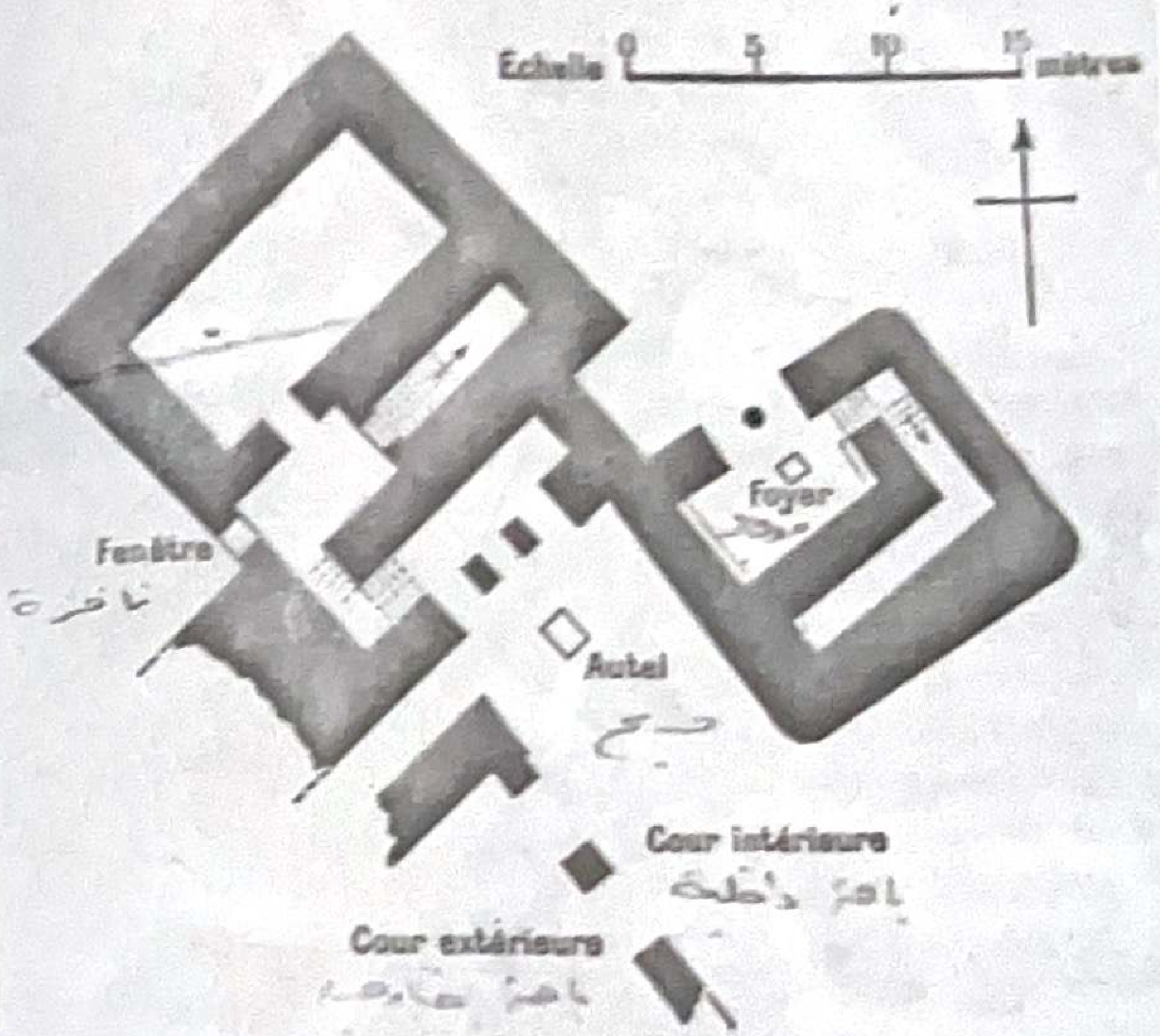


FIG. 21. — Plan du temple du Niveau III.

الشكل ـ ٢١ ـ مسقط لمعبد السوية الثالثة

182 UN ROYAUME OUBLIÉ

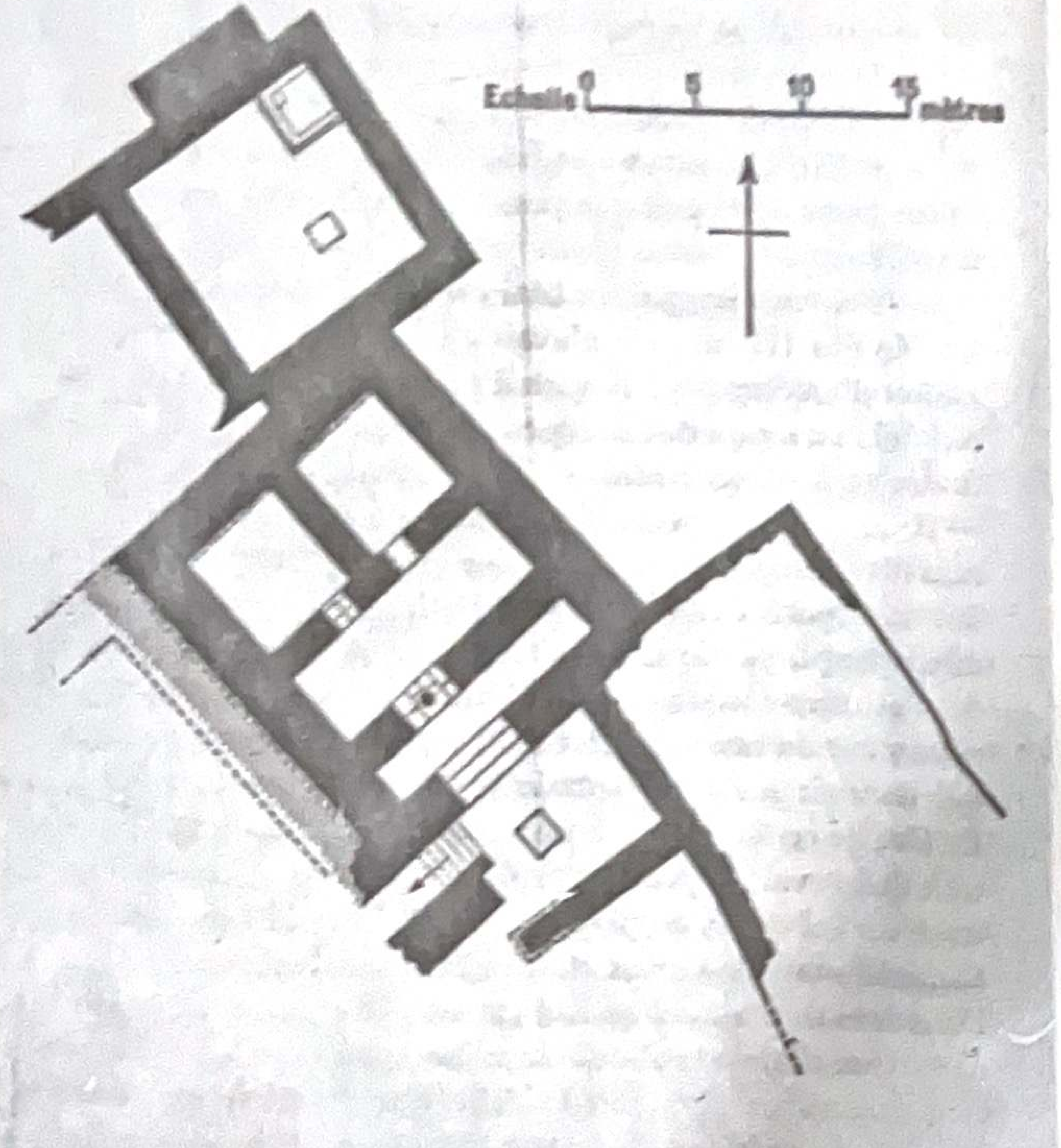
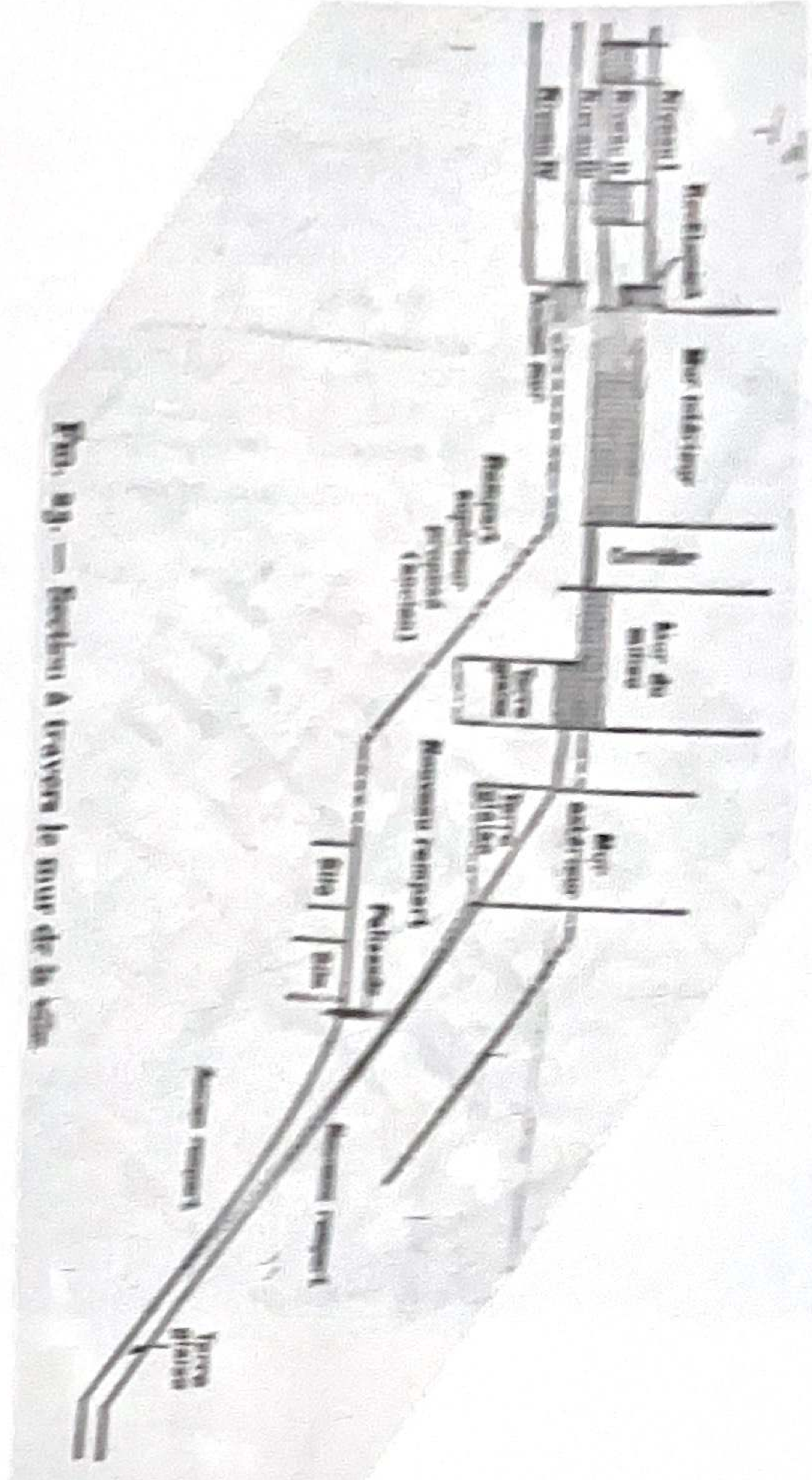
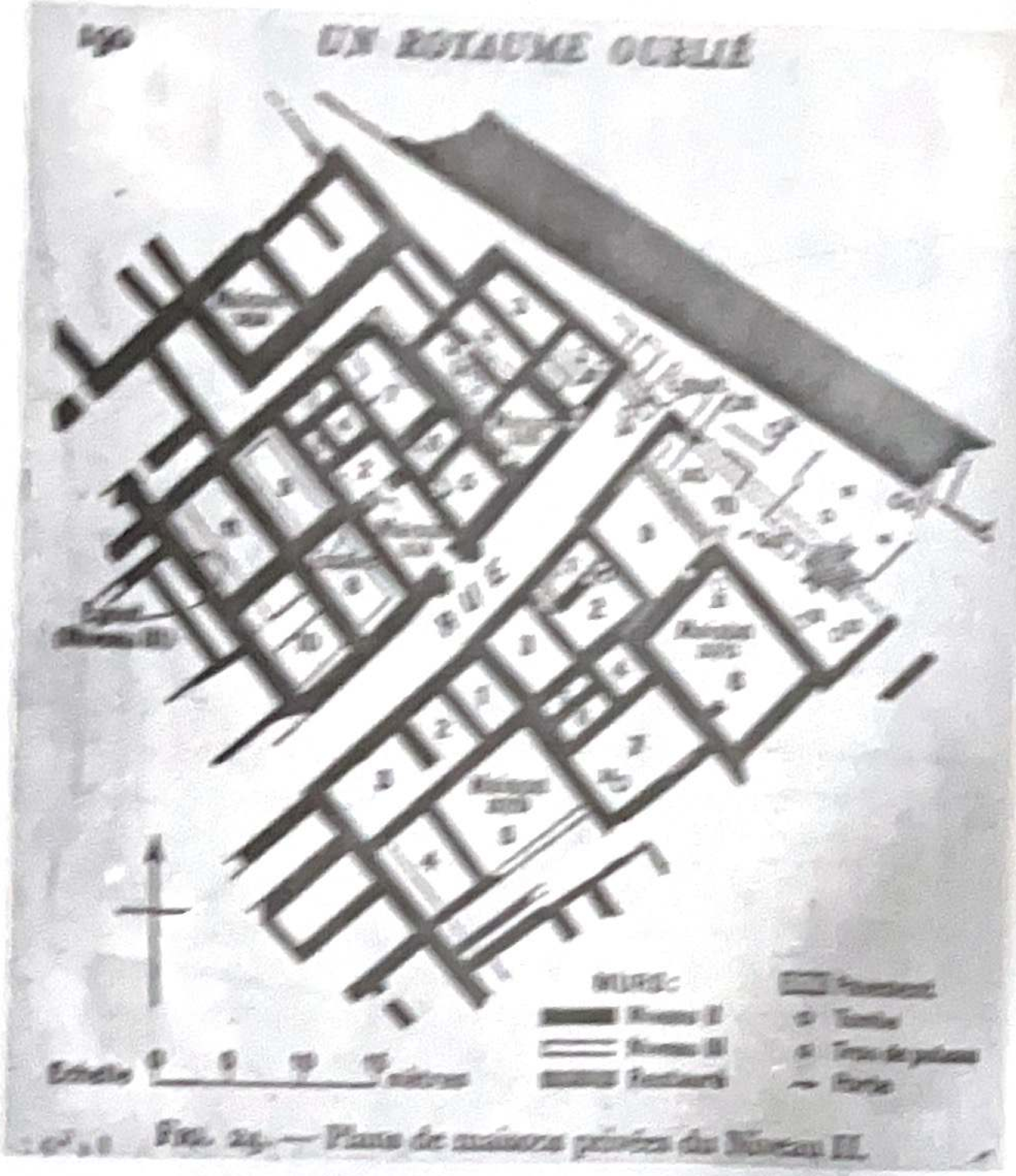


FIG. 22. — Plan du temple du Niveau II.

الشكل ـ ٢٢ ـ مسقط لمعبد السوية الثانية



الشكل ـ ٢٢ ـ مقطع السويات الجدران في المدينة



الشكل ـ ٢٤ ـ مسقط للبيوت الخاصة من السوية الثانية

UN ROYAUME OUBLIÉ

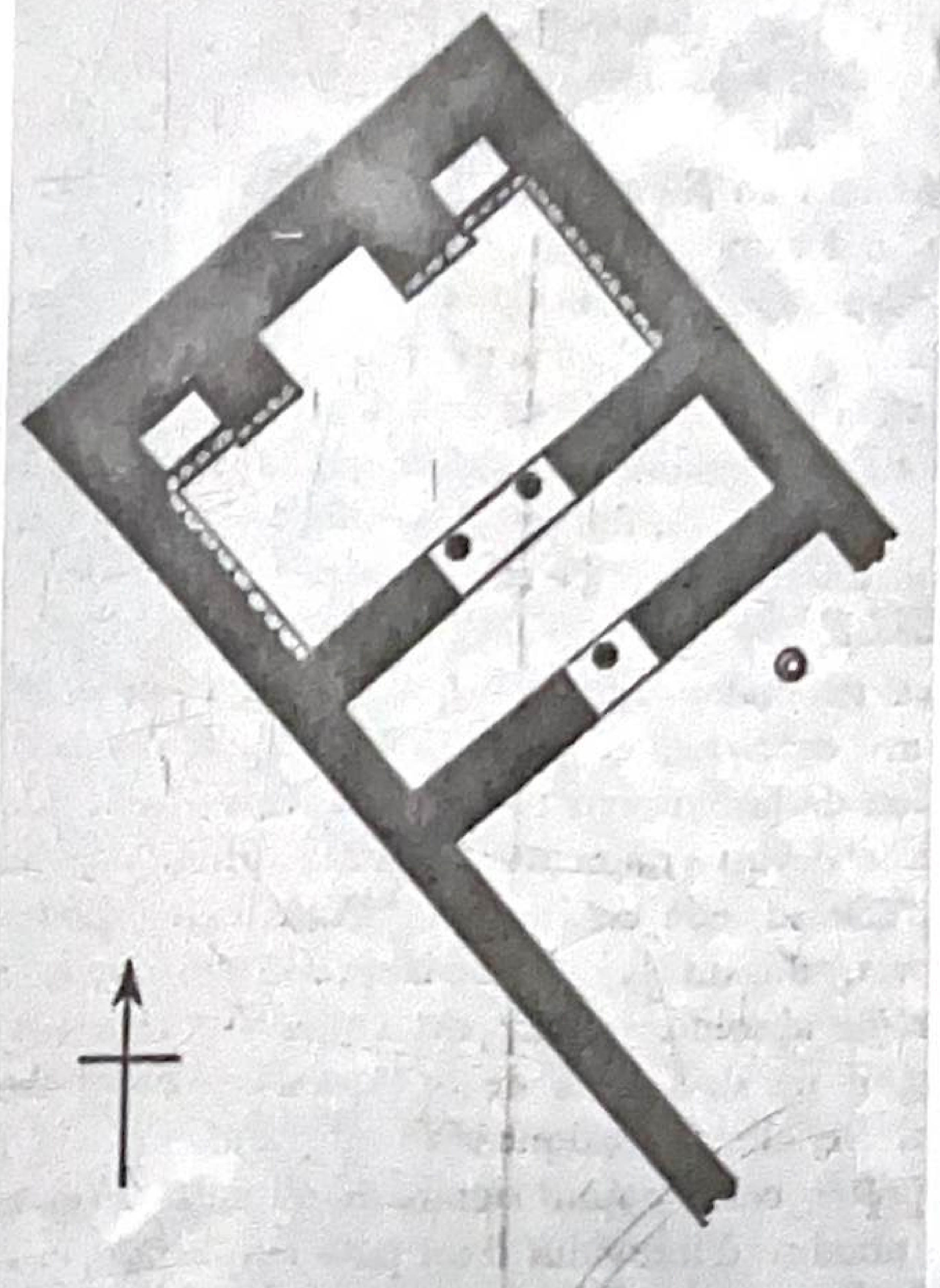


FIG. 25. — Plan du temple du Niveau I A.

الشكل ــ ٢٥ ــ مسقط لمعبد السوية الاولى (آ)

206 UN ROYAUME OUBLIÉ

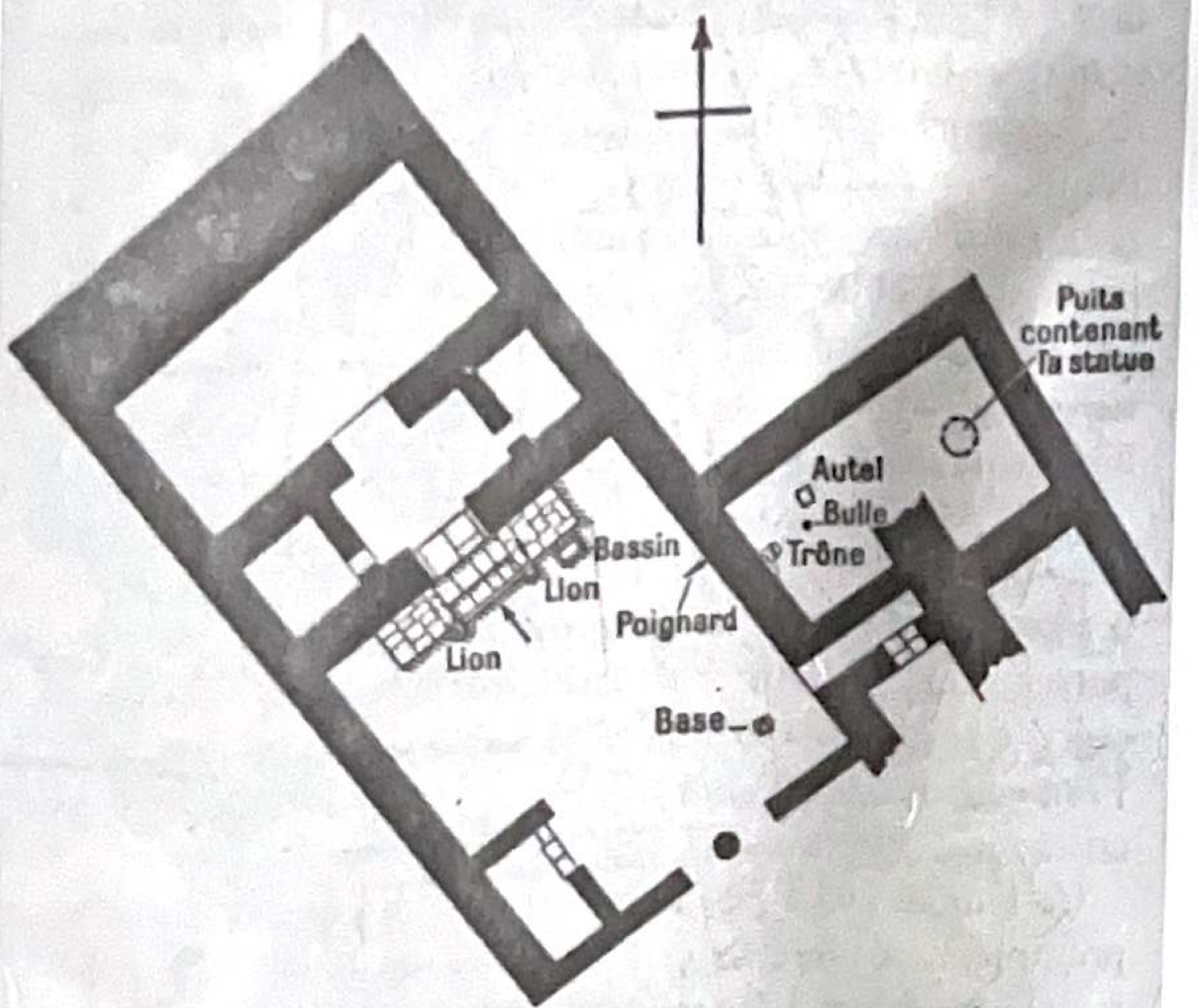


FIG. 26. — Plan du temple du Niveau I B.

الشكل ــ ٢٦ ــ مسقط لمعبد السوية الاولى (ب)

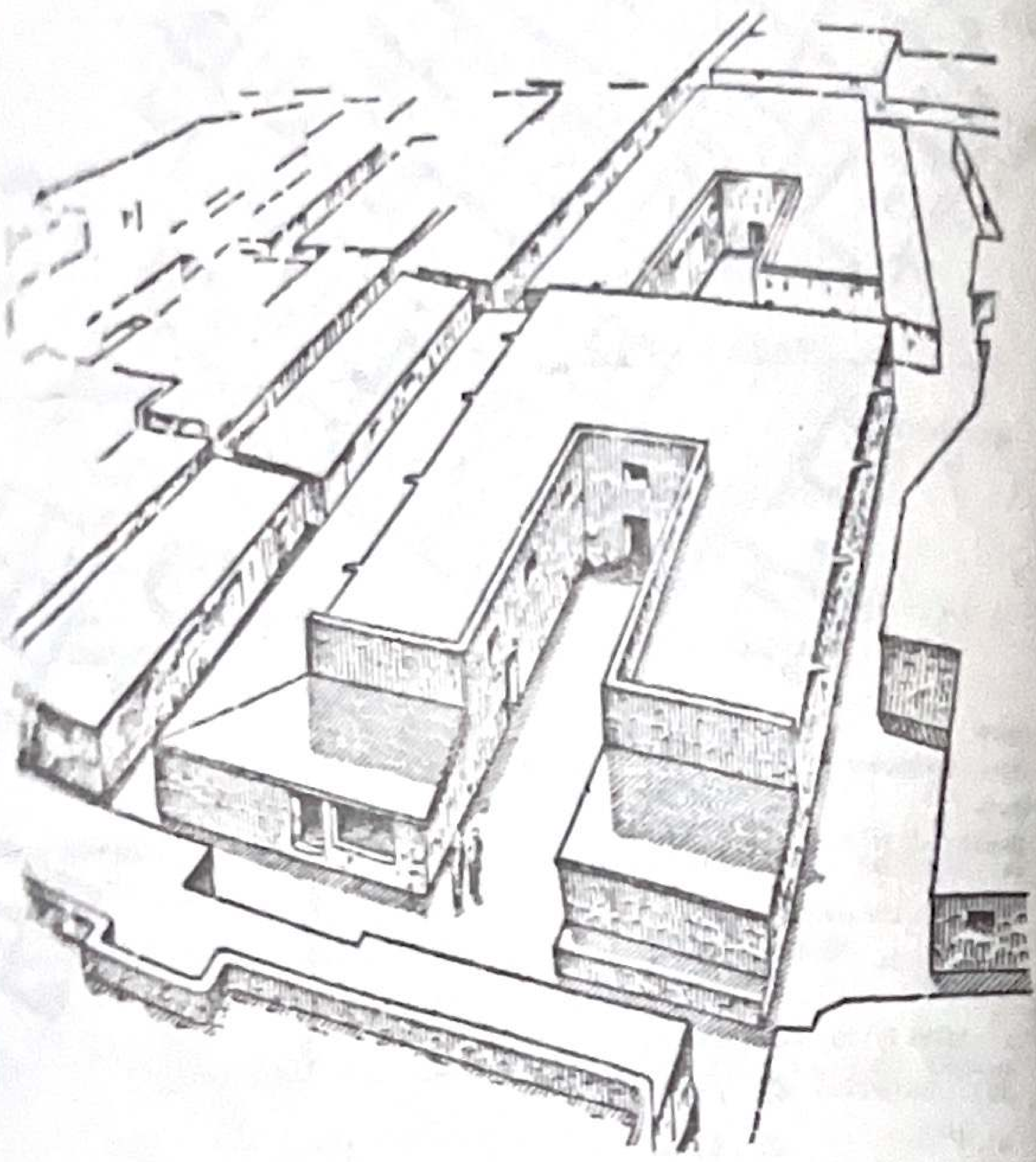


FIG. 27 (b). — Entrepôts d'Al-Mina : restauration.

الشكل ـ ٢٧ (ب) ـ مستودع المينا كما كان سابقا

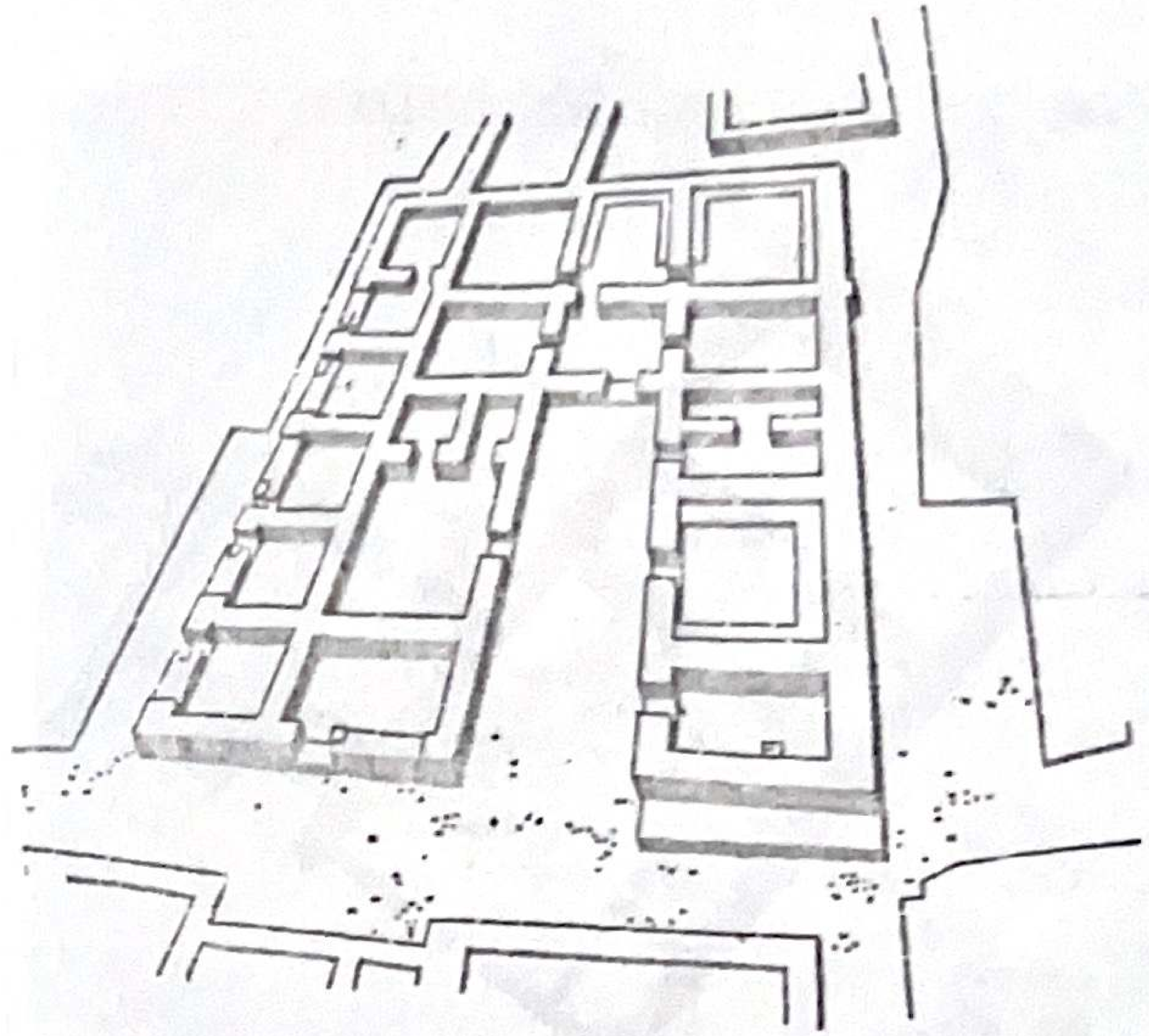


FIG. 27 (a). — Entrepôts d'Al-Mina : plan.

الشكل ـ ٢٧ (آ) ـ مسقط مستودع المينا

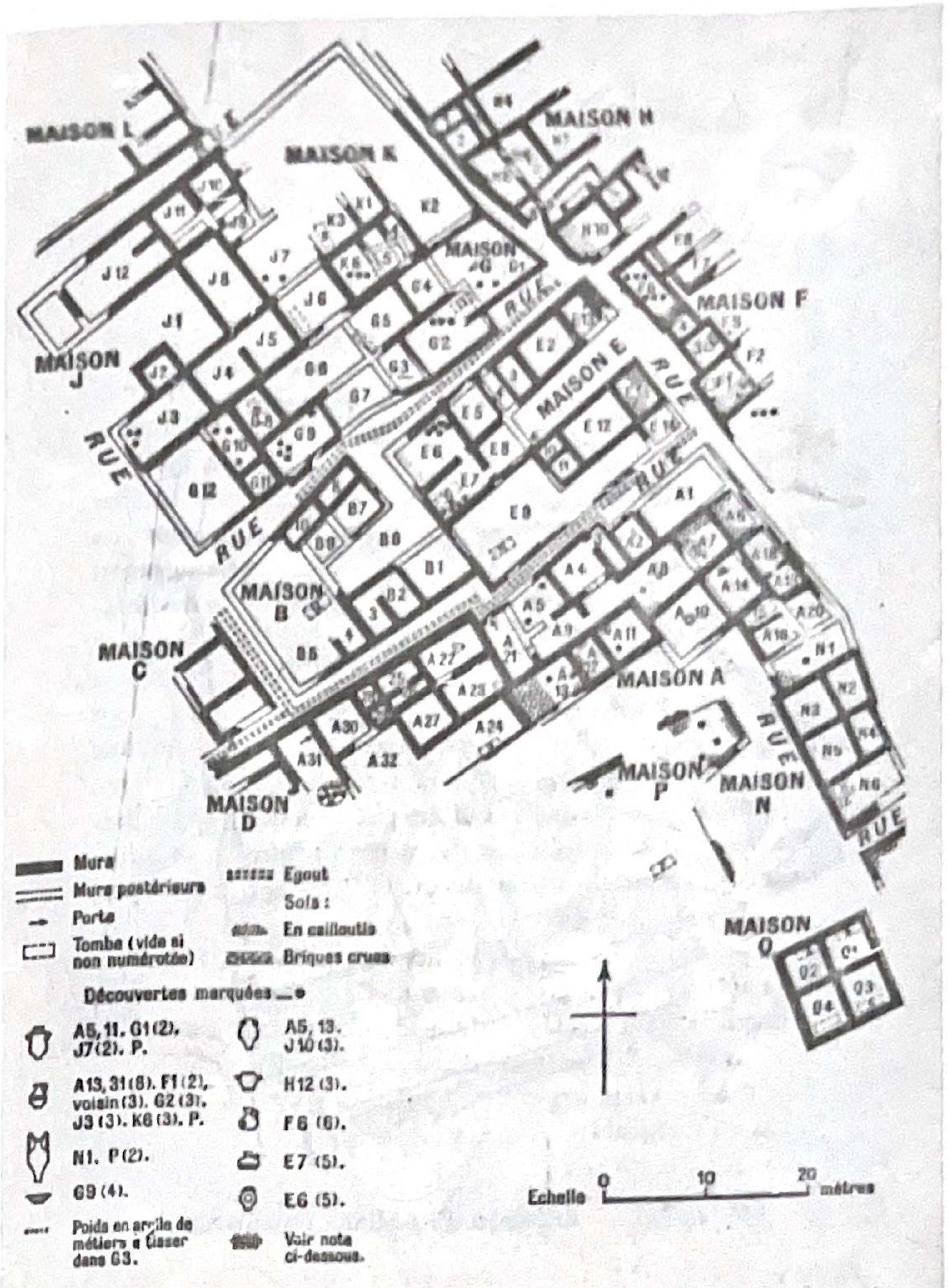


FIG. 28. — Disposition des entrepôts à Al-Mina, au Niveau III.
Les emmagasinements par grosses quantités des articles de poterie sont indiqués par des cercles serrés, les types en question étant donnés par la légende.

الشكل ـ ٢٨ ـ ترتيب مستودعات الميناء ـ السوية الثالثة ـ التي احتوت على كميات متنوعة من الفخار اشير اليها في المصطلحات

الفهرس

الصفحة

الصفحة

خلال سبعة مواسم تنقيب اثري بدأت من ربيع ١٩٣٦ ، وانتهت في خريف عام ١٩٤٩ ، قام العالم الأثري الشهير ليونارد وولي بالتنقيب في موقع تل عطشانة « آلالاخ » الواقع في سهل العمق من لواء الاسكندرون السليب ..

لقد كشفت هذه المواسم عن نتائج هامة بينت بشكل جيد تاريخ هذه المنطقة الغالية من سورية ، منذ مطلع الألف الرابع قبل الميلاد ، وحتى القرن الرابع قبل الميلاد ، وابرزت الدور الكبير الذي لعبته مملكة آلالاخ في تاريخ واقتصاد وسياسة دول شرق المتوسط في القديم ، حيث كان سهل العمق يؤلف مملكة واسعة، مركزها الرئيسي تل العطشانة (آلالاخ) .

وهذا الكتاب الذي كتبه ليونارد وولي عن نتائج اعماله في هذا الموقع يعد عملا بالغ الأهمية عن مملكة منسية بقيت أهميتها مجهولة على قراء العربية حتى اليوم .. وها نحن نقدمها كاملة ، بترجمة امينة وجذابة قام بها الأستاذ فهمي الدالاتي الذي عمل في المديرية العامة للآثار والمتاحف أكثر من عشرين عاما وعايش عن قرب الكثير من المكتشفات والنتائج الهامة التي تمت في مواقعنا الأثرية ، واصبحت محط أنظار العالم لما لها من اهمية بالغة ، غيرت الكثير من المعلومات الخاطئة عن تاريخنا وحضارتنا العربية الخالدة .

الطبع وفرز الألوان في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٢

سعر النسخة داخل القطر
٨٥ ل.س

في الاقطار العربية مايعادل
١٥٠ ل.س